

(١٣٧٥)

التخييل

طوائف وأنواع وأقسام

من مصنفات العقيدة

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"رأيتها وهي كثيرة التشكيك، لا يكاد يبني شيئا إلا ويهدمه ولا ينصر قولا إلا ويخذله وأنت أيها الخصم قد قدمت عند ذكرك ضرورة الخلق إلى النبوة ومنفعتها:

إن العقل لا يستقل «١» بإدراك الأمور الإلهية بدون تأييد إلهي.

الرابع: قوله:" لو لم يصلب المسيح لم يبق على المحسوسات اعتماد" إن أراد لم يبق عليها اعتماد مع عدم المعارض لها فلا نسلم أن ذلك لازم لعدم صلب المسيح، وإن أراد مع وجود المعارض/ فهو صحيح، فإن مدارك العلم إما حس أو عقل أو مركب منهما. وكلها قد تخلف مع وجود المعارض. أما الحس فكما في التخييلات/ السحرية والشعبذية وكعدم «٢» إدراك الصوت للصمم «٣» والريح للخشم «٤» والطعم للمرة، واللمس لفساد في آلته، أو لعلة في محله، وأما العقل فكما يعرض للإنسان عند غلبة السوداء «٥» أو الحزن أو الفرح المفرطين أو السكر ونحوه من المغيبات كالنوم والإغماء فإنه يرى الحقائق منقلبة، والأمور مضطربة، وأما المركب منهما فكخبر الواحد إذا كان في طريقه كذاب. وكالتواتر إذا فقد فيه شرط.

---

(١) في (ش): المستقل.

(٢) في (ش): لعدم.

(٣) الصمم: الأصم الذي فقد حاسة السمع [انظر لسان العرب ١٢/ ٣٤٢].

(٤) الخشم: يطلق على من كسر خيشومه، وعلى الداء الذي يأخذ في جوف الأنف فتتغير رائحته، وعلى سقوط الخياشيم وانسداد المتنفس، والذي يصيبه آفة من هذه الآفات لا يكاد يشم شيئا. [انظر لسان العرب ١٢/ ١٧٨ - ١٧٩].

(٥) السوداء: أحد الأخلاط الأربعة التي زعم الأقدمون أن الجسم مهيأ عليها، بها قوامه، ومنها صلاحه وفساده وهي: الصفراء، والدم، والبلغم والسوداء، وهي عند قدماء الأطباء خليط أسود، وهي عكر الدم الطبيعي وتطلق عند المحدثين على الاضطرابات المصحوبة بالحزن العميق المزمن، والتشاؤم العام الدائم، وهبوط النشاط الحركي، وفقدان الاهتمام بالعالم الخارجي، والأرق، ورفض الغذاء.

[المعجم الوسيط ١/ ٤٦١، والمعجم الفلسفي ١/ ٦٧٦].." (١)

"وغيره، كما ذكر في الإنجيل «١».

وحينئذ يتسع/ لقائل أن يقول: إن حكمة المسيح كانت من العلماء والكتب، ومعجزاته كانت شعبذة

---

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ٣٥٨/١

وتخييلا، كما نسبه إلى ذلك اليهود. فأنتم في الطعن على محمد كاليهود في الطعن على المسيح، فإن صدقوا صدقتم. وأن كذبوا كذبتم، والفرق عليكم متعذر عسير «٢».

قال: ومن الأدلة على كونه لم يظهر معجزة: ما قال في سورة الإسراء «٣»:

وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا (٩٠) إلى قوله سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا (٩٣) «٤» وقوله: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ... (٥٩) «٥» وحسبك شهادة أنه لم يرسل بالآيات.

قلت: لقد أبان هذا السائل في هذا السؤال عن بلادة عظيمة وسوء فهم مع أنه متفلسف، والمعهود من الفلاسفة جودة الذهن وحسن الفهم.

أما قوله: قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا (٩٣) «٦» / فليس فيه ما يدل على أنه/ لم يأت بمعجز، بل فيه اعتراف بالبشرية والرسالة والعبودية بين

---

(١) انظر إنجيل لوقا: الأصحاح الثاني.

(٢) فى (أ): غير اليسير.

(٣) فى (أ): الأسرى.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٩٠ - ٩٣.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٥٩.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٩٣.." [١]

"قوله:" وهم مع ذلك يزعمون: أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم".

قلنا: نعم ولذلك توجيهان:

أحدهما:/ أن الشياطين كثيرة فالذي يجري من ابن آدم مجرى الدم هو قرينه الملازم له، كما سبق في قوله- عليه السلام-:" ما منكم أحد إلا معه شيطان «١» ".

والذي تطلع الشمس بين قرينه شيطان آخر أكبر منه، فإن جنود إبليس كثيرون على أنواع وصفات مختلفة بينهم في أشغاله ومهامه، ولا يمتنع أنه يبعث بعض سحرة الشياطين العظيمي الخلقة أو غيرهم، فيقارن الشمس ويزينها في أعين الكفار بزينة صنم أو آلهة على جهة الشعبذة **والتخييل** فيسجدون لها لزينتها في

---

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ٢/٥٥١

أعينهم فإنا قد علمنا في بني آدم من يأتي من **التخييلات** بما لا يشك الرائي في ثبوته في الأعيان، وهو سيماء «٢» **وتخييل**، لا حقيقة له في الخارج، وإنما هي خيالات ذهنية تغلب وتقوى وتستولي حتى تغلب الأحكام الخارجية، فيبقى الإنسان كأنه نائم يقظان، وقد علم هذا بفعل سحرة فرعون حيث خيلوا أن حبالهم حيات تسعى.

الوجه الثاني: أن مادة الشيطان لطيفة، وقد جعل له من القابلية، والقوة ما أنه/ يتشكل في أشكال مختلفة ويتصور في صور متباينة، فإن سلمنا أن الشيطان المقارن للشمس هو الجاري من ابن آدم مجرى الدم وأنه كبير عظيم هائل الخلقة،

---

(١) سبق تخريجه في هامش ص: ٤٣٢ من هذا الكتاب.

(٢) السيماء أو السيمياء مثل الكيمياء وهو علم ظني معروف [لسان العرب ١٢/ ٥٣٠]..". [1]

" سحر أصحاب الشعوذة:

النوع الرابع: سحر المشعوذين يخدعون الناس بحركات خفيفة، يصرفون بها الأنظار عما يريدون فعله والاحتيال فيه إلى شيء معين يحدق الحاضرون إليه بأعينهم.

سحر أصحاب **التخييل** بالصنعة:

النوع الخامس: سحر حذاق أهل الصنعة؛ كتركيب آلات على نسب هندسية تظهر منها أعمال عجيبة، والصناعات- كالعلوم- منها الجلي الذي يدركه كل عاقل رآه أو سمعه، ومنها الخفي الذي لا يدركه إلا الخواص ممن عنوا به، وقد قيل: إن سحر القبط من النوع الرابع، وقيل: من هذا النوع، عمدوا إلى الحبال والعصي، فحشوها زئبقا، وصارت تتلوى، فخيل للناظرين أنه تسعى باختيارها، وإنما يعد هذا في السحر إذا كتم الصانع أسباب عمله الخفية، وزعم أنه يفعل ذلك خارقا للعادة بقوة نفسه أو بجاهه عند الله، كالذين يحملون العصي الخاصة لصرخ البارود، يوهمون العامة أنها عصي عادية تصرخ كرامة لهم.

سحر أصحاب **التخييل** ب ا لخواص:

النوع السادس: سحر الواقفين على خواص الأشياء، كخواص الأعداد المعبر عنها عندنا بعلم الجدول،

---

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ٢/٦٩٣

وكخواص الأعشاب، وكخواص الأحجار مثل المغناطيس، فإن للأشياء كما للعباد طبائع وخواص، إنما بعضها ضروري كإرواء الماء وإحراق النار، وبعضها نظري غامض لا يهتدي إليه إلا القليل من الباحثين.

قال ابن كثير في " تفسيره ": " يدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر، ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص، مدعيا أنها أحوال له؛ [من] مخالطة." (١)

"الشيء حقيقة وهو ليس كذلك من غير أن يتأثر بدنه ويزول هذا التخيل بزوال ما خيل به وهذا ضرب من الشعوذة وحكمه حرام لما يشتمل عليه من التضليل والحيل والخدع فلربما يؤخذ ما بيد المخيل له ويسرق ماله ويأخذ عوضا غير حقيقة بسبب **التخييل** عليه، ولربما رأى بسبب **التخييل** ما يجزم بحقيقته من منظر قتل أو دخول نار أو شق بطن والأمر ليس كذلك وهو لون من الخداع الذي ينشأ بواسطة معالجة أو بقوة تحيل أو بحذق ومنه سمي القمار قمارا لاشتماله على شيء من هذه المعاني، والمقصود أن ما كان من السحر خيالا أو شعوذة فإن حكمه حرام ولا يصل إلى حد الكفر بهذا الشكل.

* * *

س٥٨/ هل سحر النبي، – صلى الله عليه وسلم –، حقيقة ومن سحره؟

الجواب: نعم، وقد سحر النبي، – صلى الله عليه وسلم –، حقيقة سحره لبيد بن الأعصم اليهودي فجعل له العقد في جف طلع نخل ووضعه في بئر فأرسل الله ملكين يرقيان النبي، – صلى الله عليه وسلم –، ويخبرانه بمن سحره كما أخبراه بموضع السحر وأمراه بالتعوذ بالله ونزل في ذلك سورتان قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فانحلت تلك العقد وبرئ عليه الصلاة." (٢)

"ص –٦٥٠– والصدقة المفروضة واجبة وقد روي أنها هي المنذورة .

وهذا نص في أنه يجب بالنذر ما كان واجبا بالشرع فإذا تركه عوقب لإخلاف الوعد الذي هو النذر فإن النذر وعد مؤكد هكذا نقل عن العرب وهذه الآية تسمى النذر وعدا .

وقوله : ﴿لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل﴾ [يوسف : ٦٦] ورده إلى أبيه كان واجبا عليهم بلا موثق . ومن الحرب المباحة دفع الظالم عن النفوس والأموال والأبضاع المعصومة .

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي ص/٢٣٠

(٢) الأسئلة والأجوبة في العقيدة، صالح بن عبد الرحمن الأطرم ص/٥٩

وإنما جاءت الرخصة في السلم والحرب خاصة لأن هذين الموطنين مبناهما على تأليف القلوب وتنفيرها فإذا تألفت فهي المسالمة وإذا تنافرت فهي المحاربة والتأليف والتنفير يحصل بالتوهمات كما يحصل بالحقائق، ولهذا يؤثر قول الشعر في التأليف والتنفير بحيث يحرك النفوس شهوة ونفرة تحريكا عظيما وإن لم يكن الكلام منطبقا على الحق، لكن لأجل **تخييل** أو تمثيل .

فلما كانت المسالمة والمحاربة الشرعية يقوم فيها التوهم لما لا حقيقة له مقام توهم ما له حقيقة ولم يكن في المعارض إلا الإيهام بما لا حقيقة له والناطق لم يعن إلا الحق صار ذلك حقا وصدقا عند المتكلم وموهما للمستمع توهما يؤلفه تأليفا يحبه الله ورسوله أو ينفره تنفيرا يحبه الله ورسوله بمنزلة تأليفه وتنفيره بالأشعار التي فيها **تخييل** وتمثيل وبمنزلة." (١)

"ص –٦٥١– الحكايات التي فيها الأمثال المضروبة . فإن الأمثال المنظومة والمنثورة إذا كانت حقا مطابقا فهي من الشعر الذي هو حكمة وإن كان فيها تشبيهات شديدة **وتخييلات** عظيمة أفادت تأليفا وتنفيرا .." (٢)

"ص –٢٨٢– والفلاسفة والملاحدة وغيرهم منهم من يجعل النبوات من جنس المنامات، ويجعل مقصودها **التخييل** فقط، قال تعالى : ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ﴾ [الأنبياء : ٥] ، فهؤلاء مكذبون بالنبوات . ومنهم من يجعلهم مخصوصين بعلم ينالونه بقوة قدسية بلا تعلم، ولا يثبت ملائكة تنزل بالوحي . ولا كلاما لله يتكلم به، بل يقولون : إنه لا يعلم الجزئيات، فلا يعلم لا موسي، ولا محمدا، ولا غيرهما من الرسل ويقولون : خاصية النبي هذه القوة العلمية القدسية قوة يؤثر بها في العالم، وعنها تكون الخوارق، وقوة تخيلية، وهو أن تمثل له الحقائق في صور خيالية في نفسه، فيري في نفسه أشكالا نورانية، ويسمع في نفسه كلاما، فهذا هو النبي عندهم، وهذه الثلاث توجد لكثير من آحاد العامة الذين غيرهم من النبيين أفضل منهم . وهؤلاء وإن كانوا أقرب من الذين قبلهم فهم من المكذبين للرسل .

وكثير من أهل البدع يقر بما جاؤوا به إلا في أشياء تخالف رأيه، فيقدم رأيه على ما جاؤوا به، ويعرض عما جاؤوا به، فيقول : إنه لا يدري ما أرادوا به، أو يحرف الكلم عن مواضعه . وهؤلاء موجودون في أهل

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٢/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٣/

الكتاب، وفي أهل القبلة؛ ولهذا ذكر الله في أول البقرة : المؤمنين، والكافرين، ثم ذكر المنافقين . وبسط القول فيهم .." (١)

"ص –٤٣– ولهذا يقترن أحدهما بالآخر كثيرا في مثل المليين من الرهبان، وفاسدي الفقراء وغيرهم، ثم لما كان الشعر مستفادا من الشعور فهو يفيد إشعار النفس بما يحركها، وإن لم يكن صدقا، بل يورث محبة، أو نفرة أو رغبة أو رهبة، لما فيه من **التخييل**، وهذا خاصة الشعر فلذلك وصفهم بأنهم يتبعهم الغوون .

والغي : اتباع الشهوات؛ لأنه يحرك الناس حركة الشهوة، والنفرة والفرح، والحزن بلا علم، وهذا هو الغي، بخلاف الإفك، فإن فيه إضلالا في العلم بحيث يوجب اعتقاد الشيء، على خلاف ما هو به . وإذا كانت النفس تتحرك تارة عن تصديق وإيمان، وتارة عن شعر . والثاني مذموم إلا ما استثنى منه، قال تعالى : ﴿ ما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ [يس : ٦٩] ، فالذكر خلاف الشعر، فإنه حق وعلم، يذكره القلب، وذاك شعر يحرك النفس فقط .

ولهذا غلب على منحرفة المتصوفة، الاعتياض بسماع القصائد والأشعار، عن سماع القرآن والذكر؛ فإنه يعطيهم مجرد حركة حب أو غيره، من غير أن يكون ذلك تابعا لعلم وتصديق؛ ولهذا يؤثره من يؤثره على سماع القرآن، ويعتل بأن القرآن حق نزل من حق، والنفوس تحب الباطل؛ وذلك لأن القول الصدق والحق يعطي علما واعتقادا بجملة القلب، والنفوس المبطلة لا تحب الحق .

ولهذا أثره باطل، يتفشى من النفس، فإنه فرع لا أصل له، ولكن له تأثير في النفس من جهة التحريك، والإزعاج والتأثير، لا من جهة التصديق والعلم." (٢)

"ص –٦٧– وكما يزعم الفارابي : أن الفيلسوف أكمل من النبي،وإنما خاصة النبي جودة **التخييل** للحقائق، إلي أنواع من الزندقة والكفر، يلتحقون فيها بالإسماعيلية، والنصيرية، والقرامطة، والباطنية، ويتبعون فرعون، والنمروذ وأمثالهما من الكافرين بالنبوات، أو النبوة والربوبية .

وهذا كثير جدا في هؤلاء وهؤلاء، وسبب ذلك عدم أصل في قلوبهم، وهو الإيمان بالله، والرسول . فإن هذا الأصل إن لم يصحب الناظر، والمريد، والطالب، في كل مقام، وإلا خسر خسرانا مبينا، وحاجته إليه كحاجة البدن إلى الغذاء، أو الحياة إلى الروح .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧٤/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦/١٩

فالإنسان بدون الحياة والغذاء لا يتقوم أبدا، ولا يمكنه أن يعلم، ولا أن يعلم .

كذلك الإنسان بدون الإيمان بالله ورسوله لا يمكنه أن ينال معرفة الله، ولا الهداية إليه، وبدون اهتدائه إلى ربه لا يكون إلا شقيا معذبا، وهو حال الكافرين بالله ورسوله، ومع الإيمان بالله ورسوله إذا نظر، واستدل، كان نظره في دليل وبرهان – وهو ثبوت الربوبية، والنبوة – وإذا تجرد وتصفى، كان معه من الإيمان ما يذوقه بذلك ويجده .

ثم هذا النظر، وهذا الذوق يجتلب له ما وراء ذلك من أنواع المعالم الربانية، والمواجيد الإلهية . والعلم والوجد متلازمان .

وذلك، أن الأنبياء والمرسلين عرفوا الله بالوحي المعرفة التي هي معرفة، وعبدوه العبادة التي هي حق له بحسب ما منحهم الله تعالى .

وهم درجات في ذلك، لكن عرفوا من خصوص الربوبية ما لا يقوم به." (١)

"ص –٨٦– ولهذا الفلاسفة المحضة الباقون على محض كلام المشائين يرون أن ابن سينا صانع المليين،لما رأوا من تقريبه،وجهلوا فيما قالوا، وكذبوا،لم يصانع،ولكن قال بموجب الحق وبموافقة أصولهم العقلية ما قاله من الحق الذي أقر به، كما أن الفلاسفة الإلهيين المشائين وغيرهم متفقون على الإقرار بواجب الوجود، وببقاء الروح بعد الموت، وبأن الأعمال الصالحة تنفع بعد الموت، ويخالفهم في ذلك فلاسفة كثيرون من الطبيعيين وغيرهم، بل وبين الإلهيين من الفلاسفة خلاف في بعض ذلك حتى الفارابي، وهو عندهم المعلم الثاني يقال : إنه اختلف كلامه في ذلك .

فقال تارة ببقاء الأنفس كلها، وتارة ببقاء النفوس العالمة دون الجاهلة . كما قاله في آراء المدينة الفاضلة، وتارة كذب بالأمرين، وزعم الضال الكافر أن النبوة خاصتها جودة تخييل الحقائق الروحانية، وكلامهم المضطرب في هذا الباب كثير، ليس الغرض هنا ذكره .

وإنما الغرض أن العلم الأعلى عندهم والفلسفة الأولى علم ما بعد الطبيعة وهو الوجود المطلق ولواحقه، حتى أن من له مادة فلسفية من متكلمة المسلمين – كابن الخطيب وغيره – يتكلمون في أصول الفقه، الذي هو علم إسلامي محض، فيبنونه على تلك الأصول الفلسفية .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤/٢٠

كقول ابن الخطيب وغيره في أول أصول الفقه موافقة لابن سينا ومن قبله : العلوم الجزئية لا تقرر مبادئها فيها؛ لئلا يلزم الدور، فإن مبدأ العلم أصوله،." (١)

"ص -٦٧- المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، لهم في كلام الرسول ثلاث طرق : طريقة التخييل، وطريقة التأويل، وطريقة التخييل .

فأهل التخييل : هم الفلاسفة والباطنية، الذين يقولون : إنه خيل أشياء، لا حقيقة لها في الباطن، وخاصية النبوة عندهم التخييل .

وطريقة التأويل : طريقة المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وأتباعهم، يقولون : إن ما قاله له تأويلات تخالف ما دل عليه اللفظ، وما يفهم منه، وهو . وإن كان لم يبين مراده ولا بين الحق الذي يجب اعتقاده . فكان مقصوده : أن هذا يكون سببا للبحث بالعقل، حتى يعلم الناس الحق بعقولهم، ويجتهدوا في تأويل ألفاظه إلى ما يوافق قولهم؛ ليثابوا على ذلك، فلم يكن قصده لهم البيان والهداية، والإرشاد والتعليم، بل قصده التعمية والتلبيس، ولم يعرفهم الحق حتى ينالوا الحق بعقلهم، ويعرفوا حينئذ أن كلامه لم يقصد به البيان، فيجعلوا حالهم في العلم مع عدمه خيرا من حالهم مع وجوده .

وأولئك المتقدمون، كابن سينا وأمثاله، ينكرون على هؤلاء، ويقولون : ألفاظه كثيرة، صريحة لا تقبل التأويل، لكن كان قصده التخييل، وأن يعتقد الناس الأمر على خلاف ما هو عليه .

وأما الصنف الثالث : الذين يقولون : إنهم أتباع السلف، فيقولون : إنه لم يكن الرسول يعرف معنى ما أنزل عليه من هذه الآيات، ولا أصحابه." (٢)

"ص -٩٨- فصل

وتلخيص النكتة : أن الرسل إما أنهم علموا الحقائق الخبرية والطلبية، أو لم يعلموها، وإذا علموها، فإما أنه كان يمكنهم بيانها بالكلام والكتاب، أو لا يمكنهم ذلك، وإذا أمكنهم ذلك البيان، فإما أن يمكن للعامة وللخاصة، أو للخاصة فقط .

فإن قال : إنهم لم يعلموها، وإن الفلاسفة والمتكلمين أعلم بها منهم، وأحسن بيانا لها منهم، فلاريب أن هذا قول الزنادقة المنافقين . وسنتكلم معهم بعد هذا ؛إذ الخطاب هنا لبيان أن هذا قول الزنادقة، وأنه لا يقوله إلا منافق أو جاهل .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٤/٢٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٨/٤٧

وإن قال : إن الرسل مقصدهم صلاح عموم الخلق، وعموم الخلق لا يمكنهم فهم هذه الحقائق الباطنة، فخاطبوهم بضرب الأمثال؛ لينتفعوا بذلك، وأظهروا الحقائق العقلية في القوالب الحسية، فتضمن خطابهم عن الله وعن اليوم الآخر، من **التخييل** والتمثيل للمعقول بصورة المحسوس ما ينتفع به عموم الناس في أمر الإيمان بالله وبالمعاد . وذلك يقرر في النفوس من عظمة الله وعظمة اليوم الآخر ما يحض النفوس على عبادة الله، وعلى الرجاء والخوف؛ فينتفعون." (١)

"ص -٩٩- بذلك، وينالون السعادة بحسب إمكانهم واستعدادهم؛ إذ هذا الذي فعلته الرسل هو غاية الإمكان في كشف الحقائق لعموم النوع البشرى، ومقصود الرسل حفظ النوع البشري، وإقامة مصلحة معاشه ومعاده .

فمعلوم أن هذا قول حذاق الفلاسفة، مثل : الفارابي، وابن سينا وغيرهما، وهو قول كل حاذق وفاضل من المتكلمين في القدر الذي يخالف فيه أهل الحديث .

فالفارابي يقول : إن خاصة النبوة جودة **تخييل** الأمور المعقولة في الصور المحسوسة أو نحو هذه العبارة .
وابن سينا يذكر هذا المعنى في مواضع، ويقول : ما كان يمكن موسى بن عمران مع أولئك العبرانيين، ولا يمكن محمد مع أولئك العرب الجفاة، أن يبينا لهم الحقائق على ما هي عليه، فإنهم كانوا يعجزون عن فهم ذلك، وإن فهموه على ما هو عليه انحلت عزماتهم عن اتباعه؛ لأنهم لايرون فيه من العلم ما يقتضي العمل .

وهذا المعنى يوجد في كلام أبي حامد الغزالي وأمثاله، ومن بعده طائفة منه في الإحياء وغير الإحياء، وكذلك في كلام الرازي .

وأما الاتحادية ونحوهم من المتكلمين، فعليه مدارهم، ومبنى كلام الباطنية والقرامطة عليه، لكن هؤلاء ينكرون ظواهر الأمور العملية." (٢)

"ص -١٦٢- من عنده ويصعدون إليه، ولكن يقول بما عليه هؤلاء الباطنية في الباطن، لكن ما كان يمكنه إظهار ذلك للعامة؛ لأن هذا إذا ظهر لم تقبله عقولهم وقلوبهم بل ينكرونه وينفرون منه، فأظهر لهم من **التخييل** والتمثيل ما ينتفعون به في دينهم، وإن كان في ذلك تلبيس عليهم وتجهيل لهم، واعتقادهم الأمر على خلاف ما هو عليه، لما في ذلك من المصلحة لهم .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠٠/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠١/٤٧

ويجعلون أئمة الباطنية، كبني عبيد بن ميمون القداح الذين ادعوا أنهم من ولد محمد ابن إسماعيل بن جعفر، ولم يكونوا من أولاده، بل كان جدهم يهوديا ربيبا لمجوسي، وأظهروا التشيع . ولم يكونوا في الحقيقة على دين واحد من الشيعة لا الإمامية، ولا الزيدية، بل ولا الغالية الذين يعتقدون إلهية علي، أو نبوته، بل كانوا شرا من هؤلاء كلهم .

ولهذا كثر تصانيف علماء المسلمين في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وكثر غزو المسلمين لهم . وقصصهم معروفة . وابن سينا و أهل بيته كانوا من أتباع هؤلاء على عهد حاكمهم المصري؛ ولهذا دخل ابن سينا في الفلسفة .

وهؤلاء يجعلون محمد بن إسماعيل هو الإمام المكتوم، وأنه نسخ شرع محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ويقولون : إن هؤلاء الإسماعيلية كانوا أئمة معصومين، بل قد يقولون : إنهم أفضل من الأنبياء، وقد يقولون : إنهم آلهة يعبدون .

ولهذا أرسل الحاكم غلامه [هشتكير] الدرزي إلى وادي تيم الله بن ثعلبة." (١)

"ص -٣١- كمل كلامه وفعله وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه وإما من عجزه عن بيان علمه وإما لعدم إرادته البيان . والرسول هو الغاية في كمال العلم والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين والغاية في قدرته على البلاغ المبين – ومع وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة : يجب وجود المراد؛ فعلم قطعا أن ما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر : حصل به مراده من البيان وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه وعلمه بذلك أكمل العلوم . فكل من ظن أن غير الرسول أعلم بهذا منه أو أكمل بيانا منه أو أحرص على هدي الخلق منه : فهو من الملحدين لا من المؤمنين . والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم في هذا الباب على سبيل الاستقامة . وأما المنحرفون عن طريقهم : فهم ثلاث طوائف : أهل **التخييل** وأهل التأويل وأهل التجهيل . فأهل **التخييل** : هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه . فإنهم يقولون : إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو **تخييل** للحقائق لينتفع به الجمهور لا أنه بين به الحق ولا هدى به الخلق ولا أوضح به الحقائق . ثم هم على قسمين : منهم من يقول : إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه . ويقولون : إن من الفلاسفة الإلهية من علمها وكذلك من الأشخاص." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦٨/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٩/٧١

"ص -٤١٤- وهذا ضلال عظيم، وهو أحد أنواع الضلال في كلام الله والرسول صلى الله عليه وسلم، ظن أهل **التخييل**، وظن أهل التحريف والتبديل، وظن أهل التجهيل . وهذا مما بسط الكلام عليه في مواضع، والله يهدينا وسائر إخواننا إلى صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

والمقصود هنا الكلام على من يقول : ينزل ولا يخلو منه العرش، وإن أهل الحديث في هذا على ثلاثة أقوال :

منهم من ينكر أن يقال : يخلو، أو لا يخلو، كما يقول ذلك الحافظ عبد الغني وغيره .

ومنهم من يقول : بل يخلو منه العرش، وقد صنف عبد الرحمن بن منده مصنفا في الإنكار على من قال : لا يخلو من العرش، أو لا يخلو منه العرش كما تقدم بعض كلامه .

وكثير من أهل الحديث يتوقف عن أن يقول : يخلو أو لا يخلو . وجمهورهم على أنه لا يخلو منه العرش . وكثير منهم يتوقف عن أن يقال : يخلو أو لا يخلو؛ لشكهم في ذلك، وأنهم لم يتبين لهم جواب أحد الأمرين، وإما مع كون الواحد منهم قد ترجح عنده أحد الأمرين لكن يمسك في ذلك؛ لكونه ليس في الحديث." (١)

"ص -٥٨٩- والنبي يأخذ بواسطة الملك . وبنى ذلك على أصل متبوعيه الفلاسفة، فإن عندهم ما يتصور في نفس النبي أو الولي هي الملائكة من الأشكال النورانية الخيالية، [فالملائكة] عندهم ما يتخيله في نفسه، و [النبي] عندهم ما يتلقى بواسطة هذا التخيل، [والولي] يتلقى المعارف العقلية بدون هذا التخيل، ولا ريب أن من تلقى المعارف بلا تخيل كان أكمل ممن تلقاها بتخيل .

فلما اعتقدوا في النبوة ما يعتقده هؤلاء المتفلسفة، صاروا يقولون أن الولاية أعظم من النبوة، كما يقول كثير من الفلاسفة أن الفيلسوف أعظم من النبي، فإن هذا قول الفارابي ومبشر بن فاتك وغيرهما، وهؤلاء يقولون : النبوة أفضل الأمور عند الجمهورلا عند الخاصة، ويقولون : خاصة النبي جودة **التخييل**، والتخيل .

فجاء هؤلاء الذين أخرجوا الفلسفة في قالب الولاية، وعبروا عن المتفلسف بالولي، وأخذوا معاني الفلاسفة، وأبرزوها في صورة الملك ا شفة، والمخاطبة . وقالوا : أن الولي أعظم من النبي، لأن المعاني المجردة يأخذها عن الله بلا واسطة تخيل لشيء في نفسه، والنبي يأخذها بواسطة ما يتخيل في نفسه من الصور والأصوات .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩٧/٨٠

ولم يكفهم هذا البهتان حتى ادعوا أن جميع الأنبياء والرسل يستفيدون العلم بالله من مشكاة خاتم هؤلاء الأولياء، الذي هو من أجهل الخلق بالله، وأبعدهم عن دين الله .

والعلم بالله هو عندهم بأنه الوجود المطلق الساري في الكائنات، فوجود كل موجود هو عين وجود واجب الوجود، وحقيقة هذا القول قول الدهرية الطبعية، الذين ينكرون أن يكون للعالم." (١)

"ص -١٠- ليس هذا موضعه؛ دع غيرهم من طوائف المسلمين وعلمائهم وأئمتهم، كما ذكره القاضي أبو بكر ابن الباقلاني في كتاب] الدقائق [.

فأما الشعري وهو ما يفيد مجرد **التخييل** وتحريك النفس، وذلك يظهر بأنهم جعلوا الأقيسة خمسة : البرهاني، والخطابي، والجدلي، والشعري، والمغلطي السوفسطائي، وهو ما يشبه الحق وهو باطل، وهو الحكمة المموهة فلا غرض لنا فيه هنا، ولكن غرضنا تلك الثلاثة .

قالوا : [الجدلي] ما سلم المخاطب مقدماته . والخطابي : ما كانت مقدماته مشهورة بين الناس، والبرهاني : ما كانت مقدماته معلومة .

وكثير من المقدمات تكون مع كونها خطابية أو جدلية يقينية برهانية، بل وكذلك مع كونها شعرية، ولكن هي من جهة التيقن بها تسمى : برهانية، ومن جهة شهرتها عند عموم الناس وقبولهم لها تسمى : خطابية، ومن جهة تسليم الشخص المعين لها تسمي : جدلية .

وهذا كلام أولئك المبتدعة من الصابئة الذين لم يذكروا النبوات، ولا تعرضوا لها بنفي ولا إثبات . وعدم التصديق للرسل واتباعهم كفر وضلال، وإن لم يعتقد تكذيبهم فالكفر والضلال أعم من التكذيب .." (٢)

"ص -١٣١- قيل : إنه من باب الإرادات، وهذا هو المشهور .

وقيل : من باب التصورات، وإنه فساد في **التخييل**، حيث يتصور المعشوق على ما هو به، قال هؤلاء : ولهذا لا يوصف الله بالعشق، ولا أنه يعشق؛ لأنه منزه عن ذلك، ولا يحمد من يتخيل فيه خيالا فاسدا .

وأما الأولون فمنهم من قال : يوصف بالعشق فإنه المحبة التامة، والله يحب ويحب، وروى في أثر عن عبد الواحد بن زيد أنه قال : لا يزال عبدي يتقرب إلي يعشقني وأعشقه . وهذا قول بعض الصوفية .

والجمهور لا يطلقون هذا اللفظ في حق الله؛ لأن العشق هو المحبة المفرطة الزائدة على الحد الذي ينبغي، والله تعالى محبته لا نهاية لها، فليست تنتهي إلى حد لا تنبغي مجاوزته .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٣٧/١١٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧/١٤٧

قال هؤلاء : والعشق مذموم مطلقا لا يمدح لا في محبة الخالق، ولا المخلوق؛ لأنه المحبة المفرطة الزائدة على الحد المحمود، وأيضا فإن لفظ العشق إنما يستعمل في العرف في محبة الإنسان لامرأة أو صبي، لا يستعمل في محبة كمحبة الأهل والمال والوطن والجاه، ومحبة الأنبياء والصالحين، وهو مقرون كثيرا بالفعل المحرم : إما بمحبة امرأة أجنبية أو صبي، يقترن به النظر المحرم، واللمس المحرم، وغير ذلك من الأفعال المحرمة .." (١)

"ص -٣٥٢- يكون في الخارج عن نفوسهم لله عندهم كلام، وهكذا كان الجهم يقول أولا : إن الله لا كلام له، ثم احتاج أن يطلق أن له كلاما لأجل المسلمين فيقول : هو مجاز؛ ولهذا كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يعلمون مقصودهم، وأن غرضهم التعطيل، وأنهم زنادقة، والزنديق المنافق .

ولهذا تجد مصنفات الأئمة يصفونهم فيها بالزندقة، كما صنف الإمام أحمد [الرد علي الزنادقة والجهمية] ، وكما ترجم البخاري آخر كتاب الصحيح ب [كتاب التوحيد والرد علي الزنادقة والجهمية] ، وكان عبد الله بن المبارك يقول : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية .

وتقول الصابئة المحضة الذين آمنوا في الظاهر وآمنوا في الباطن ببعض الكتاب : كلام الله اسم لما يفيض علي قلب النبي من [العقل الفعال] أوغيره، و [ملائكة الله] اسم لما يتشكل في نفسه من الصور النورانية . وقد يقولون : إن جبريل ه و [العقل الفعال] أو هو ما يتمثل في نفسه من الصور الخيالية كما يراه النائم؛ ولهذا يقول هؤلاء : إن خاصة النبي **التخييل**، وإن الأنبياء أظهروا خلاف ما أبطنوه لمصلحة العامة، ولم يفيدوا بكلامهم علما، لكن **تخييلا** ينتفع به العامة، ويجعلون هذا من أفضل الأمور، ويمدحون الأنبياء بذلك، ويعظمونهم،." (٢)

"ص -٣٥٦- فهي طريق الجهمية والمعتزلة ومن دخل في التأويل من الفلاسفة والباطنية الملاحدة

.

وأما حذاق الفلاسفة فيقولون : إن المراد بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو أن يخيل إلى الجمهور ما ينتفعون به في مصالح دنياهم، وإن لم يكن ذلك مطابقا للحق قالوا : وليس مقصود الرسول صلى الله عليه وسلم بيان الحق وتعريفه، بل مقصوده أن يخيل إليهم ما يعتقدونه . ويجعلون خاصة النبوة قوة **التخييل**، فهم يقولون : إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين، ولم يفهم، بل ولم يقصد ذلك . وهم

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٣/١٥٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٤/٢١١

متنازعون : هل كان يعلم الأمور على ما هي عليه ؟ على قولين :

منهم من قال : كان يعلمها، لكن ما كان يمكنه بيانها، وهؤلاء قد يجعلون الرسول أفضل من الفيلسوف . ومنهم من يقول : بل ما كان يعرفها، أو ما كان حاذقا في معرفتها، وإنما كان يعرف الأمور العملية . وهؤلاء يجعلون الفيلسوف أكمل من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأمور العملية أكمل من العلمية، فهؤلاء يجعلون خبر الله وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم إنما فيه **التخييل**، وأولئك يقولون : لم يقصد به **التخييل**، ولكن قصد معنى يعرف بالتأويل، وكثير من أهل الكلام الجهمية يوافق أولئك على أنه ما كان يمكنه أن يبوح بالحق في باب التوحيد، فخاطب الجمهور بما يخيل لهم، كما يقولون : إنه لو قال :." (١)

"ص -٤٦- الإنس، لكن الإنس أعقل وأصدق وأعدل وأوفي بالعهد، والجن أجهل وأكذب وأظلم وأغدر .

والمقصود أن أرباب العزائم، مع كون عزائمهم تشتمل على شرك وكفر، لا تجوز العزيمة والقسم به، فهم كثيرا ما يعجزون عن دفع الجني، وكثيرا ما تسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل الجني الصارع للإنس أو حبسه، فيخيلوا إليهم أنهم قتلوه أو حبسوه، ويكون ذلك **تخييلا** وكذبا، هذا إذا كان الذي يرى ما يخيلونه صادقا في الرؤية، فإن عامة ما يعرفونه لمن يرى دون تعريفه؛ إما بالمكاشفة والمخاطبة، إن كان من جنس عباد المشركين وأهل الكتاب ومبتدعة المسلمين الذين تضلهم الجن والشياطين، وإما ما يظهرونه لأهل العزائم والأقسام أنهم يمثلون ما يريدون تعريفه، فإذا رأي المثال أخبر عن ذلك وقد يعرف أنه مثال، وقد يوهمونه أنه نفس المرئي، وإذا أرادوا سماع كلام من يناديه من مكان بعيد مثل من يستغيث ببعض العباد الضالين من المشركين وأهل الكتاب وأهل الجهل من عباد المسلمين، إذا استغاث به بعض محبيه فقال : يا سيدي فلان، فإن الجني يخاطبه بمثل صوت ذلك الإنسي، فإذا رد الشيخ عليه الخطاب أجاب ذلك الإنسي بمثل ذلك الصوت، وهذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة .." (٢)

"ص -١٥٦- أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الأصل كان أولى بالحق علما وعملا، ومن كان أبعد عن الحق علما وعملا : كالقرامطة والمتفلسفة الذين يظنون أن الرسل ما كانوا يعلمون حقائق العلوم الإلهية والكلية، وإنما يعرف ذلك بزعمهم من يعرفه من المتفلسفة، ويقولون : خاصة النبوة

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٦٢/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٩/٢٤٣

هي **التخييل**، ويجعلون النبوة أفضل من غيرها عند الجمهور لا عند أهل المعرفة، كما يقول هذا ونحوه الفارأبي وأمثاله، مثل مبشر بن فاتك وأمثاله من الإسماعيلية .

وآخرون يعترفون بأن الرسول علم الحقائق، لكن يقولون : لم يبينها، بل خاطب الجمهور **بالتخييل**، فيجعلون **التخييل** في خطابه لا في علمه، كما يقول ذلك ابن سينا وأمثاله .

وآخرون يعترفون بأن الرسل علموا الحق وبينوه، لكن يقولون : لا يمكن معرفته من كلامهم، بل يعرف بطريق آخر؛ إما المعقول عند طائفة، وإما المكاشفة عند طائفة، إما قياس فلسفي، وإما خيال صوفي . ثم بعد ذلك ينظر في كلام الرسول فما وافق ذلك قبل، وما خالفه؛ إما أن يفوض، وإما أن يؤول . وهذه طريقة كثير من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة، وهي طريقة خيار الباطنية والفلاسفة الذين يعظمون الرسول وينزهونه عن الجهل والكذب، لكن يدخلون في التأويل .." (١)

"ص -١٥٧- وأبو حامد الغزالي لما ذكر في كتابه طرق الناس في التأويل، وأن الفلاسفة زادوا فيه حتى انحلوا، وأن الحق بين جمود الحنابلة، وبين انحلال الفلاسفة، وأن ذلك لا يعرف من جهة السمع، بل تعرف الحق بنور يقذف في قلبك، ثم ينظر في السمع، فما وافق ذلك قبلته وإلا فلا . وكان مقصوده بالفلاسفة المتأولين خيار الفلاسفة، وهم الذين يعظمون الرسول عن أن يكذب للمصلحة، ولكن هؤلاء وقعوا في نظير ما فروا منه، نسبوه إلى التلبيس والتعمية وإضلال الخلق، بل إلى أن يظهر الباطل ويكتم الحق .

وابن سينا وأمثاله، لما عرفوا أن كلام الرسول لا يحتمل هذه التأويلات الفلسفية، بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب سلك مسلك **التخييل**، وقال : إنه خاطب الجمهور بما يخيل إليهم، ومع علمه أن الحق في نفس الأمر ليس كذلك . فهؤلاء يقولون : إن الرسل كذبوا للمصلحة .

وهذا طريق ابن رشد الحفيد [هو محمد بن أبي القاسم أحمد ابن شيخ المالكية أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ولد سنة عشرين وخمسمائة . أخذ العلم عن أبي مروان بن مسرة وجماعة، وبرع في الفقه، وأخذ الطب عن أبي مروان بن حزبول، أثنى عليه علماء عصره، ومن أشهر تصانيفه : [بداية المجتهد] . مات محبوسا بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسمائة] وأمثاله من الباطنية، فالذين عظموا الرسل من هؤلاء عن الكذب نسبوهم إلى التلبيس والإضلال، والذين أقروا بأنهم بينوا الحق قالوا : إنهم كذبوا

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/٢٤٨

للمصلحة .

وأما أهل العلم والإيمان فمتفقون على أن الرسل لم يقولوا إلا." (١)

"ص -٤١٤- صفات الرب لم يكن هو ولا غيره يفهمه، وهو كلام أمي عربي ينزل عليه، قيل : فالمعاني المعقولة في الأمور الإلهية أولي ألا يكون يفهمها . وحينئذ،فهذا الباب لم يكن موجودا في رسالته، ولا يؤخذ من جهته لا من جهة السمع،ولا من جهة العقل . قالت الملاحدة : فيؤخذ من طريق غيره .

فإذا قال لهم هؤلاء : هذا غير ممكن لأحد، منعوا ذلك وقالوا : إنما في القرآن أن ذلك الخطاب لا يعلم معناه إلا الله . لكن من أين لكم أن الأمور الإلهية لا تعلم بالأدلة العقلية التي يقصر عنها البيان بمجرد الخطاب والخبر ؟

والملاحدة يقولون : إن الرسل خاطبت **بالتخييل**، وأهل الكلام يقولون : بالتأويل، وهؤلاء الظاهرية يقولون : بالتجهيل . وقد بسط الكلام على خطأ الطوائف الثلاث، وبين أن الرسول قد أتي بغاية العلم والبيان الذي لا يمكن أحدا من البشر أن يأتي بأكمل مما جاء به صلى الله عليه وسلم تسليما . فأكمل ما جاء به القرآن، والناس متفاوتون في فهم القرآن تفاوتا عظيما .

وقول ابن السائب : إن هذا من المكتوم الذي لا يفسر، يقتضي أن له تفسيرا يعلمه العلماء ويكتمونه .." (٢)

"ص -٤٣٩- أحسن بيان، وبين الآيات الدالة على الخالق سبحانه وأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، ووحدانيته، على أحسن وجه، كما قد بسط في مواضع .

وأما أهل البدع من أهل الكلام والفلسفة ونحوهم فهم لم يثبتوا الحق، بل أصلوا أصولا تناقض الحق . فلم يكفهم أنهم لم يهتدوا ولم يدلوا على الحق حتى أصلوا أصولا تناقض الحق، ورأوا أنها تناقض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فقدموها على ما جاء به الرسول .

ثم تارة يقولون : الرسول جاء **بالتخييل**، وتارة يقولون : جاء بالتأويل، وتارة يقولون : جاء بالتجهيل .

فالفلاسفة ومن وافقهم أحيانا يقولون : خاطب الجمهور **بالتخييل** لم يقصد إخبارهم بالأمر على ما هو عليه، بل أخبرهم بخلاف ما الأمر عليه ليتخيلوا ما ينفعهم . وهذا قول من يعرف بأنه كان يعرف الحق، كابن سينا وأمثاله، ويقولون : الذي فعله من **التخييل** غاية ما يمكن .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤/٢٤٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦٥/٢٥٤

ومنهم من يقول : لم يعرف الحق، بل تخيل وخيل، كما يقوله الفارأبي وأمثاله . ويجعلون الفيلسوف أفضل من النبي، ويجعلون النبوة من جنس المنامات .." (١)

"ص -٤٤٠- وأما أكثر المتكلمين فيقولون : بل لم يقصد أن يخبر إلا بالحق، لكن بعبارات لا تدل وحدها عليه، بل تحتاج إلى التأويل ليبعث الهمم على معرفته بالنظر والعقل، ويبعثها على تأويل كلامه ليعظم أجرها .

والملاحدة يسلكون مسلك التأويل ويفتحون باب القرمطة، وهؤلاء يجوزون التأويل مع الخاصة .

وأما أهل **التخييل** فيقولون : الخاصة قد عرفوا أن مراده **التخييل** للعامة، فالتأويل ممتنع .

والفريقان يسلكون مسلك إلجام العوام عن التأويل، لكن أولئك يقولون : لها تأويل يفهمه الخاصة .

وهي طريقة الغزالي في [الإلجام] . استقبح أن يقال : كذبوا للمصلحة . وهو أيضا لا يرى تأويل الأعمال كالقرامطة، بل تأويل الخبر عن الملائكة وعن اليوم الآخر . وكذلك طائفة من الفلاسفة ترى التأويل في ذلك . وهذا مخالف لطريقة أهل **التخييل** .

وقد ذكر الغزالي هذا عنهم في [الإحياء] لما ذكر إسرافهم في التأويل، وذكره في مواضع، كما حكى كلامه في [السبعينية] وغيرها .." (٢)

"ص -٤٤١- والقسم الثالث : الذين يقولون : هذا لا يعلم معناه إلا الله، أو له تأويل يخالف ظاهره لا يعلمه إلا الله . فهؤلاء يجعلون الرسول وغيره غير عالمين بما أنزل الله . فلا يسوغون التأويل؛ لأن العلم بالمراد عندهم ممتنع . ولا يستجيزون القول بطريقة **التخييل** لما فيها من التصريح بكذب الرسول . بل يقولون : خوطبوا بما لا يفهمونه؛ ليثابوا على تلاوته والإيمان بألفاظه وإن لم يفهموا معناه . يجعلون ذلك تعبدا محضا على رأى المجبرة الذين يجوزون التعبد بما لا نفع فيه للعامل، بل يؤجر عليه .

والكلام على هؤلاء وفساد قولهم مذكور في مواضع . والمقصود هنا أن الذي دعاهم إلى ذلك ظنهم أن المعقول يناقض ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ظاهر ما أخبر به الرسول . وقد بسط الكلام على رد هذا في مواضع، وبين أن العقل لا يناقض السمع، وأن ما ناقضه فهو فاسد . وبين بعد هذا أن العقل موافق لما جاء به الرسول، شاهد له، ومصدق له .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٩٠/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٩١/٢٥٤

لا يقال : إنه غير معارض فقط، بل هو موافق مصدق، فأولئك كانوا يقولون : هو مكذب مناقض . بين أولا أنه لا يكذب ولا يناقض، ثم بين ثانيا أنه مصدق موافق .." (١)

"ص -٢٠٧- هذين في الأحاديث الصحيحة والشيطان كما قد يتمثل في المنام بصورة شخص فقد يتمثل أيضا في اليقظة بصورة شخص يراه كثير من الناس يضل بذلك من لم يكن من أهل العلم والإيمان كما يجري لكثير من مشركي الهند وغيرهم إذا مات ميتهم يرونه قد جاء بعد ذلك وقضى ديونا ورد ودائع وأخبرهم بأمور عن موتاهم وإنما هو شيطان تصور في صورته وقد يأتيهم في صورة من يعظمونه من الصالحين ويقول أنا فلان وإنما هو شيطان.

وقد يقوم شيخ من الشيوخ ويخلف موضعه شخصا في صورته يسمونه روحانية الشيخ ورفيقه وهو جني تصور في صورته وهذا يقع لكثير من الرهبان وغير الرهبان من المنتسبين إلى الإسلام وقد يرى أحدهم في اليقظة من يقول له أنا الخليل أو أنا موسى أو أنا المسيح أو محمد أو أنا فلان لبعض الصحابة أو الحواريين ويراه طائرا في الهواء وإنما يكون ذلك من الشياطين ولا تكون تلك الصورة مثل صورة ذلك الشخص.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي": فرؤيته في المنام حق وأما في اليقظة فلا يرى بالعين هو ولا أحد من الموتى مع أن كثيرا من الناس قد يرى في اليقظة من يظنه نبيا من الأنبياء أما عند قبره وإما عند غير قبره.

وقد يرى القبر انشق وخرج منه صورة إنسان فيظن أن الميت نفسه خرج من قبره أو أن روحه تجسدت وخرجت من القبر وإنما ذلك جني تصور في صورته ليضل ذلك الرائي فإن الروح ليست مماتكون تحت التراب وينشق عنها التراب فإنها وإن كانت قد تتصل بالبدن فلا يحتاج في ذلك إلى شق التراب والبدن لم ينشق عنه التراب وإنما ذلك **تخييل** من الشيطان وقد جرى مثل هذا لكثير من المنتسبين إلى المسلمين وأهل الكتاب والمشركين.

ويظن كثير من الناس أن هذا من كرامات عباد الله الصالحين ويكون من إضلال.." (٢)

"ص -٣٠٢- فصل

ومما يبين أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن من دعا إلى مثل ما دعا إليه لا يخلو من ثلاثة أقسام إما ان يكون نبيا صادقا مرسلا من الله كما أخبر عن نفسه بمنزلة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٩٢/٢٥٤

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٩٢/٤

وغيرهم من الأنبياء الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ﴾ سورة النساء

وأما أن يكون ملكا مسلما عادلا وضع ناموسا سياسيا وقانونا عدليا ينفع به الخلق ويحملهم به على السيرة العادلة بمبلغ علمه كان ان للأمم من يضع لهم النواميس مثل واضعي النواميس من اليونان والهند والفرس وغيرهم وإن كان واضع الناموس مختصا بقوة قدسية ينال بها العلم بسهولة وقوة نفسية يتصرف فيها تصرفات خارجة عن العادة ويكون له قوة **تخييلية** تمثل له في نفسه أشكالا نورانية وأصواتا يسمعها في داخل نفسه فإن هذه الخواص الثلاثة هي التي يقول ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة إنها خواص النبي ومن قامت به كان نبيا والنبوة مكتسبة عندهم ولكن لما كانت هذه موجودة لكثير من الخلق ولم يصل بها إلى قريب من درجة الصديقين أتباع الأنبياء كالخلفاء الراشدين وحواريي عيسى وأصحاب موسى جعلناها من هذا القسم إذ صاحب هذا." (١)

" ذلك إذا حمل على مثل هذا كان محملا صحيحا فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسه مثل ذلك فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها

بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته وإن كان ما رآه مناسبا مشابها لها فالله تعالى أجل وأعظم

وهؤلاء النفاة من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة ونحوهم يزعمون أن الرسل فيما أخبروا به من صفات الرب خيلوا ومثلوا حتى أخرجوا المعقول في مثال المحسوس وكذلك يقول هؤلاء المفلسفة إن ما أخبرت به الرسل من أمر المعاد أمثال مضروبة لتفهيم المعاد العقلي واللذة والألم العقليين ويقول الفارابي وأمثاله إن خاصة الأنبياء جودة التخيل **والتخييل** والكلام على هؤلاء وبيان خطئهم وضلالهم في هذا التخيل والتوهم الذي هو غير مطابق له موضع غير هذا ومن أكثر أسباب غلطهم بناؤهم على أن المعقول الموجود يكون له وجوده في الخارج وهم إذا تدبروا ذلك علموا أن المعقولات التي هي أمور كلية إنما وجودها في الأذهان

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/٣٣٦

لا في الأعيان وإن الخارج لا يكون فيه شيء مما هو معقول مجرد وهو الأمور الكلية إلا أن يراد بالمعقول في قولهم مثلوا المعقول في صورة المحسوس ما يحسه الإنسان بنفسه دون جسده فهذا في الحقيقة محسوس موجود لكن بالحس الباطن والوجد الباطن ليس معقولا محضا ولا في تمثل أن الإنسان يحس جوعه وشبعه ولذته وألمه أنه ينتقل حكمه من الباطن إلى الظاهر كما ينتقل حكم الحس بالظاهر إلى الباطن وإذا قدر وجود النفس بغير بدن فهو يحس بما يجده من لذة وألم وذلك أمر محسوس لها وبجنس أسباب ذلك لا يكون لها معقولا مجردا كليا فإن ." (١)

" فاذا كان بنو آدم متفقين على هذه العادة التي مضمونها الرفع الى الله حين الدعاء وكان ذلك يتضمن قصدهم للاله الذي هناك كان هذا من أعرف المعروف عند جميع بني آدم

الوجه الخمس والعشرون ان يقال هذا العمل يتضمن ثلاثة أشياء الرفع الذي فيه الاشارة الحسية الظاهرة والقصد والارادة التي في القلب التي يقصد بها الصمد الأعلى والاعتقاد الذي هو أصل الذي هو أصل العمل فان كل عمل اختياري لا بد فيه من ارادة وشعور وأنت تزعم أن الثلاثة فاسدة وان هذا العمل التابع للارادة سبب الارادة فيه هو **تخييل** غير مطابق فيقال لك لو كان الأمر كذلك لكان النهي عن ذلك من اعظم الواجبات في الدين اذ ذاك من أعظم المنكرات لتضمنه اعتقادا فاسدا في حق الله تعالى ودعاءا فاسدا متعلقا به وعبادة غير صالحة له ومن المعلوم ان الله قد بعث الأولين والآخرين من النبيين مبشرين ومنذرين ولم ينه أحدا من الأنبياء والمرسلين لبني آدم عن شيء من ذلك لا عن هذا الرفع ولا عن هذا الصمد ولا عن هذا الاعتقاد بل كان الأنبياء موافقين لهم على هذا العمل وذلك يوجب العلم الضروري من دين النبيين أن ذلك عندهم ليس من المنكر بل من المعروف وذلك يبطل كونه مبنيا على اعتقاد فاسد في حق الله تعالى مستلزما له ودالا عليه فان كل ما كان متفرعا عن الاعتقاد الفاسد او كان مستلزما له مثل أن يكون دليلا عليه فانه يجب النهي عنه فان العقائد الفاسدة والمقاصد الفاسدة في حق الله تعالى تجب ازالتها وازالة فروعها وأصولها التي توجبها

واذا كان كذلك فالجهمية تنهى عن هذا الاعتقاد وهذه الارادة فهم ناهون عن معرفة الله تعالى وعبادته وليس هذا مختصا بهذا الموضع بل هم كذلك اذ أصل قولهم هو قول المشركين المنكرين لملة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٧٤/١

ابراهيم ولهذا كان أولهم الجعد ابن درهم الذي ضحى به أمير المشرق يوم النحر وقال ضحوا تقبل الله ضحاياكم ." (١)

"الجهمية والفلاسة فإنها مبنية على ما يقرون هم بأنه مخالف للمعروف من كلام الأنبياء وأولئك يظنون أن ما ابتدعوه هو المعروف من كلام الأنبياء وأنه صحيح عندهم

ولهؤلاء في نصوص الأنبياء طريقتان طريقة التبديل وطريقة التجهيل أما أهل التبديل فهم نوعان أهل الوهم **والتخييل** وأهل التحريف والتأويل

فأهل الوهم **والتخييل** هم الذين يقولون إن الأنبياء أخبروا عن الله وعن اليوم الآخر وعن الجنة والنار بل وعن الملائكة بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله جسم عظيم وأن الأبدان تعاد وأن لهم نعيما محسوسا وعقابا محسوسا وإن كان الأمر ليس كذلك في نفس الأمر لأن من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهمون به

." (٢)

"رسائل إخوان الصفاء والفارابي وابن سينا والسهرودي المقتول وابن رشد الحفيد وملاحدة الصوفية الخارجين عن طريقة المشايخ المتقدمين من أهل الكتاب والسنة كابن عربي وابن سبعين وابن الطفيل صاحب رسالة حي ابن يقظان وخلق كثير غير هؤلاء

ومن الناس من يوافق هؤلاء فيما أخبرت به الأنبياء عن الله أنهم قصدوا به **التخييل** دون التحقيق وبيان الأمر على ما هو عليه دون اليوم الآخر

ومنهم من يقول بل قصدوا هذا في بعض ما أخبروا به عن الله كالصفات الخبرية من الإستواء والنزول وغير ذلك ومثل هذه الأقوال يوجد في كلام كثير من النظار ممن ينفي هذه الصفات في نفس الأمر كما يوجد في كلام طائفة

." (٣)

"

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٤٨٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/٨

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ١/١١

ونفس النبوة تتضمن الخبر فإن النبوة مشتقة من الإنباء وهو الإخبار بالمغيب

فالنبي يخبر بالمغيب ويخبرنا بالغيب ويمتنع أن يقوم دليل صحيح على أن كل ما أخبر به الأنبياء يمكن معرفته بدون الخبر فلا يمكن أن يجزم بأن كل ما أخبرت به الأنبياء هو منتف فإنه يمتنع أن يقوم دليل على هذا النفي العام ويمتنع أن يقول القائل كل ما أخبر به الأنبياء يمكن غيرهم أن يعرفه بدون خبرهم ولهذا كان أكمل الأمم علما المقرون بالطرق الحسية والعقلية والخبرية فمن كذب بطريق منها فاته من العلوم بحسب ما كذب به من تلك الطريق

والمتفلسفة الذين أثبتوا النبوات على وجه يوافق أصولهم الفاسدة كابن سينا وأمثاله لم يقروا بأن الأنبياء يعلمون ما يعلمونه بخبر يأتيهم عن الله لا بخبر ملك ولا غيره بل زعموا أنهم يعلمونه بقوة عقلية لكونهم أكمل من غيرهم في قوة الحدس ويسمون ذلك القوة القدسية فحصروا علوم الأنبياء في ذلك

وكان حقيقة قولهم أن الأنبياء من جنس غيرهم وأنهم لم يعلموا شيئا بالخبر ولهذا صار هؤلاء لا يستفيدون شيئا بخبر الأنبياء بل يقولون إنهم خاطبوا الناس بطريق **التخييل** لمنفعة الجمهور وحقيقة قولهم أنهم كذبوا

". (١)

"لمصلحة الجمهور وهؤلاء في الحقيقة يكذبون الرسل فنتكلم معهم في تحقيق النبوة على الوجه الحق لا في معارضة العقل والشرع

وهذا الذي ذكرته مما صرح به فضلاؤهم يقولون إن الرسل إنما ينتفع بخبرهم الجمهور في **التخييل** لا ينتفع بخبرهم أحد من العامة والخاصة في معرفة الغيب بل الخاصة عندهم تعلم ذلك بالعقل المناقض لأخبار الأنبياء والعامة لا تعلم ذلك لا بعقل ولا خبر والنبوة إنما فائدتها **تخييل** ما يخبرون به للجمهور كما يصرح بذلك الفارابي وابن سينا وأتباعهما

ثم لا يخلوا الشخص إما أن يكون مقرا بخبر نبوة الأنبياء وإما أن يكون غير مقر فإن كان غير مقر بذلك لم نتكلم معه في تعارض الدليل العقلي والشرعي فإن تعارضهما إنما يكون بعد الإقرار بصحة كل منهما لو تجرد عن المعارض فمن لم يقر بصحة دليل عقلي ألبتة لم يخاطب في معارضة الدليل العقلي والشرعي وكذلك من لم يقر بدليل شرعي لم يخاطب في هذا التعارض

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/١٧٩

ومن لم يقر بالأنبياء لم يستفيد من خبرهم دليلا شرعيا فهذا يتكلم معه في تثبيت النبوات فإذا ثبتت فحينئذ يثبت الدليل الشرعي وحينئذ فيجب الإقرار بأن خبر

". (١)

"

ولهذا كان ابن النفيس المتطبب الفاضل يقول ليس إلا مذهبان مذهب أهل الحديث أو مذهب الفلاسفة فأما هؤلاء المتكلمون فقولهم ظاهر التناقض والإختلاف يعني أن أهل الحديث أثبتوا كل ما جاء به الرسول وأولئك جعلوا الجميع **تخييلا** وتوهيما ومعلوم بالأدلة الكثيرة السمعية والعقلية فساد مذهب هؤلاء الملاحدة فتعين أن يكون الحق مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة

ثم إن ابن سينا وأمثاله من الباطنية المتفلسفة والقرامطة يقولون إنه أراد من المخاطبين أن يفهموا الأمر على خلاف ما هو عليه وأن يعتقدوا ما لا حقيقة له في الخارج لما في هذا **التخييل** والإعتقاد الفاسد لهم من المصلحة

والجهمية والمعتزلة وأمثالهم يقولون إنه أراد أن يعتقدوا الحق على ما هو عليه مع علمهم بأنه لم يبين ذلك في الكتاب والسنة بل النصوص تدل على نقيض ذلك فأولئك يقولون أراد منهم اعتقاد الباطل وأمرهم به وهؤلاء يقولون أراد اعتقاد ما لم يدلهم إلا على نقيضه

والمؤمن يعلم بالإضطرار أن كلا القولين باطل ولا بد للنفاة أهل التأويل من هذا أو هذا وإذا كان كلاهما باطلا كان تأويل النفاة للنصوص باطلا

". (٢)

"

والمقصود أن هؤلاء لما سموا هذا النفي توحيدا وهي تسمية ابتدعها الجهمية النفاة لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولا أحد من السلف والأئمة بل أهل الإثبات قد بينوا أن التوحيد لا يتم إلا بإثبات الصفات وعبادة الله وحده لا شريك له كما ذكر الله ذلك في سورتي الإخلاص وعامة آيات القرآن فلما وافقه هؤلاء

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/١٨٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٠٣

الجهمية من المعتزلة وغيرهم على نفي الصفات وأن هذا هو التوحيد الحق احتج عليهم بهذه المقدمة الجدلية على أن الرسل لم يبينوا ما هو الحق في نفسه من معرفة توحيد الله تعالى ومعرفة اليوم الآخر ولم يذكروا ما هو الذي يصلح أو يجب على خاصة بني آدم وأولو الألباب منهم أن يفهموه ويعقلوه ويعلموه من هذا الباب وأن الكتاب والسنة والإجماع لا يحتج بها في باب الإيمان بالله واليوم الآخر لا في الخلق ولا البعث لا المبدأ ولا المعاد وأن الكتب الإلهية إنما أفادت **تخييلا** تنتفع به العامة لا تحقيقا يفيد العلم والمعرفة وأن أعظم العلوم وأجلها وأشرفها وهو العلم بالله لم تبينه الرسل أصلا ولم تنطق به ولم تهد إليه الخلق بل ما بينت لا معرفة الله ولا معرفة المعاد لا ما هو الحق في الإيمان بالله ولا ما هو الحق في الإيمان باليوم الآخر بل ليس عندهم في كلام الله ورسوله من هذا الباب علم ينتفع به أولو الألباب وإنما فيه **تخييل** وإيهام ينتفع به جهال العوام

ولماكان هذا حقيقة قول الملاحدة القرامطة الباطنية صاروا يجعلون أحد رؤوسهم مثل الرسول أو أعظم من الرسول ويسوغون له نسخ

". (١)

"من المعاني التي لا تدرك بالحس والخيال ثم يكون حبه وبغضه لمحل ذلك المعنى تبعا لحبه وبغضه ذلك المعنى فالشاة إذا توهمت أن في الذئب قوة تنافرها أبغضته والتيس إذا توهم أن في الشاة قوة تلائمه أحبها فهذه القوة هي التي تدرك المحبوبات والمكروهات من المعاني القائمة بالمحسوسات وهي التي يحصل بها الرجاء والخوف فيرجو حصول المحبوب ويخاف حصول المكروه ولهذا علقوا الرجاء والخوف بها كما تقدم من كلامهم وجعلوا كمالها في التكييف بهيئة ما ترجوه أو تذكره وقالوا إن خوف الإنسان من الموتى ونحوهم هو بهذه القوة

وعلى هذا فكل حب وبغض ورجاء وخوف لما لم يحسه الحيوان بحسه الظاهر فهو بهذه القوة

ولهذا عظموا شأنها فقال ابن سينا في شفائه في القوة المسماة بالوهم هي الرئيسة الحاكمة في الحيوان حكما ليس فصلا كالحكم العقلي ولكن حكما **تخييليا** مقرونا بالجزئية وبالصورة الحسية وعنه تصدر أكثر الأفعال الحيوانية

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢١/٥

". (١)

"ومن المعلوم أن هذا خلاف قول الطوائف كلها من المثبتة والنفاة حتى من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وإنكار معاد الأبدان فإنهم معترفون بما اعترف به سائر الخلق من أن الظاهر المفهوم منها هو إثبات الصفات

لكن هؤلاء المتفلسفة يقولون إن الرسول لم يرد بيان العلم والإخبار بالأمر على وجهه وإنما أراد **التخييل** وإن تضمن ذلك التدليس وإظهار خلاف ما يبطن والكذب للمصلحة وهذا قول الملاحدة الباطنية

وفساد هذا معلوم من وجوه أكثر مما يعلم به فساد قول الجهمية والمعتزلة ولهذا كان هؤلاء عند المسلمين ملاحدة زنادقة

الوجه الثاني أن يقال التفاسير الثابتة المتواترة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان تبين أنهم إنما كانوا يفهمون منها الإثبات بل والنقول المتواترة المستفيضة عن الصحابة والتابعين في غير التفسير موافقة للإثبات ولم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين حرف واحد يوافق قول النفاة ومن تدبر الكتب المصنفة في آثار الصحابة والتابعين بل المصنفة في السنة من كتاب السنة والرد على الجهمية للأثرم ولعبد الله بن أحمد وعثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن إسماعيل البخاري وأبي داود السجستاني وعبد الله بن محمد الجعفي والحكم بن معبد الخزاعي وحشيش بن أصرم النسائي وحرب بن إسماعيل الكرماني وأبي بكر الخلال ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وأبي القاسم الطبراني وأبي الشيخ الأصبهاني وأبي أحمد العسال وأبي

". (٢)

"النبوة وقال أهل المقالة الثالثة بالحس والنظر والأثر وهم جماعة المسلمين وهو قول علمائنا وبه نقول

قلت تفصيل مقالات الناس مبسوط في غير هذا الموضع فإن الدهرية لا تنكر جنس المعقول بل تنكر من المعقول ما لا يكون جنسه محسوسا وهذا فيه كلام مبسوط في غير هذا الموضع وإنما كفروا بإنكارهم الغيب الذي أخبرت به الرسل والفلاسفة أيضا لا تنكر جنس الخبر بل تقول بالأخبار المتواترة وغيرها ولكن ينكرون استفادة الأمور الغائبة بأخبار الأنبياء وهم قد يعظمون الأنبياء صلوات الله عليهم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٤٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٧/١٠٨

ويوجبون اتباع شرائعهم ويأمرون بقتل من يخرج عنها لكن يجعلون مقصودها هو إقامة مصالح الناس في دنياهم بالعدل الذي شرعته الأنبياء

وأما الأمور الإلهية والمعاد ونحو ذلك فيزعمون أنهم لم يخبروا عنها بما يحصل به العلم ولكن خاطبوا الناس فيه بطريق **التخييل** وضرب المثل الذي ينتفع به الجمهور وحقيقة قولهم هو ما ذكره الخطابي من أنهم لا يجعلون خبر الأنبياء طريقا إلى العلم وقد ذكرنا من كلام من دخل معهم في هذا الأصل الفاسد من المنتسبين إلى المسلمين ما تبين به هذا الأصل وبينا من ضلالهم وكذبهم في هذا القول ما قد بسط في موضعه

". (١)

"يخاطبون بنوع من **التخييل** والتمثيل الذي ينتفعون به فيه كما تقدم كلامه

وهذا كلام الملاحدة الباطنية الذين الحدوا في اسماء الله واياته وكان منتهى أمرهم تعطيل الخالق وتكذيب رسله وابطال دنيه ودخل في ذلك باطنية الصوفية اهل الحلول والاتحاد وسموه تحقيقا ومعرفة وتوحيدا ومنتهى أمرهم هو الحاد باطنية الشيعة وهو انه ليس إلا الفلك وما حواه وما وراء ذلك شيء

وكلام ابن عربي صاحب فصوص الحكم وامثاله من الاتحادية القائلين بوحدة الوجود يدور على ذلك لمن فهمه ولكن يسمون هذا العالم الله فمذهبهم في الحقيقة مذهب المعطلة كفرعون وأمثاله ولكن هؤلاء يطلقون عليه هذا الاسم بخلاف أولئك وايضا فقد يكون جهال هؤلاء وعوامهم يعتقدون انهم يثبتون خالقا مباينا للمخلوق مع قولهم بالوحدة والاتحاد كما رأينا منهم طوائف مع ما دخلا فيه من العلم والدين لا يعرفون حقيقة مذهب هؤلاء لما في ظاهره من الإقرار بالصانع ورسله ودينه وإنما يعرف ذلك من كان ذكيا خبيرا بحقيقة مذهبهم ومن كان كذلك فهو أحد رجلين إما مؤمن عليم أن هذا يناقض الحق وينافى دين الإسلام فذمهم وعاداهم وإما ذنديق منافق علم حقيقة

". (٢)

"حتى يعرف ما قاله هؤلاء مع جواز غلطهم في نفس الأمر فكيف بنصوص الأنبياء في الأمور الإلهية

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٣٣/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٤٣/٨

وإذا وقع في قلبه شبهة الباطنية من الفلاسفة وغيرهم أنهم تكلموا **بالتخييل** والتمثيل لا بإظهار الحقائق إذ لم يمكن إلا ذلك فليس لأحد أن يقبل هذا القول منهم تقليدا لهم بل ينظر في أقواله وأحواله وسائر أموره وأحوال أصحابه هل يطابق قول هؤلاء أم يورث علما ضروريا بأن هؤلاء كاذبون عليهم عمدا أو خطأ إما عنادا وإما ضلالا وهذا مبسوط في موضعه

والمقصود هنا أن هؤلاء المتكلمين الذين جمعوا في كلامهم بين حق وباطل وقابلوا الباطل بباطل وردوا البدعة ببدعة لما ناظروا الفلاسفة وناظروهم في مسألة حدوث العالم ونحوها استطال عليهم الفلاسفة لما رأوهم قد سلكوا تلك الطريق التي هي فاسدة عند أئمة الشرع والعقل وقد اعترف حذاق النظار بفسادها فظن هؤلاء الفلاسفة الملاحدة أنهم إذا أبطلوا قول هؤلاء بامتناع حوادث لا أول لها وأقاموا الدليل على دوام الفعل لزم من ذلك قدم هذا العالم ومخالفة نصوص الأنبياء

وهذا جهل عظيم فإنه ليس للفلاسفة ولا لغيرهم دليل واحد عقلي صحيح يخالف شيئا من نصوص الأنبياء وهذه مسألة حدوث العالم وقدمه لا يقدر أحد من بني آدم يقيم دليلا على قدم الأفلاك أصلا

". (١)

"والنار فيكون الرب مازال معطلا من الكلام والفعال ثم لا يزال معطلا من الكلام والفعال وإنما حدث ما حدث من الكلام والفعال في مدة قليلة جدا بالنسبة إلى الأزل والأبد فبهذا القول وما يترتب عليه أقام على هؤلاء الشناعة أئمة الشرع والعقل ورأى الناس أن في ذلك من مخالفة الشرع والعقل ما لا يجوز السكوت عن رده لكن هؤلاء وإن كانوا ابتدعوا مخالفة للشرع والعقل بحسب نظرهم واستدلالهم فالمتفلسفة المنازعون لهم أبعد عن العقل والشرع وهؤلاء يردون صريح ما تواتر عن الرسل ويزعمون أنهم خيلوا ومثلوا وأما أولئك فقد يتأولون النصوص أو يقولون لها معنى لا نفهمه ولا يقولون إن الرسل قصدت أن تخبر بالأمور على خلاف ما هي عليه بطريق **التخييل** والتمثيل بل كثير مما ينصرونه من بدعهم يظنون أن الرسل قالوه فخطؤهم تارة في تكذيب الناقل وتارة في تأويل المنقول

وأولئك يعلمون صدق الناقل وصدق المنقول عنه ولكن يقولون كلاما مضمونه أنه كذب للمصلحة ولهذا سماهم المسلمون ملحدين فإنهم يلحدون في آيات الله ولهذا يفضي بهم تأويل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٢٧٩

". (١)

"

ولو كان ذلك رؤيا منام ما كذبه في ذلك أحد كما لا نكذب نحن كافرا في رؤيا يذكرها

وقد ذكرنا رؤيته عليه السلام للأنبياء عليهم السلام قبل (في المسألة ٤٣) فأغنى عن إعادته

٦٧ مسألة وأن المعجزات لا يأتي بها أحد إلا الأنبياء عليهم السلام

قال عز وجل ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴾

وقال تعالى ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ وقال تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام أنه قال ﴿ قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين ﴾ ﴿ فألقى عصاه ﴾

وقال تعالى ﴿ فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه ﴾

فصح أنه لو أمكن أن يأتي أحد ساحر أو غيره (٢ * ٢) بما يحيل طبيعة أو يقلب نوعا لما سمى الله تعالى ما يأتي به الأنبياء عليهم السلام برهانا لهم ولا آية لهم ولا أنكر على من سمى ذلك سحرا ولا يكون ذلك آية لهم عليهم السلام

ومن ادعى أن إحالة الطبيعة لا تكون آية إلا حتى يتحدى (٢ * ٢) فيها النبي صلى الله عليه وسلم الناس فقد كذب وادعى مالا دليل عليه أصلا لا من عقل ولا من نص قرآن ولا سنة وما كان هكذا فهو باطل ويجب من هذا أن حنين الجذع وإطعام النفر الكثير من الطعام اليسير حتى شبعوا وهم مئون من صاع شعير ونبعان الماء من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإرواء ألف وأربعمائة من قدح صغير تضيق سعته عن شبر ليس شيء من ذلك آية له عليه السلام لأنه عليه السلام لم يتحد بشيء من ذلك أحدا

٦٨ مسألة والسحر حيل وتخييل لا يحيل طبيعة أصلا

قال عز وجل ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾

فصح أنها تخييلات لا حقيقة لها ولو أحال الساحر طبيعة لكان لا فرق بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كفر ممن أجازه

٦٩ مسألة وأن القدر حق ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٨١/٨

قال الله عز وجل ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها 

". (١)

"حية تفزعهم بذلك، والعادي هو الصائل الذي يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلا، وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز.

وأهل العزائم والأقسام يقسمون على بعضهم ليعينهم على بعض تارة يبرون قسمه، وكثيرا لا يفعلون ذلك بأن يكون ذلك الجني معظما عندهم وليس للمعزم وعزيمته من الحرمة ما يقتضي إعانتهم على ذلك إذ كان المعزم قد يكون بمنزلة الذي يحلف غيره ويقسم عليه بمن يعظمه، وهذا تختلف أحواله فمن أقسم على الناس ليؤذوا من هو عظيم عندهم لم يلتفتوا إليه وقد يكون ذاك م◌نيعا، فأحوالهم شبيهة بأحوال الإنس لكن الإنس أعقل وأصدق وأعدل وأوفى بالعهد؛ والجن أجهل وأكذب وأظلم وأغدر.

والمقصود أن أرباب العزائم مع كون عزائمهم تشتمل على شرك وكفر لا تجوز العزيمة والقسم به فهم كثيرا ما يعجزون عن دفع الجني وكثيرا ما تسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل الجني الصارع للإنس أو حبسه فيخيلوا إليهم أنهم قتلوه أو حبسوه، ويكون ذلك **تخييلا** وكذبا هذا إذا كان الذي يرى ما يخيلونه صادقا في الرؤية فإن عامة ما يعرفونه لمن يريدون تعريفه إما بالمكاشفة وال◌مخاطبة إن كان من جنس عباد المشركين وأهل الكتاب ومبتدعة المسلمين الذين تضلهم الجن والشياطين، وأما ما يظهرونه لأهل العزائم والأقسام أنهم يمثلون ما يريدون تعريفه فإذا رأى المثال أخبر عن ذلك وقد يعرف أنه مثال وقد يوهمونه أنه نفس المرئي، وإذا أرادوا سماع كلام من يناديه من مكان بعيد مثل من يستغيث ببعض العباد الضالين من المشركين وأهل الكتاب وأهل الجهل من عباد المسلمين إذا استغاث به بعض محبيه فقال: يا سيدي فلان فإن الجني يخاطبه بمثل صوت ذلك الإنسي فإذا رد الش◌يخ عليه الخطاب أجاب ذلك الإنسي بمثل ذلك الصوت وهذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة.

وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به إذا كان ميتا. وكذلك قد يكون حيا ولا يشعر بالذي ناداه؛ بل يتصور الشيطان بصورته فيظن المشرك الضال." (٢)

---

(١) المحلى لابن حزم (جزء العقيدة)، ص/٣٦

(٢) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود ص/٧٤

"أحدا حتى يقولا له: إنما نعلمك ما يؤدي إلى الفتنة والكفر فاعرفه واحذره، وتوق العمل به. ولكن الن◌◌اس لم يأخذوا بهذه النصيحة، فاستخدموا، مما تعلموه منهما، ما يفرقون به بين المرء وزوجه. لقد كفر هؤلاء الشياطين الفجرة إذ تقولوا هذه الأقاويل، واتخذوا من أقاويلهم وأساطيرهم ذريعة لتعليم اليهود السحر، وما هم بضارين بسحرهم هذا أحدا، ولكن الله تعالى هو الذي يأذن بالضرر إن شاء، وأن ما يؤخذ عنهم من سحر ليضر من تعلمه في دينه ودنياه، ولا يفيده شيئا، وهم أنفسهم يعلمون حق العلم أن من اتجه هذا الاتجاه لن يكون له حظ أو نصيب في نعيم الآخرة، ولبئس ما اختاره هؤلاء لأنفسهم لو كانوا يعلمون. (١)

هل للسحر حقيقة؟

اختلف العلماء في ذلك فمن قائل: إنه **تخييل** لا حقيقة له: ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [طه:٦٦]،ومن قائل: إن له حقيقة كما دلت عليه آية البقرة، والصحيح أنه نوعان: نوع هو **تخييل**، يعتمد على الحيل العلمية وخفة الحركة، ونوع له حقيقة، يفرق به بين المرء وزوجه، ويؤذى به ...

سحر اليهود للرسول – صلى الله عليه وسلم –:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سحر النبي – صلى الله عليه وسلم –،وقال الليث: كتب إلي هشام أنه سمعه ووعاه عن أبيه، عن عائشة قالت: سحر النبي – صلى الله عليه وسلم –،حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا، ثم قال:" أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان: فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما للآخر ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم، قال: فيما ذا، قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر، قال فأين هو؟ قال: في بئر ذروان " فخرج إليها النبي – صلى الله عليه وسلم –،ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: «نخلها كأنه رءوس الشياطين» فقلت استخرجته؟

---

(١) – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص:١٠٩،بترقيم الشاملة آليا)." (١)

"قلت: لم أر شيئا، فقالا لي: لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري. فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. فذهبت، فاقشعررت وخفت. ثم رجعت إليهما، فقلت: قد فعلت، فقالا: فما رأيت؟ فقلت: لم أر شيئا، فقالا: كذبت لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري، فإنك على رأس أمرك. فأبيت،

---

(١) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود ص/٢٢٤

فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. فذهبت إليه فبلت فيه، فرأيت فارسا متقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عني حتى ما أراه، فجئتهما فقلت: قد فعلت، فقالا: ما رأيت؟ فقلت: فارسا متقنعا خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه، فقالا: صدقت، ذلك إيمانك خرج منك اذهبي. فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئا وما قالا لي شيئا، فقالت: بلى، لن تريدي شيئا إلا كان، خذي هذا القمح فابذري، فبذرت، فقلت: أطلعي، فأطلعت، وقلت: أحقلي، فأحقلت، ثم قلت: أفركي. فأفركت، ثم قلت: أيبسي، فأيبست، ثم قلت: أطحني. فأطحنت، ثم قلت: أخبزي، فأخبزت. فلما رأيت أني لا أريد شيئا إلا كان سقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين، والله ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا " (١)

قال أهل هذه المقالة بما وصفنا واعتلوا بما ذكرنا، وقالوا: لولا أن الساحر يقدر على فعل ما ادعى أنه يقدر على فعله ما قدر أن يفرق بين المرء وزوجه، قالوا: وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وذلك لو كان على غير الحقيقة، وكان على وجه التخييل والحسبان، لم يكن تفريقا على صحة، وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يفرقون على صحة. وقال آخرون: بل السحر أخذ بالعين .. " (٢)

ولا يقال: إن سحر الرسول – صلى الله عليه وسلم – يوجب له لبسا في النبوة والرسالة؛ لأن أثر السحر لم يتجاوز ظاهر الجسم الشريف، فلم يصل إلى القلب والعقل. فهو كسائر الأمراض التي قد تعرض له، والتشريع محفوظ بحفظ الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩].

---

(١) – وإسناده صحيح

(٢) – تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢/ ٣٥٢) صحيح مرسل." (1)

"عقيدة ابن سينا

Q هل ابن سينا كافر أم أنه رجع عن الفلسفة في آخر حياته؟

A ابن سينا من الفلاسفة المتأخرين، ويسمونه المعلم الثالث، والمعلم الأول أرسطو، والمعلم الثاني الفارابي، وأرسطو هو أول من ابتدع القول بقدم العالم، وخالف الفلاسفة الذين قبله، وكان الفلاسفة والأساطين قبل أرسطو يعظمون الشرائع والإلهيات، ويثبتون وجود الله، وأن الله فوق العرش، وأن العالم حادث خلقه الله، ومنهم أفلاطون شيخ أرسطو، فلما جاء أرسطو ابتدع قولا عظيما، ابتدع القول بأن العالم قديم كقدم الله،

---

(١) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود ص/٢٢٧

لم يخلقه الله بمشيئته وقدرته، ولم يثبت وجودا لله إلا من جهة كونه مبدأ عقليا للكثرة، وعلة غائية لحركة الفلك فقط، يقول: مبدأ الكثرة هو الله، وهو الذي يحرك الفلك، ثم جاء الفارابي –وهو أول من وضع علم صروف المنطق– وتوسع في علم المنطق، وصاروا يسمونه المعلم الأول، ولم يثبت وجودا لله ولا للملائكة، ولا للكتب، ولا للرسل، ولا لليوم الآخر، ولا للقدر، ثم جاء أبو علي بن سينا –ويسمونه المعلم الثالث– فحاول أن يجمع بين الفلسفة والإسلام، وأن يقرب الإسلام من الفلسفة، لكن في محاولته الشديدة لم يصل إلى ما وصلت إليه الجهمية الغالية في التجهم، فالجهمية الغالية في التجهم أحسن حالا منه وأصح مذهبا، مع أن غالب الجهمية الغالية في التجهم لا يثبتون شيئا من الأسماء والصفات، فلما جاء ابن سينا أثبت وجودين، فقال: هناك وجودان: وجود واجب ووجود ممكن، فالوجود الواجب هو وجود الله، والوجود الممكن هو وجود المخلوق، لكن الواجب ليس له اسم ولا صفة ولا علم ولا قدرة ولا سمع، ولا خلق الخلق بقدرته، بل وجوده مطلق في الذهن، وهذا من محاولته في التقريب إلى الإسلام.

أما الفارابي وأرسطو فما أثبتا أي شيء أبدا، لكن ابن سينا حاول التقريب، ولذلك أثبت الملائكة على أنهم أشكال نورانية، وليسوا ذواتا تصعد وتنزل، بل هم أشكال نورانية، وأثبت الإسلام على أنه عبارة عن أمور معنوية، أو هو القوى العقلية التي تبعث الخير، والكتب هي فيض معنى يسير من العقل الفعال على رجل عبقري، والرسول رجل عبقري توافرت فيه قوة الإدراك **والتخييل** والتأثير، وهذه الصفات يمكن أن يحصل عليها الإنسان المران والخبرة والكسب، وليست هبة من الله، بل هناك أعلى منها، فالفلسفة عنده أعلى منها، وكثير من الفلاسفة لا يرضى بالنبوة، ويقول: النبوة منزلة ليست عالية، بل هي منزلة هابطة، وهناك ما هو أعلى منها، وهو الفلسفة، فالنبوة فلسفة العامة، والفلسفة نبوة خاصة، والنبوة الخاصة أعلى من العامة، ولا يثبتون اليوم الآخر ولا البعث ولا النشور ولا الجنة ولا النار، ولا الشرائع، فليس هناك حلال ولا حرام، والرسل أمثال مضروبة لتهذيب العوام، والرسول رجل عبقري يفهم الناس، فيقول: هناك جنة ونار، وبعث وحساب حتى يعيش الناس بسلام، ولا يعلو أحد على أحد، وإلا فإن الواقع أنه لا يوجد جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور! هذا مذهب ابن سينا.

ويسميه ابن القيم (إمام الملحدين) كما في إغاثة اللهفان في الجزء الثاني، وله كتاب (الإشارات)، كله إلحاد وزندقة، ونصير الدين الطوسي الذي تسبب في جلب التتار إلى بلاد المسلمين وسقوط بغداد أخذ كتاب (الإشارات) لـ ابن سينا وأراد أن يلغي القرآن، فحين لم يوافقه الناس قال: هذا قرآن الخواص –يعني كتاب ابن سينا – وهذا قرآن العوام! وحاول أن يختصر الصلوات الخمس إلى صلاتين، نسأل الله السلامة

والعافية.

ويقول ابن سينا عن نفسه: أنا وأبي من دعوة الحاكم العبيدي، ودعوة الحاكم العبيدي رافضي خبيث، لا يؤمن بالله، ولا بملائكته، ولا بكتبه، ولا برسله، ولا باليوم الآخر، ولا بالقدر.

وبعض الناس يغتر فيقول: ابن سينا الفيلسوف الإسلامي! ويعتز به، وقد سميت باسمه مدارس ومؤلفات، صحيح أنه طبيب، وله كتاب القانون، فيه شيء من الطب وشيء من الصيدلة، لكن لا ينبغي أن يسمى باسم هذا الملحد، فهو ملحد ليس من الإسلام في شيء، لكن بعض الناس وبعض الأدباء وبعض المذيعين لا يعرفون حاله، فيعتزون به ويقولون: فلاسفة الإسلام الفارابي وابن سينا نعتز بهم! وهؤلاء ملاحدة زنادقة ليسوا من الإسلام في شيء.

أما كونه رجع عن الفلسفة فلا ندري به، لكن كتبه ومؤلفاته في إنكار البعث موجودة، حيث ويقول: إن البعث للأرواح.

وله كتاب (النجاة)، وإذا ثبت أنه رجع ووجد ذلك في كتاب وعرف تأريخه فلا بأس، وما يذكره بعض الناس في ذلك احتمالات تحتاج إلى دليل، فهذه مؤلفاته وهذا هو اعتقاده، نسأل الله السلامة والعافية.." [1]

"حقيقة السحر وخياله

واختلف العلماء هل السحر له حقيقة، أو كله خيال؟ فذهب بعض العلماء إلى أنه **تخييل**، وينسب هذا إلى قوم من المعتزلة، وإلى بعض الأحناف.

والصواب أن السحر نوعان: نوع حق، أي: له حقيقة، والنوع الثاني: **تخييل**، والدليل على أن منه ما هو خيال قول الله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [طه:٦٦] والضمير يعود إلى موسى عليه الصلاة والسلام في قصة السحرة لما وضعوا الحبال والعصي، ووضعوا عليها الزئبق، فصارت تتلون في الشمس، فموسى عليه الصلاة والسلام -كما قال تعالى عنه- ﴿أوجس في نفسه خيفة﴾ [طه:٦٧] وخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، فقال الله له: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [طه:٦٨ - ٦٩] فألقى موسى العصا، فابتلعت جميع ما في الوادي من العصي والحبال التي وضعوها.

فهذه عصي وحبال وضعوها، ووضعوا عليها الزئبق فجعلت تتلون، فخيلوا للناس أنها حيات وعقارب، ولهذا قال الله: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [طه:٦٦].

---

(١) دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٣/٦

وهذا النوع من الخيال يسحر الساحر به أعين الناس فقط، ويكون الشيء المرئي ليس على حقيقته.

النوع الثاني: السحر الحقيقي، أي: له حقيقة تؤثر في القلوب والأبدان بالمرض والقتل وبتغيير العقل، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [الفلق:١ – ٥].

فالنفاثات: السواحر اللاتي يعقدن العقد، وينفثن في عقدهن، فلولا أن للسحر حقيقة لما أمر الله بالاستعاذة منه، وبما أن الخيال لا يؤثر إلا في العيون فقط لم يأمر الله بالاستعاذة منه، فلما أمر الله بالاستعاذة من السحر؛ دل على أن له حقيقة، فلو لم يكن للسحر حقيقة لما أمر الله بالاستعاذة منه، قال تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ [الفلق:٤]، وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير، وهو أن السحر نوعان: نوع له حقيقة، يؤثر في القلوب والأبدان ويمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ونوع هو خيال.

وقد ثبت في الصحيحين (أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر، فكان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله)، وقد أنكر بعض الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر، وظن أن هذا يقدح في شخصه عليه الصلاة والسلام، وهذا غلط؛ لأن هذا ثابت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر في مشط ومشاطة، في وعاء طلع النخل، وجعل في صخرة أسفل بئر ذروان.

والمشط معروف، والمشاطة: ما يحصل من الشعر حينما يمشط الشعر بالمشط، فيسقط بعض الشعر، وهذه تسمى مشاطة، وقد جعلهما الساحر في جف طلعة ذكر، وهو وعاء الطلع، ويسمى حبوب اللقاح الذي يلقح به النخلة.

فأخذ هذا الوعاء –وعاء طلع الذكر– وجعله في مشط ومشاطة، وجعله في صخرة تحت بئر ذروان، فكأن النبي صلى الله عليه وسلم أصابه شيء في جسده، وصار يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله.

ثم جاءه ملكان على صورة رجلين في رؤيا –ورؤيا الأنبياء وحي– فقعد أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر: ما بال الرجل؟ فقال: مطبوب.

يعني: مسحور، والسحر يسمى طبا تفاؤلا بالسلامة، كما يسمى اللديغ سليما، تفاؤلا له بالسلامة، فكذلك المسحور يسمونه مطبوبا تفاؤلا له بالطيب والسلامة.

قال: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، فسأله: في أي؟ قال: في مشط ومشاطة، في جف طلعة ذكر، في بئر ذروان.

فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم أمر بأن يستخرج السحر، فذهب إلى تلك البئر، واستخرج السحر،

ثم أمر بالبئر فدفنت، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لـ عائشة: (يا عائشة! والله لكأن ماء هذه البئر نقاعة الحناء، وكأن نخلها رءوس الشياطين) فقالت له عائشة: أفلا تنشرت، فقال النبي: (أما أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن أثير على الناس شرا) أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وجاء في بعض الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم استخرج السحر، وفي بعضها أنه لم يستخرجه، وجمع العلماء بينهما أن النبي صلى الله عليه وسلم استخرج وعاء طلع النخل، ثم أزيل السحر؛ ولكنه لم يستخرج ما بداخله من المشط والمشاطة.

ثم أمر بهذه البئر فدفنت، ولم يعاقب النبي صلى الله عليه وسلم لبيد بن الأعصم اليهودي.

وهذا السحر الذي أصاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يقدح في عصمته، فلم يؤثر في عصمته ولا في عقله عليه الصلاة والسلام، ولا في تبليغه الرسالة، وإنما في شيء يتعلق بأمور الدنيا، ويتعلق بجسده، فكان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، لكنه لم يتعلق بعقله، ولا بتبليغه الرسالة، ولا بعصمته عليه الصلاة والسلام، وإنما هذا الذي أصابه من السحر نوع من المرض كسائر الأمراض، لا يقدح في عصمته عليه الصلاة والسلام كما يظن ذلك بعض الناس، فالصواب أن ذلك لا يقدح في عصمته عليه الصلاة والسلام، وليس له تأثير على تبليغ الرسالة، ولا على عقله ولا فكره عليه الصلاة والسلام.." (١)

"سياق ما روي في أن السحر له حقيقة

إن الحمد لله تعالى، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

هل السحر حقيقة أم خيال؟ والخيال: بمعنى **التخييل**، والوهم: أن يتوهم الإنسان أن التراب صار ذهبا، أو أن الذهب صار ترابا، أم أنه بالفعل قد صار الأبيض أسود، أو صار الأسود أبيض؟ اختلف العلماء: هل للسحر حقيقة في قلب طبائع الأشياء وأصولها، أم أنه ما هو إلا **تخييل؟** يقول الله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [طه:٦٦] فهل هذا **تخييل** أم أنها بالفعل كانت تسعى، فانقلبت وتحولت من عصا إلى حية؟ أم أنه خيل إليه فقط أنها تسعى، وهي في حقيقة الأمر لا تسعى؟ اختلف أهل العلم في هذه القضية: هل للسحر حقيقة أم أنه خيالات وأوهام؟ وهذه مسألة محل بحث، وسوف نسرد الأدلة فيها فيما

---

(١) دروس في العقيدة – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٣/٩

يلي: أولا: قال الله عز وجل: ﴿ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ [البقرة:١٠٢].
فتبين بهذا أن السحر علم، وباتفاق أهل العلم أنه من العلوم الضارة.
والعلوم: إما نافعة، وإما ضارة.
فالعلوم النافعة: هي التي تخدم دين الله عز وجل، أو أنها هي من دين الله، كعلم التفسير، وعلم التوحيد والعقيدة، وعلم الحديث وعلم الفقه، والعلوم التي تخدم هذه العلوم وهي علوم الآلة: كعلم اللغة العربية والأدب وغير ذلك، وأصول الفقه وأصول الحديث، كل هذه العلوم تسمى علوم الآلة، وهي التي نتوصل من خلالها إلى فهم كتاب الله تعالى، وفهم سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وفهم الفقه الصحيح على هذه الأصول الشرعية.
فالعلوم هذه هي العلوم النافعة، ومن العلوم النافعة كذلك: العلوم التي تخدم عمارة الكون بما لا يتعارض مع دين الله عز وجل، كعلوم الطب والفيزياء والهندسة وغير ذلك.
أما العلوم الضارة فهي العلوم المحرمة، كعلم النجوم، أن تتعلم من النجوم ما يعارض الشرع، وعلم السحر وعلم التنجيم، وعلم السيمة الذي يعرف عند السلف بعلم السيمياء، وهو الذي عبر عنه بعض المفسرين: بمعرفة طبائع وأصول الأحرف، فهذا علم قد تبنته البهائية يقولون: بسم الله الرحمن الرحيم، الباء تعني كذا والسين تعني كذا، والميم تعني كذا، وهذا في الحقيقة لا علاقة له أبدا بالمنهجية السلفية في تفسير كتاب الله عز وجل.
فهذا من العلوم الضارة كذلك، وقد تبنته بعض الفرق الضالة، وغير ذلك من العلوم التي تتعارض مع دين الله عز وجل حلا وحرمة.
وقال تعالى: ﴿فلما جاء السحرة﴾ [يونس:٨٠]؛ أي: الذين يسحرون غيرهم.
وقال تعالى: ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف:١١6].
فهذه الآيات كلها تدل على أن للسحر حقيقة، وهذا مذهب جماهير العلماء أن السحر له حقيقة.
قال المصنف رحمه الله تعالى: [وعن عمر، وعثمان، وجندب، وعائشة، وحفصة أنهم أمروا بقتل الساحر وقالوا: حد الساحر ضربة بالسيف].." (١)
"الرد على من أنكر أن النبي سحر
قال: [قال النبي عليه الصلاة والسلام: (أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على أحد شيئا) -يعني: أنا

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٦٢/٢

أكره أن أثير على أحد ولو كان يهوديا شيئا تقوم به الفتنة- ونزلت: ﴿قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق﴾ [الفلق:١ - ٢] إلى آخر السورة].

وهذا الحديث في صحيح البخاري، ومسلم.

والعجيب أن هذا الحديث أثار جدلا لدى الأوساط العلمية، لكن في الحقيقة: لم يقل بتأويل هذا الحديث وصرفه عن ظاهره إلا كل إنسان فقد عقله، أو على الأقل لم تنضبط عنده الأصول العلمية السلفية.

فالكثير يستنكر هذا الحديث ويقول: هو حديث في غاية النكارة.

وليس في الحديث نكارة، ونحن قد علمنا أن الحديث في الصحيحين، اتفق عليه البخاري ومسلم، فكيف يحكم عليه بالنكارة، وإذا كان الحديث متفقا عليه فهو في أعلى درجات الصحة؟ فكيف يحكم عليه بالنكارة لمجرد أن عقول هؤلاء لم تقبله؟ ولم يقل بإنكار هذا الحديث إلا المعتزلة والجهمية.

المعتزلة الذين اعتمدوا العقل أصلا في قبول الأخبار أو ردها، فما وافق العقل من الأخبار قبلوه، وما رده العقل من الأخبار ردوه ولم يعتمدوه.

واعتبروا أن العقل حاكم على النص، والحقيقة عند أهل السنة: أن النص حاكم على العقل، وإلا لو كان العقل حاكما على النص، فالعقول مختلفة ومتباينة، فما يقبل هذا لا يقبله ذاك والعكس بالعكس، وبالتالي: لا تنضبط الأمور العلمية، ولا تستقر الأحكام الشرعية، فيحصل اضطراب وخلل في المسائل الشرعية، بل في دين الله عز وجل كله.

ولذلك قبل العلماء هذا الحديث؛ لأنه قد توفرت فيه شروط الثبوت كلها، ومعلوم أن شروط القبول أو الثبوت كثيرة جدا اتفق العلماء على بعضها واختلفوا في البعض الآخر.

أما ما اتفقوا عليه بغير منازع فهو: شرط اتصال الرواية، وعدالة الرواة، وضبط الرواة، وانتفاء الشذوذ والعلة، هذه خمسة شروط اتفق عليها العلماء.

فهذا الحديث قد توفرت فيه هذه الشروط الخمسة.

واتفق البخاري ومسلم على إخراج هذا الحديث، وكما يقول العلماء: الأحاديث المتفق عليها عند البخاري ومسلم في أعلى درجات الصحة، ليس صحيحا فحسب، بل في قمة درجات الصحة، فكيف ترد هذه الأخبار لمجرد التوهم العقلي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسحر؟ ثم يثيرون شبهة أخرى فيقولون: سحر النبي عليه الصلاة والسلام يؤدي إلى إبطال الشرع بعدم الوثوق في كلام النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله، وأنه يأتي نساءه ولم يأتهن، لكن يخيل إليه ذلك.

فما المانع أن يخيل إليه أن الله تعالى أوحى إليه وفي الحقيقة لم يوح إليه؟ فيتكلم بكلام يظن أنه وحي وليس الأمر كذلك.

هكذا أثاروا هذه الشبهة، والرد عليها: أن **التخييل** في السحر: هو من باب الأمراض التي تلحق الأنبياء، فإن الأنبياء يبتلون ويمرضون، ويعذبون، كما فعلت بنو إسرائيل في أنبيائها، والنبي عليه الصلاة والسلام كان يمرض بالحمى وبالسخونة، وكان يوعك في فراشه وعك اثنين منكم، كما قال: (إني أوعك كما يوعك الاثنين منكم)، يعني: يتألم، وقال في سكرة الموت: (إن للموت لسكرات)، وكان يعاني منها عليه الصلاة والسلام.

والنبي صلى الله عليه وسلم جلس مدة من الزمان قبل أن يموت بساعات وهو مريض أصابته الحمى، وغير ذلك من الأمراض التي يشترك فيها الأنبياء مع غير الأنبياء.

وهذا أمر لا يؤثر على الوحي مطلقا، ودليل ذلك: أن النبي عليه الصلاة والسلام لم ينس شيئا مما أوحى الله تعالى به إليه، وكلفه أن يبلغ ذلك إلى الأمة.." (١)

"القرآن كلام الله تعالى

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [النساء:١].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ [الأحزاب:٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: القرآن كلام الله غير مخلوق، يجب اعتقاد هذا، وسوف أدلل على هذه المسألة وأبين الشاهد ووجه الاستدلال ومحل الاستدلال من الأدلة.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٦٢/٥

قال الله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء:١٦٤] محل الشاهد: (وكلم الله) الفعل مضاف إلى الله، والله هو الفاعل، ثم أكد بالمصدر وهو المفعول المطلق المؤكد للفعل، ولم يقل: **تخييلا** ولا خلقا، وإنما قال: (تكليما)، فهذا مفعول مطلق مؤكد للنوع، والنوع هنا المبين هو الكلام، فالله جل وعلا هو المتكلم والسامع هو موسى عليه السلام.

وقال الله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة:٦]، هذا دليل على أن القرآن كلام الله، وأن الله متكلم، وأن الكلام صفة من صفات الله.

وجه الشاهد وكيفية الاستدلال هو: ((حتى يسمع كلام الله)) الكلام مضاف إلى الله جل وعلا، والمضاف إلى الله نوعان: أعيان ومعان، إضافة الأعيان مثل: بيت الله الكعبة، فهي عين قائمة بذاتها، والإضافة هنا إضافة مخلوق لخالقه، وهي إضافة تشريف.

مثال آخر: عيسى روح الله، فهل الروح معنى أم عين؟ الروح عين قائمة بذاتها، فإنها تؤخذ على حنوط والملك يسحبها، وتعلق في الشجرة، فهي عين قائمة بذاتها، لذلك: عيسى روح الله مضاف إلى الله إضافة تشريف.

النوع الثاني: إضافة المعاني، مثل قولك: كلام الله، فهل الكلام عين قائمة بذاتها؟ وهل جدتم كلاما يمشي أمامكم ترونه وتسلمون عليه؟ الكلام معنى، كذلك قولك: وعزة الله لأفعلن كذا وكذا، هذه صفة لموصوف، كذلك قولك: قدرة الله ورحمة الله، وكرم الله، وعطاء الله، كل هذا من إضافة المعاني، فإضافة الكلام إلى الله جل وعلا إضافة صفة إلى موصوف.." (١)

"عقيدة الفلاسفة في القرآن الكريم

الفلاسفة قالوا بالعقل الفياض، وسموا الله جل وعلا العلة الفاعلة، وقالوا عن القرآن: إنه فيض فاض على محمد صلى الله عليه وسلم ثم جاءه **تخييل**، أي: تخيل أن هناك صورة بيضاء جاءته تسمى جبريل.

وهذا كلام ابن سينا والفارابي وهو منسوب لـ أرسطو أيضا.." (٢)

"الفلاسفة

الطائفة الثانية: الفلاسفة مثل: أرسطو والفارابي وابن سيناء، هؤلاء يقولون: إن القرآن لم يتكلم الله به حقيقة، ولكنه فيض فاض من العلة الفعالة، فسموا الله جل وعلا بالعلة الفعالة، وهذه من الأسماء التي لم يسم الله

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٢/١٤

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٧/١٤

جل وعلا نفسه، قالوا: فقابل نفسا زكية، يقصدون محمدا صلى الله عليه وسلم، فأوجب لها تخيلات وتصورات، فتصور ملكا يدعى جبريل، يقرأ عليه كلاما سماه قرآنا، فأملاه على الناس على أنه من جبريل.

والرد عليهم من وجهين: الوجه الأول: الأدلة التي تثبت أن القرآن كلام الله، كقوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء:١٦٤]، فلم يقل الله عز وجل: وكلم الله موسى **تخييلا**، أو تصويرا، بل قال الله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء:١٦٤]، فتكليما: مفعول مطلق يؤكد أن الذي صدر منه الكلام هو الله، وهو كلام حقيقي وليس تخيلا ولا إفاضة على النفس الزكية.

الوجه الثاني: لازم قولهم يضاهي قول مشركي العرب، فقد قالوا: إن القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وسلم، وقالوا عنه: شعر من شعره صلى الله عليه وسلم، وهذا مثل كلام الفلاسفة، لكنهم قالوا: هو نفس زكية تتخيل وتتصور بعض الأنوار الملائكية، أو تتصور ملكا يسمى جبريل يأتيه بهذا الكلام، وهذا الكلام منتقض بقول الله تعالى: ﴿وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون﴾ [الحاقة:٤١ - ٤٢].." (١)

"مذاهب أهل السنة في رؤية المؤمنين لربهم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [النساء:١].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ [الأحزاب:٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فإن الناس قد انقسموا في رؤية المؤمنين لربهم على أقوال ثلاثة: القول الأول: إن المؤمنين يرى الله في الدنيا والآخرة، وإلى ذلك ذهب أهل الوجد والتصوف وأهل **التخييل** والخيالات، كـ ابن عربي وغيره.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٤/١٦

القول الثاني: إن الله لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة، وإليه ذهب المعطلة الجهمية.
والقول الثالث: وهو الوسط بين الطرفين، وهو قول أهل السنة والجماعة وسلف الأمة، الذين قالوا برؤية الله جل وعلا في الآخرة دون الدنيا.
الطائفة الأولى الذين قالوا: إن الله يرى في الدنيا والآخرة يرد عليهم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم كما في مسلم: (إنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت) ففي هذا دلالة على أن الله جل وعلا لا يرى في الدنيا، وقال الله تعالى جوابا لأحب الخلق إليه في ذلك الوقت وهو موسى عليه السلام وذلك عندما سأل الله جل وعلا رؤيته: ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾ [الأعراف:١٤٣].
فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت) وحتى هنا للغاية، أي: أنه بعد البعث يمكن أن يرى ربه جل وعلا.." (١)
"السحر تعريفه وأقسامه
السحر في اللغة: كل ما خفي سببه، وهو قسمان: سحر حقيقي، وسحر **تخييلي**.
القسم الأول: السحر الحقيقي: وهو نوعان: النوع الأول: سحر يستخدم فيه الساحر الاستعانة بالشياطين، كما قال الله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ [البقرة:١٠٢]، فهذا النوع فيه استخدام الشياطين والجن، حيث يستمتع به الإنس، ويلبي له رغباته في الإضرار بالآخرين، أو في جلب المنفعة له أو دفع المضرة عنه، في شيء لا يستطيعه البشر وهو في قوة الجان، وهذا ليس بدون مقابل؛ لأن الجني لا يمتع الإنسي بهذه الطلبات إلا وهو أيضا يتمتع منه، فيجعل هذا الآدمي يشرك بالله، ويعمل المنكرات، ويقدم القرابين للجن، وهكذا يستمتع كلا منهما بالآخر، وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم﴾ [الأنعام:١٢٨]، فقوله جل وعلا: ﴿استمتع بعضنا ببعض﴾ [الأنعام:١٢٨]، فيه دلالة واضحة على أن الإنسي يستمتع بالجني وأيضا الجني يستمتع بالإنسي، حتى في أمر الجماع، فإن الجني يشارك الإنسي في ذلك، وليس هذا مقام التفصيل في هذا الموضوع.
النوع الثاني من أنواع السحر الحقيقي: استخدام الساحر للعقاقير والأدوية، يعني: يضعها في مشروب ويقدمه للذي يريد أن يسحره، فتقع في معدة الرجل، فيتأثر به بدنه وعقله وذهنه، وحياته كلها تنقلب رأسا

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٢/٢٦

على عقب، وترى ذلك بالتجربة، فإذا قرأ المعالج على الذي شرب السحر، فإن معدته تغلي كالمرجل، فيرى تحركات غريبة في معدته، وهذا من أثر السحر.

فالنوع الأول من القسم الأول هو من أكبر الكبائر؛ لأنه شرك أكبر، فالساحر يستعين بغير الله جل وعلا، ونحن شرطنا في الاستعانة بغير الله جل وعلا شروطا: أن يكون المستعان به حيا حاضرا قادرا، وذلك حتى تكون هذه الاستعانة غير شركية، أما إن كان غائبا، مثل الشياطين والجن، فهذه الاستعانة كفرية شركية، ويتدرج به المرء من الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر، فهذه من الكبائر، ويدخل هذا النوع في الخلاف المشهور بين العلماء: هل الكبائر لها مكفرات من الأعمال أم لا؟ وقلنا: إن هذه المسألة فيها قولان لأهل العلم: أحدهما: أن الأعمال تكفر الكبائر، بدليل حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (هل يبقى من درنه شيء؟) فإن كان بسبب ثواب يوم وليلة لا يبقى من درنه شيء، فكذلك الأعمال تكفر الكبائر.

أما النوع الثاني من القسم الأول فهو ظلم ليس بشرك.

القسم الثاني: السحر **التخييلي**: وهو ليس سحرا حقيقيا، وإنما هو خفة يد، أو خفة حركة، فهو يسحر الأعين، لا يقلب الحقائق، وهذا كما قص الله علينا في سحرة فرعون، فإنهم كانوا لا يقلبون الحقائق، يعني: أن الحبال لم تقلب حيات حقيقة، بل كانت محشوة بزئبق، وكانت تتحرك أمام الناس، ولذلك قال الله تعالى: ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف:١١٦]، فهذا النوع أيضا من المنهي عنه؛ لأن فيه تزييف وتزوير وغش، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من غشنا فليس منا)، فهو أيضا من الكبائر.." (١)

"أقسام السحر

السحر سحران كما قسمه العلماء، سحر حقيقي، وقد اختلف العلماء فيه اختلافا كثيرا، وأنكره المعتزلة كما سنبين في مسألة سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وسحر **تخييلي**، والسحر الحقيقي لا يقلب الأشياء على الصحيح، فقد اختلف العلماء هل هذا السحر يقلب الأعيان أولا، يعني: هل يقلب الإنسان إلى قرد، أو القرد إلى إنسان، فهذا اختلف فيه أهل السنة والجماعة، والغالب المقصود هو هذا النوع وهو السحر الحقيقي، وهذا السحر لا يمكن للإنسان أن يصل إليه وأن يتمرس فيه حتى يؤدي القرابين إلى من يعلمه ذلك وهم الشياطين، فلا يمكن للإنسان أن يقرع باب السحر المؤثر حقيقة بإذن الله الكوني إلا أن يقدم القرابين للشياطين كما سنبين كيفية تعليم السحر.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٣/٤٤

والنوع الثاني من السحر: السحر **التخييلي**، والسحر **التخييلي** ليس له تأثير أبدا، وإنما تأثير يكون على الرؤية فقط، فهو خداع وتلبيس وتضليل، فيسحر أعين الناس، كما هو حال سحرة فرعون، قال الله عنهم لما قال لهم موسى: ﴿قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف:١١٦]، فعظم الله هذا الفعل من التدليس والتلبيس على الناس وقلب الحقائق في أعينهم، فقد رموا بالحبال المطلية بالزئبق والمواد الكيماوية التي يستعملونها والعقاقير، فتحركت فتخيل الناس أنها حيات وثعابين، والحق أنها حبال لا روح فيها؛ ولذلك لما ألقى موسى عصاه فتلقفت كل هذه الحيات آمن السحرة؛ لأنهم علموا أن هذا حق وأن هذه الروح من عند الذي خلقها سبحانه وتعالى.

ومثل هذا ما يفعله الآن بعض السحرة الذي بخفة يده يضحك على الناس، فيخرج الدرهم من يد أحدهم أو يلعب بالبيضة يخرجها من أذن الرجل أو من جيب الرجل، فكل هذه من أنواع السحر **التخييلي**، وهذا لا يصل إلى الكفر كما سنبين.." (١)

"أقوال العلماء في حكم السحر

وأما حكم السحر فقد قلنا: إن السحر نوعان: نوع حقيقي ونوع **تخييلي**، فاتفق الجمهور من المالكية والحنابلة والأحناف على أن السحر كله كفر بنوعيه، واحتجوا على ذلك بعمومات الأدلة كقول الله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ [البقرة:١٠٢]، ولحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر).

وأما الشافعية ففصلوا القول في السحر، وهذا هو الراجح الصحيح الذي تدل عليه الآثار، والواقع أن السحر سحران: سحر هو كفر، وسحر هو معصية وكبيرة، والسحر الذي هو كفر هو السحر الذي يستخدم فيه الساحر الشياطين، فيقدم لهم القرابين، فيكفر بذلك.

والسحر **التخييلي** معصية وكبيرة وموبقة من الموبقات والمهلكات، وهو ذريعة إلى الكفر الأكبر، وهو **التخييل** والتلبيس والتدليس الذي يستخدم فيه العقاقير أو يستخدم فيه المواد الكيماوية؛ لأن فيه كذبا وضررا يقع على الآخرين، وهذا هو الراجح الصحيح.." (٢)

"حكم الساحر إذا كان مسلما ثم تعلم السحر

اتفق العلماء على أن الساحر الذي يستخدم في سحره الشياطين، ويستخدم الكفر فإنه يكفر بالسحر، فإذا

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٤/٥٦

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٦/٥٦

كان يسجد للشيطان، ويستعمل الشيطان في العقد والنفث، فهذا حكمه بالاتفاق القتل، فتضرب عنقه.
واختلفوا في الذي يأتي بسحر التلبيس والتدليس، أو يأتي بأشياء يسرق بها أعين الناس، فالجمهور على أنه أيضا يقتل، وستأتي أدلتهم، وقال الشافعية: لا يقتل بل يعزر، واستدلوا على ذلك بحديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها أنها كانت لها جارية سحرتها فلم تقتلها، وباعتها، ف عائشة رضي الله عنها وأرضاها الفقيهة أم المؤمنين لم تقتل الساحرة، وهذا دليل على أن الساحر الذي يأتي بسحر **التخييل** -وإن كان فيه بعض الإيذاء للناس- لا يقتل.
والصحيح الراجح في ذلك قول الجمهور: أنه يقتل، لكن ضابط المسألة: أن الذي يأتي بالسحر الذي هو كفري فإنه يقتل ردة لا حدا؛ لأنه كافر خارج من الملة، فيخلد في نار جهنم، وأما الساحر الذي يأتي بالسحر الآخر فهذا حده أيضا الضرب بالسيف؛ للعمومات التي سأذكرها، فيضرب بالسيف حدا لا ردة.
والفرق بين الحد والردة أن الذي يقتل حدا ما زال مسلما، فهذا الحد يطهره، ولا يسأل عن فعله ذلك يوم القيامة، وأما الردة فصاحبها خالد مخلد في نار جهنم، والأدلة على ذلك كثيرة منها: أولا: حديث جندب رضي الله عنه وأرضاه أنه قال: حد الساحر ضربة بالسيف، وقد رواها جندب قولا ثم فعلها فعلا، فقد جلس أحد الأمراء وهو الوليد وبين يديه رجل ساحر يستخدم الجن، والناس ينظرون، فيقطع الساحر رقبته فتتدحرج على الأرض، فيأخذها ثم يردها مكانها مرة ثانية، ويضحك الوليد ويضحك الناس أمامه، فجاء جندب رضي الله عنه وأرضاه الفقيه الصحابي الجليل من بعيد فرأى الرأس تتدحرج ثم ترجع مكانها، فعلم أن هذا من فعل الشياطين ومن سحر الجان، فاستل سيفه فذهب إلى الساحر فأطاح برأسه وقال له: أعد رأسك الآن، فغضب الوليد من فعله فحبسه، فلما ذكر هذا أمام سلمان رضي الله عنه وأرضاه قال سلمان رضي الله عنه وأرضاه: أخطأ الوليد؛ لأنه لا يصح له أن يحبس الصحابي، فكل التابعين في ميزان هذا الصحابي، وما وصل الدين إلا عن طريق هؤلاء الصحابة، ثم الوليد أخطأ عندما جعل الساحر يلبس على الناس بسحره.
قال: وأخطأ جندب لأنه افتأت على ولي الأمر، إذ إن إقامة الحدود لا تكون إلا لولي الأمر والوكيل عنه، فلما فعل ذلك جندب من غير استئذان ولي الأمر كان هذا خطأ منه، ولكن لا يمكن أن يحبس هذا الصحابي ولا أن يعزر، بل ينصح في ذلك.
فهذا دليل قوي جدا على ضرب الساحر دون استفتاء، وأقر سلمان ذلك.
ثانيا: جاء في مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه قال: اقتلوا كل ساحر وساحرة، وسنده صحيح، فقاموا وقتلوا ثلاث سواحر.

ثالثا: عن حفصة رضي الله عنها وأرضاها أنها كانت لها جارية سحرتها، فأمرت بقتلها فقتلت، وهذا دليل ثالث يدل على أن الساحر يقتل، وهذا بعمومه يدخل فيه النوع الأول والنوع الثاني.

الدليل الرابع: استنباطا ونظرا، قال الله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ [المائدة:٣٣] إلى آخر الآية، والذي يستخدم السحر ويستخدم الشياطين، أو الذي يؤذي الناس بسحره، فهذا من المفسدين في الأرض، فيدخل تحت عموم الآية: ﴿يقتلوا أو يصلبوا﴾ [المائدة:٣٣] إلى آخر الآية؛ لأنه سعى في الأرض فسادا.

وهذه الأدلة الأربعة تدل دلالة واضحة على أن حد الساحر القتل.

واستدل الشافعي على قوله بأن عائشة رضي الله عنها سحرتها امرأة فلم تقتلها بل باعتها.

فنقول: إن الحجة في قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله لا في قول الصحابي وفعله؛ فقول الصحابي وفعله حجة إذا لم يخالفه أحد من الصحابة فكيف إذا خالفت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم؟ فالحجة في قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله، وإن لم يأت حديث النبي صلى الله عليه وسلم فإن عائشة قد خالفها بعض الصحابة كـ حفصة وعمر وجندب رضي الله عنهم وأرضاهم، وإذا اختلف الصحابة فلا حجة في قول أحدهم على الآخر، فالصحيح أن حد الساحر ضربة بالسيف، فيقتل إن كان السحر من النوع الثاني حدا، وإن كان من النوع الأول فإنه يقتل ردة.." (١)

"تفسير النصوص بمعان بعيدة مخالفة لظاهرها، ولما دلت عليه سائر النصوص الأخرى الموضحة لها، فكل الآيات والأحاديث الواردة - مثلا - في اليدين مؤولة عندهم بخلاف ظاهرها، فيجعلون ذلك كله من قبيل المجاز **والتخييل**، وهذا كله ضد التسليم للرسول - صلى الله عليه وسلم -، فحكموا عقولهم، ولم يحكموا النبي - صلى الله عليه وسلم -، فضلوا ضلالا بعيدا، وهذا ما يتضمنه قول المؤلف: (فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله - صلى الله عليه وسلم -، ورد ما اشتبه عليه علمه إلى عالمه) وهذا هو الواجب، فما خفي على الإنسان فهمه وأشكل عليه؛ فعليه أن يقول: الله أعلم، والله تعالى يعلم نبيه - صلى الله عليه وسلم - ويعلمنا بقوله: ((قل ربي أعلم بعدتهم)) [الكهف: ٢٢]، ((قل الله أعلم بما لبثوا)) [الكهف: ٢٦]، ((ولا تقف ما ليس لك به علم)) [الإسراء: ٣٦] فالواجب على المكلف فيما لم يعلم أن يفوض علم ذلك إلى الله.

وقوله: (ورد ما اشتبه عليه علمه إلى عالمه) فهناك أمور استأثر الله بعلمها، كحقائق ما أخبر الله سبحانه

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٩/٥٦

عن نفسه من أسمائه وصفاته، وحقائق اليوم الآخر، فهذا كله مما يخفى على العباد ولا يمكنهم معرفته؛ فالواجب في هذا هو التفويض، ورد علم ذلك إلى الله.

أما معاني النصوص؛ فالأصل أنها كلها يمكن فهمها، فما أخبر الله به عن نفسه، وما أخبر به عن اليوم الآخر هذه لا بد أن تكون معلومة لنا من جهة معانيها، لكن قد يخفى بعضها على بعض الناس في بعض الأحوال، فهنا قبل أن يعرف المراد، يرد ما اشتبه عليه؛ فيقول: الله أعلم به، ثم هذا لا يمنع التدبر والبحث لمعرفة المراد، ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في القاعدة الخامسة من الرسالة التدمرية (١) «إنا نعلم ما أخبرنا به من وجه دون وجه»

وقوله: (ورد ما اشتبه عليه علمه إلى عالمه) هذا أدب رفيع، وهو مقتضى علم العبد بربه وعلمه بنفسه، فلا يتجاوز حده فيدعي علم ما

---

(١) ص ٢٥١.." (١)

"الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة، وفي معنى بطريق المجاز، لم يجز حمله على المجازي بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء، ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة فلا بد له من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف. وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجح للحمل على المجاز.

الثالث: أنه لابد من أن يسلم ذلك الدليل - الصارف - عن معارض؛ وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مراده امتنع تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصا قاطعا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرا فلا بد من الترجيح.

الرابع: أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته فلابد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته، وأنه أراد مجازه، سواء عينه أولم يعينه، لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد، والعلم، دون عمل الجوارح، فإنه - سبحانه وتعالى - جعل القرآن نورا وهدى وبيانا للناس وشفاء لما في الصدور، وأرسل الرسل ليبين للناس ما نزل إليهم، وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات، وأبين الألسنة والعبارات، ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علما، وأنصحهم للأمة، وأبينهم للسنة، فلا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/١٢٧

يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره، إلا وقد نصب دليلا يمنع من حمله على ظاهره؛ إما أن يكون عقليا ظاهرا، مثل قوله: إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم [النمل: ٢٣].، فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها، وكذلك: خالق كل شيء [الأنعام: ١٠٢]. يعلم المستمع أن الخالق لا يدخل في هذا العموم. أو سمعيا ظاهرا، مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض ا‍لظواهر. ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفي لا يستنبطه إلا أفراد الناس، سواء كان سمعيا أو عقليا؛ لأنه إذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى وأعاده مرات كثيرة؛ وخاطب به الخلق كلهم وفيهم الذكي والبليد، والفقيه وغير الفقيه، وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب ويعقلوه، ويتفكروا فيه، ويعتقدوا موجبه، ثم أوجب أن لا يعتقدوا بهذا الخطاب شيئا من ظاهره، كان هذا تدليسا وتلبيسا، وكان نقيض البيان وضد الهدى، وهو بالألغاز والأحاجي أشبه منه بالهدى والبيان. فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفي على أن الظاهر غير مراد؟! أم كيف إذا كان ذلك الخفي شبهة ليس لها حقيقة؟!) (١).

٣ - أن مسلكهم هذا في تحريف نصوص الصفات، يوقعهم في التناقض والاضطراب والتفريق بين المتماثلات، وذلك أن هؤلاء المتكلمين مقرون بنصوص الغيب الأخرى من الإيمان باليوم الآخر ,وأنها حق على حقيقتها، بخلاف الملاحدة الباطنية الذين طردوا القول في الأمرين؛ نصوص الصفات ونصوص المعاد، وأنهما مجاز وتخييل لا تراد حقيقته، وإنما قصد به انتفاع العامة بحملهم على الطاعة والسلوك القويم خوفا من تخييلات لا حقيقة لها. فصاروا هدفا لهؤلاء الملاحدة من جهة النفي، ولأهل السنة من جهة الإثبات بسبب اضطراب طريقتهم وتناقضها.

---

(١) ((مجموع فتاوى شيخ الإسلام)) (٦/ ٣٦٠ - ٣٦٢). وانظر: ((الوظائف الواجبة عل المتأول الذي لا يقبل منه تأويله إلا بها - في الصواعق المرسلة)) (١/ ٢٨٨ - ٢٩٥).." [1]

"المثال الرابع: التطير

تعريف التطير:

في اللغة: مصدر تطير، وأصله مأخوذ من الطير، لأن العرب يتشاءمون أو يتفاءلون بالطيور على الطريقة المعروفة عندهم بزجر الطير، ثم ينظر: هل يذهب يمينا أو شمالا أو ما أشبه ذلك، فإن ذهب إلى الجهة

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٤٦٥

التي فيها التيامن، أقدم، أو فيها التشاؤم، أحجم.

أما في الاصطلاح، فهي التشاؤم بمرئي أو مسموع، وهذا من الأمور النادرة، لأن الغالب أن اللغة أوسع من الاصطلاح، لأن الاصطلاح يدخل على الألفاظ قيودا تخصصها، مثل الصلاة لغة: الدعاء، وفي الاصطلاح أخص من الدعاء، وكذلك الزكاة وغيرها.

وإن شئت، فقل: التطير: هو التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو معلوم.

بمرئي مثل: لو رأى طيرا فتشاءم لكونه موحشا.

أو مسموع مثل: من هم بأمر فسمع أحدا يقول لآخر: يا خسران، أو يا خائب، فيتشاءم.

أو معلوم، كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو بعض السنوات، فهذه لا ترى ولا تسمع.

واعلم أن التطير ينافي التوحيد، ووجه منافاته له من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غير الله.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم وتخييل، فأي رابطة بين هذا الأمر، وبين ما يحصل له، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد، لأن التوحيد عبادة واستعانة، قال تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين [الفاتحة: ٤]، وقال تعالى: فاعبده وتوكل عليه [هود: ١٢٣].

فالطيرة محرمة، وهي منافية للتوحيد كما سبق، والمتطير لا يخلو من حالين:

الأول: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل، وهذا من أعظم التطير والتشاؤم.

الثاني: أن يمضي لكن في قلق وهم وغم يخشى من تأثير هذا المتطير به، وهذا أهون.

وكلا الأمرين نقص في التوحيد وضرر على العبيد، بل انطلق إلى ما تريد بانشراح صدر وتيسير واعتماد على الله - عز وجل -، ولا تسيء الظن بالله - عز وجل -.

وقول الله تعالى: ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون [الأعراف: ١٣١].

وقد ذكر المؤلف رحمه الله في هذا الباب آيتين:

[الآية الأولى قوله تعالى: ألا إنما طائرهم عند الله.]

هذه الآية نزلت في قوم موسى كما حكى الله عنهم في قوله: وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه [الأعراف: ١٣١]، قال الله تعالى: ألا إنما طائرهم عند الله ومعنى: يطيروا بموسى ومن معه: أنه إذا جاءهم البلاء والجدب والقحط قالوا: هذا من موسى وأصحابه، فأبطل الله هذه العقيدة بقوله: ألا إنما طائرهم عند الله.

قوله: ألا إنما طائرهم عند الله. ألا: أداة استفتاح تفيد التنبيه والتوكيد، وإنما: أداة حصر.

وقوله: طائر مبتدأ، وعند الله خبر، والمعنى: أن ما يصيبهم من الجدب والقحط ليس من موسى وقومه، ولكنه من الله، فهو الذي قدره ولا علاقة لموسى وقومه به، بل إن الأمر يقتضي أن موسى وقومه سبب للبركة والخير، ولكن هؤلاء - والعياذ بالله - يلبسون على العوام ويوهمون الناس خلاف الواقع.

قوله: ولكن أكثرهم لا يعلمون. فهم في جهل، فلا يعلمون أن هناك إلها مدبرا، وأن ما أصابهم من الله وليس من موسى وقومه.

وقوله: قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون [يس: ١٩].

الآية الثانية قوله تعالى: قالوا طائركم معكم.

أي: قال الذين أرسلوا إلى القرية في قوله تعالى: واضرب لهم مثلا أصحاب القرية. .. الآيات [يس: ١٣]..". (١)

"المطلب الخامس: الرد على منكري البعث

الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة. فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه في غالب سور القرآن. وذلك: أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب، إلا من عاند، كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون، ومحمد صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفى - بين تفضيل الآخرة بيانا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء. ولهذا ظنت طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد صلى الله عليه وسلم، وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب **التخييل** والخطاب الجمهوري. والقرآن بين معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع. وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد صلى الله عليه وسلم على طريق **التخييل**! وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم، فقال تعالى: قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون [الأعراف: ٢٤] ولما قال إبليس اللعين: رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٧٣/٣

المعلوم [الحجر:٣٦ - ٣٨]. وأما نوح عليه السلام فقال: والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا [نوح:١٧ - ١٨]. وقال إبراهيم عليه السلام: والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين [الشعراء:٨٢]. إلى آخر القصة. وقال: ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب [إبراهيم:٤١]. وقال: رب أرني كيف تحيي الموتى [البقرة:٢٦٠] الآية، وأما موسى عليه السلام، فقال الله تعالى: لما ناجاه: إن الساعة ءاتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى [طه:١٥ - ١٦]. بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وإنما آمن بموسى، قال تعالى: حكاية عنه: ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد [غافر:٣٢ - ٣٣]، إلى قوله تعالى:: يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار [غافر:٣٩]، إلى قوله: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب [غافر:٤٦]. وقال موسى: واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك [الأعراف:١٥٦]. وقد أخبر الله في قصة البقرة: فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون [البقرة:٧٣].." (١)

"المطلب الخامس: تربة الجنة

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قلنا: يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا، وشممنا النساء والأولاد قال: لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم. قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة ذهب، ولبنة فضة، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس، ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السموات، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين)) (١).

قوله: ((وملاطها المسك)) قال في النهاية: (الملاط الطين الذي يجعل بين ساقي البناء يملط به الحائط أي: يخلط. ...

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك)) (٢) وهو قطعة من

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٢٣/٤

حديث المعراج. قوله: ((جنابذ اللؤلؤ)) بالجيم والنون المفتوحين، ثم ألف، ثم ذال معجمة القباب، وفي (مشارق الأنوار) للقاضي عياض ما نصه: وفي الحديث: ((وإذا فيها جنابذ اللؤلؤ)) كذا في كتاب مسلم، وفي البخاري في كتاب الأنبياء (٣) من رواية غير المروزي فسروه بالقباب، واحدتها جنبذة بالضم، والجنبذة ما ارتفع من البناء وجاء في البخاري في الصلاة ((حبائل اللؤلؤ)) ، وزعم قوم أنه تصحيف من جنابذ وقال: في حرف الجاء مع الباء ((فيها حبائل اللؤلؤ)) كذا لجميعهم في البخاري وفي مسلم ((جنابذ اللؤلؤ)) وهو الصواب وقد جاء في حديث آخر ((حافاته قباب اللؤلؤ)) والجنابذ جمع جنبذة وهي القبة وقال من ذهب إلى صحة الرواية: إن الحبائل القلائد العقود، أو يكون من حبال الرمل أي: فيها اللؤلؤ كحبال الرمل أي: وهو ما طال منه وضخم، قال: أو من الحبلة وهو ضرب من الحلي معروف.

قال ابن قرقول في (استدراكاته) على القاضي عياض: وهذا كله تخييل ضعيف، بل هو لا شك تصحيف من الكاتب، والحبائل إنما تكون جمع حبالة، أو حبيلة. انتهى.

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال صلى الله عليه وسلم: صدق)) (٤).

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٠٤) (٨٠٣٠). وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١٥/ ١٨٩)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

(٣) ((البخاري)) (٣٣٤٢).

(٤) رواه مسلم (٢٩٢٨).." [1]

"- وإذا تقرر وجوب الإيمان بالوعد والوعيد، ومنه الإيمان بالجنة والنار ... فإن ما يناقض هذا الإيمان له عدة صور وأمثلة؛ فمنها: إنكار الوعد والوعيد – ومنه: إنكار الجنة والنار -، والقول بأن الوعد والوعيد تخييل للحقائق لكي ينتفع به الجمهور ... كما يقول به ملاحدة الفلاسفة. ومن صور هذا الإنكار والاستهزاء، ما يدعيه ملاحدة المتصوفة أن الجنة أو النار معان باطنة يقصد بها نعيم الأرواح أو تألمها فقط ... أو ما يزعمه بعضهم أن أهل النار يتنعمون في النار، كما يتنعم أهل الجنة في الجنة ... ، ومن صور هذا الكفر: السخرية بالوعد والوعيد والاستهزاء بهما ... إلى غير ذلك من الأمثلة (١).

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٨٨/٥

فمن أمثلة هذه النواقض: إنكار الوعد والوعيد والاستهزاء بهما، ووجه كونه ناقضا عدة أمور منها ما يلي:

أ- أن الإيمان بنصوص الوعد والوعيد يتضمن الإقرار بها وتصديقها، وإجلالها وإكرامها، وهذا الإنكار يناقض هذا الإيمان، فإنكار الجنة والنار - مثلا - يناقض تصديق القلب، كما يناقض قول اللسان، والاستهزاء بنصوص الوعد الوعيد - ومنها: نصوص الجنة والنار - يناقض هذا الإجلال والتعظيم؛ لأنه يناقض عمل القلب الذي يوجب توقير وتعظيم نصوص الوعد والوعيد.

ب- أن هذا الإنكار أو الاستهزاء بنصوص الوعد والوعيد تكذيب للقرآن الكريم، حيث فرض الله تعالى الإقرار بآياته، وتصديقها، وعدم اتخاذها هزوا، وأيضا فإن الله تعالى قد حكم بالكفر على من جحد آياته، كما توعده بالعذاب المهين، وأخبر تعالى بأنه لا أحد أظلم ممن كذب بآيات الله تعالى، وأنهم لا تفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة ...

قال تعالى: فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون [الأنعام:١٥٧].

وقال سبحانه: إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين [الأعراف:٤٠].

وقال تعالى: والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين [الحج:٥٧].

وقال عز وجل: وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين [الجاثية:٩]

وقد سمى الله تعالى الاستهزاء بآياته كفرا فقال: قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم [التوبة ٦٥ - ٦٦].

جـ- أن إنكار نصوص الوعد والوعيد وصرفها عن ظاهرها، أو الاستهزاء بها يتضمن طعنا في الأنبياء عليهم السلام، وتنقصا لهم، وأنهم ربما كذبوا لمصلحة الجمهور كما يزعم ملاحدة الفلاسفة، مع أن الأنبياء عليهم السلام صادقون مصدقون، قد بلغوا البلاغ المبين، وأقاموا الحجة على الناس، فهم أفضل الخلق عند الله تعالى، وأكمل الخلق علما وعملا، حيث اختصهم الله تعالى بوحيه واصطفاهم من بين سائر الناس.

وإن الطعن في الأنبياء كفر وردة عن الإسلام بل إن الطعن فيهم ينبوع جميع أنواع الكفر، وجماع الضلالات كما قرره ابن تيمية.

---

(١) انظر لتفصيل ذلك: ((الشفا)) لعياض (٢/ ١٠٦٨)، ((فتاوى ابن تيمية)) (٤/ ٣١٤)، (١٣/ ٢٧٩)،

(١٤/ ١٦١)، (١٦/ ٢٤٢)، و ((الدرء)) (١/ ٨، ٩، ١٠٤)، (٥/ ٤، ٢٤١)، (١٠/ ٢٧٠)، ((الصفدية)) (١/ ٢٤٥).." (١)

"يقول ابن تيمية عن هؤلاء الفلاسفة – في هذا الشأن –: فأهل **التخييل** هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه، فإنهم يقولون إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو **تخييل** للحقائق لينتفع بها الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق.

ثم هم على قسمين، منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون إن من الفلاسفة من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة وباطنية الصوفية، ومنهم من يقول بل الرسول علمها، لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء يجب على الرسول أن يخبر بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن ذلك باطل؛ لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد ... (١).

كما يذكر ابن تيمية أن في هذا الإنكار نسبة للرسول إلى التلبيس وعدم البيان، بل إلى كتمان الحق وإضلال الخلق، بل إلى التكلم بكلام لا يعرف حقه من باطله، ولهذا كان حقيقة أمرهم الإعراض عن الكتاب والرسول ... (٢)

إضافة إلى ذلك، فإن هذا الإنكار أو الاستهزاء بنصوص الوعد والوعيد، هو تعطيل للشرائع وإبطال للأوامر والنواهي، وتلاعب بالنصوص الشرعية، وتشكيك فيها.

د- أن هذا الإنكار أو الاستهزاء مخالف للإجماع، وتكذيب له، فقد أجمعوا على إثبات الوعد والوعيد والتصديق به، وأجمعوا أيضا على تكفير منكره أو المستهزئ به، كما سنذكره الآن.

يقول ابن عبد البر: وأما الإقرار بالجنة والنار فواجب مجتمع عليه، ألا ترى أن ذلك مما يكتب في صدور الوصايا مع الشهادة بالتوحيد، وبالنبي صلى الله عليه وسلم (٣).

ويقول القاضي عياض: وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة، ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به، ادعى في ذلك مصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع،

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٧

كالمتفلسفين وبعض الباطنية، وغلاة المتصوفة، وأصحاب الإباحة؛ فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الإخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة، والجنة والنار، وليس منها شيء على مقتضى التصريح لقصور أفهامهم، فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع، وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به (٤).

ويقول أيضا:- وكذلك من أنكر الجنة، أو النار، أو البعث، أو الحساب، أو القيامة فهو كافر بإجماع للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا، وكذلك من اعترف بذلك، ولكنه قال: إن المراد بالجنة، والنار، والحشر، و النشر، والثواب، والعقاب معنى غير ظاهره، وأنها لذات روحانية، ومعان باطنة (٥).

ويقول ابن حزم: وأن البعث حق، والحساب حق، والجنة حق، والنار حق، داران مخلوقتان مخلدتان، هما ومن فيهما بلا نهاية، يجمع الله تعالى يوم القيامة بين الأرواح والأجساد، كل هذا إجماع أهل الإسلام، من خرج عنه خرج عن الإسلام (٦).

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٥/ ٣١، ٣٢) باختصار.

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٥/ ٢٤١).

(٣) ((التمهيد)) (١٢/ ١٩٠، ١٩١).

(٤) ((الشفا)) (٢/ ١٠٦٨).

(٥) ((الشفا)) (٢/ ١٠٧٧).

(٦) ((الدرة)) (ص٢٠٧).." [1]

"(والسحر حق) يعني متحقق وقوعه ووجوده، ولو لم يكن موجودا حقيقة لم ترد النواهي عنه في الشرع والوعيد على فاعله والعقوبات الدينية والأخروية على متعاطيه والاستعاذة منه أمرا وخبرا. وقد أخبر الله تعالى أنه كان موجودا في زمن فرعون وأنه أراد أن يعارض به معجزات نبي الله موسى عليه السلام في العصا بعد أن رماه هو وقومه به بقولهم: إن هذا لساحر عليم - إلى قوله - وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم [الشعراء:٣٤ - ٣٧] وقال تعالى عن السحرة: فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم [الأعراف:١١٦] وقال تعالى: فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/٧

ولا يفلح الساحر حيث أتى [طه:٦٦ – ٦٩] يقال إنهم كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل وعصا فأخذوا بأبصار الناس بسحرهم وألقوا تلك الحبال والعصى فرآها الناس حيات عظاما ضخاما وذلك قوله تعالى: سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وقوله: يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى قال الله تعالى: فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك [طه:٦٧ – ٦٩] يعني العصا تلقف تبتلع ما صنعوا أي السحرة أي ما اختلقوا وائتفكوا من الزور **التخييل**، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: فإذا هي تلقف ما يأفكون [الأعراف:١١٧] وهون الله أمرهم على نبيه موسى عليه السلام بقوله سبحانه: إنما صنعوا كيد ساحر مكره وخداعه ولا يفلح الساحر حيث أتى، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين [الأعراف:١١٩] إلى آخر الآيات، وقد أخبر الله تعالى عن قوم صالح وكانوا قبل إبراهيم عليه السلام أنهم قالوا لنبيهم عليه السلام: إنما أنت من المسحرين [الشعراء: ١٥٣] وكذا قام قوم شعيب له عليه السلام: إنما أنت من المسحرين وقالت قريش لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم في غير موضع بل ذكر الله عز وجل أن ذلك القول تداوله كل الكفار لرسلهم فقال تعالى: كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به [الذاريات:٥٢] الآية، وقال سبحانه في ذم اليهود: ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضآرين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في." (١)

"قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في (شرح مسلم): قال المازري رحمه الله تعالى: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضا مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه فإحالة كونه من الحقائق محال، ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٧/٧٥

ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر، وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة كالسموم ومنها مسقمة كالأدوية الحادة ومنها مضرة كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوي قتاله أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة. قال: ومن أنكر من بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر فزعم أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته، وعصمته صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل. فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان مفضلا من أجلها وهو مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد قيل إنه إنما كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له، وقيل إنه يخيل إليه أنه فعل وما فعله، ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد. قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده. ويكون معنى قوله في الحديث حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، ويروى يخيل إليه أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور. وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لا كالخلل تطرق إلى العقل وليس في ذلك ما يدخل لبسا على الرسالة ولا طعنا لأهل الضلالة والله أعلم ا. هـ. قلت: قول المازري خلافا لمن أنكر ذلك، قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى: أجمعوا على أن السحر له حقيقة، إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده. ثم ذكر الاختلاف في حكم الساحر، وقال القرطبي رحمه الله تعالى: وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافا للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفراييني حيث قالوا إنه تمويه **وتخييل** اهـ.." (١)

"قلت: قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة، وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية، فأما القتل به والأمراض والتفرقة بين المرء وزوجه وأخذه بالأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها، وأما قلب الأعيان كقلب الجماد حيوانا وقلب الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في قدرة الله عز وجل ولا غير ممكن، فإنه هو الفاعل في الحقيقة وهو الفعال لما يريد، فلا مانع من أن يحول الله ذلك عندما يلقى الساحر ما ألقى امتحانا وابتلاء وفتنة لعباده، ولكن الذي أخبرنا

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٧٨/٧

الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو **التخييل** والأخذ بالأبصار حتى رأوا الحبال والعصي حيات، فنؤمن بالخبر ونصدقه ولا نتعداه ولا نبدل قولا غير الذي قيل لنا ولا نقول على الله ما لا نعلم. وبالله التوفيق.

واحكم على الساحر بالتكفير ... وحده القتل بلا نكير

كما أتى في السنة المصرحة ... مما رواه الترمذي وصححه

عن جندب وهكذا في أثر ... أمر بقتلهم روي عن عمر

وصح عن حفصة عند مالك ... ما فيه أقوى مرشد للسالك

- حكم الساحر:

(واحكم على الساحر) تعلمه أو علمه عمل به أو لم يعمل (بالتكفير) أي بأنه كفر بهذا الذنب الذي هو السحر، وذلك واضح صريح في آية البقرة بأمور:

منها سبب عدول اليهود إليه وهو نبذهم الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم: ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون [البقرة:١٠١] سواء أريد بالكتاب التوراة التي بأيديهم أو القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، كل ذلك نبذه كفر، وقد علم أن السحر لا يعمل إلا مع من كفر بالله، وهذا معلوم من سبب نزول الآية كما قال الربيع بن أنس وغيره: إن اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله سبحانه وتعالى ما سألوه عنه فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل إلينا منا، وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به فأنزل الله عز وجل: واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر [البقرة:١٠٢] الآيات.." (١)

"ثالثا: أسباب الخلاف في حكم السحر

وسبب ذلك الاختلاف: كثرة أنواع السحر، واختلاف صوره .. حتى جعله الفخر الرازي ثمانية أقسام (١)، وبعضهم جعله أكثر من ذلك (٢)

إضافة إلى توسع بعض العلماء في إطلاق السحر على كثير من الأحوال استنادا للمعنى اللغوي، فبعضهم يطلق السحر على النميمة، والكلام البليغ، وكذا الحركات القائمة على خفة اليد ومهارة الأداء.

وأمر ثالث أوجب هذا الاختلاف، وهو تنوع السحر من ناحية حقيقته أو **تخييله**، ومن ثم فبعض العلماء

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٧٩/٧

يقول: إن السحر حقيقة، ومنهم من يقول إنه **تخييل**، والصحيح في ذلك: - أن منه ما هو حقيقة، فيفرق بين المرء وزوجه، ولذا أمر الله تعالى بالاستعاذة به سبحانه من السواحر، فدل ذلك على أن للسحر حقيقة، وبعض السحر **تخييل** لا حقيقة له. (٣)

وقد نبه الإمام القرافي رحمه الله إلى ضرورة تحديد معنى السحر وتمييزه عن غيره فقال: (أطلق المالكية وجماعة، الكفر على الساحر، وأن السحر كفر، ولا شك أن هذا قريب من حيث الجملة، غير أنه عند الفتيا في جزئيات الوقائع يقع فيهم الغلط العظيم المودي إلى هلاك المفتي، والسبب في ذلك أنه إذا قيل للفقيه ما هو السحر وما حقيقته حتى يقضي بوجوده على كفر فاعليه يعسر عليه ذلك جدا، فإنك إذا قلت له السحر والرقى والخواص والسيميا والهيميا وقوى النفوس شيء واحد، وكلها سحر، أو بعض هذه الأمور سحر، وبعضها ليس بسحر، فإن قال: الكل سحر، يلزمه أن سورة الفاتحة سحر؛ لأنها رقية إجماعا، وإن قال: لكل واحدة من هذه خاصية تختص بها، فيقال: بين لنا خصوص كل واحد منها، وما به تمتاز، وهذا لا يكاد يعرفه أحد من المتعرضين للفتيا. وأنا طول عمري ما رأيت من يفرق بين هذه الأمور، فكيف يفتي أحد بعد هذا بكفر شخص معين أو بمباشرة شيء معين بناء على أن ذلك سحر، وهو لا يعرف السحر ما هو) (٤).

إلى أن قال: (إن الكتب الموضوعة في السحر، وضع فيها هذا الاسم (السحر) على ما هو كذلك كفر ومحرم، وعلى ما ليس كذلك، وكذلك السحرة يطلق لفظ السحر على القسمين، فلابد من التعرض لبيان ذلك) (٥).

ثم قال أيضا: (وللسحر فصول كثيرة في كتبهم يقطع من قبل الشرع بأنها ليست معاصي ولا كفرا، كما أن لهم ما يقطع بأنه كفر فيجب حينئذ التفصيل كما قال الشافعي رضي الله عنه، أما الإطلاق بأن كل ما يسمى سحرا كفر فصعب جدا) (٦).

وصدق رحمه الله تعالى، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، فلابد للناظر في هذه المسألة أن يفصل ويميز ويفرق بين السحر الذي يعد كفرا، وما ليس كذلك ... نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف- بتصرف – ص ٥٠٢

---

(١) [١٠٧٥٩])) انظر ((تفسير الرازي)) (٣/ ٢٢٨ – ٢٣٦)، وانظر ((المفردات)) للراغب (ص ٣٣١)

(٢) [١٠٧٦٠])) انظر ((الفروق)) للقرافي (٤/ ١٣٧ – ١٤٩)، و ((مفتاح دار السعادة)) لطائش كبري

زاده (١/ ٣٤٠ – ٣٤٦)، و ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤/ ٤٥٢ –٤٥٥)، وكتاب ((السحر)) للحمد (ص ١٨ - ٣٦).

(٣) [١٠٧٦١])) انظر تفصيل هذه المسألة في كتاب ((السحر)) لأحمد الحمد (ص ٣٧ – ٨٨).

(٤) [١٠٧٦٢])) ((الفروق)) للقرافي (٤/ ١٣٥).

(٥) [١٠٧٦٣])) ((الفروق)) للقرافي (٤/ ١٣٧).

(٦) [١٠٧٦٤])) ((الفروق)) للقرافي (٤/ ١٤١).." (١)

"وقد أطلق السحر على ما فيه **التخييل** في قلب الأعيان وإن لم يكن السحر الحقيقي، كما في (الصحيحين) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن من البيان لسحرا)) (١) يعني لتضمنه **التخييل** فيخيل الباطل في صورة الحق، وإنما عني به البيان في المفاخرة والخصومات بالباطل ونحوها كما يدل عليه أصل القصة في التميميين اللذين تفاخرا عنده بأحسابهما وطعن أحدهما في حسب الآخر ونسبه، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحكم له على نحو ما أسمع، فمن حكمت له من حق أخيه بشيء فإنما هو قطعة من النار)) (٢) أو كما قال: وهو في الصحيح، وأما البيان بالحق لنصرة الحق فهو فريضة على كل مسلم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وهو من الجهاد في سبيل الله عز وجل. وقد سمى صلى الله عليه وسلم ما يعمل عمل السحر سحرا وإن لم يكن سحرا كقوله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أنبئكم ما العضة، هي النميمة، القالة بين الناس)) رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه (٣). والعضة في لغة قريش السحر، ويقولون للساحر عاضه، فسمى النميمة سحرا لأنها تعمل عمل السحر في التفرقة بين المرء وزوجه وغيرها من المتحابين بل هي أعظم في الوشاية لأنها تثير العداوة بين الأخوين. وتسعر الحرب بين المتسالمين كما هو معروف مشاهد لا ينكر. وقد جاء الوعيد للقتات في الآيات والأحاديث كثيرة جدا. ومع هذا فالخداع للكفار للفتك بهم وإظهار المسلمين عليهم وكسر شوكتهم وتفريق كلمتهم من أعظم الجهاد وأنفعه وأشده نكاية فيهم كما فعله نعيم بن مسعود الغطفاني رضي الله عنه في تفريق كلمة الأحزاب بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرق بين قريش وبين يهود بني قريظة ونقض الله بذلك ما أبرموه ولله الحمد والمنة

معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي– ص٧٠٥

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٨٧/٧

(١) [١٠٧٨٦])) رواه البخاري (٥١٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ومسلم (٨٦٩) من حديث عمار رضي الله عنه.

(٢) [١٠٧٨٧])) رواه البخاري (٢٦٨٠) ، ومسلم (١٧١٣).

(٣) [١٠٧٨٨])) رواه مسلم (٢٦٠٦).." (١)

"قوله: (ولم يرخص فيه ابن عيينة). هو سفيان بن عيينة المعروف، وهذا يوافق قول قتادة بالكراهة.

قوله: (وذكره حرب). من أصحاب أحمد، روى عنه مسائل كثيرة.

قوله: (إسحاق). هو إسحاق بن راهويه.

والصحيح أنه لا بأس بتعلم منازل القمر، لأنه لا شرك فيها، إلا أن تعلمها ليضيف إليها نزول المطر وحصول البرد، وأنها هي الجالبة لذلك، فهذا نوع من الشرك، أما مجرد معرفة الوقت بها: هل هو الربيع، أو الخريف، أو الشتاء، فهذا لا بأس به.

وعن أبي موسى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر)) رواه أحمد وابن حبان في "صحيحه" (١).

... قوله: (ومصدق بالسحر). هذا هو شاهد الباب، ووجهه أن علم التنجيم نوع من السحر، فمن صدق به فقد صدق بنوع من السحر، ... : ((أن من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر)) (٢) ، والمصدق به هو المصدق بما يخبر به المنجمون، فإذا قال المنجم: سيحدث كذا وكذا، وصدق به، فإنه لا يدخل الجنة، لأنه صدق بعلم الغيب لغير الله، قال تعالى: قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله [النمل: ٦٥].

فإن قيل: لماذا لا يجعل السحر هنا عاما ليشمل التنجيم وغير التنجيم؟

أجيب: إن المصدق بما يخبره به السحر من علم الغيب يشمله الوعيد هنا، وأما المصدق بأن للسحر تأثيرا، فلا يلحقه هذا الوعيد، إذا لا شك أن للسحر تأثيرا، لكن تأثيره **تخييل**، مثل ما وقع من سحرة فرعون حيث سحروا أعين الناس حتى رأوا الحبال والعصي كأنها حيات تسعى، وإن كان لا حقيقة لذلك، وقد يسحر الساحر شخصا فيجعله يحب فلانا ويبغض فلانا، فهو مؤثر، قال تعالى: فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه [البقرة: ١٠٢]، فالتصديق بأثر السحر على هذا الوجه لا يدخله الوعيد لأنه تصديق بأمر واقع.

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٩٣/٧

أما من صدق بأن السحر يؤثر في قلب الأعيان بحيث يجعل الخشب ذهبا أو نحو ذلك، فلا شك في دخوله في الوعيد، لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله عز وجل. القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين - بتصرف - ٢/ ٤٣

---

(١) [١٠٧٩٦])) رواه أحمد (٤/ ٣٩٩) (١٩٥٨٧) ، وابن حبان (١٣/ ٥٠٧) ، وأبو يعلى (١٣/ ١٨١) ، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٥/ ٧٤): رجال أحمد وأبي يعلى ثقات، وضعفه الألباني في ((السلسلة الضعيفة)) (١٤٦٣) ، وقال شعيب الأرنؤوط في ((مسند أحمد)) (٤/ ٣٩٩) قوله منه: (ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر) حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف أبي حريز.

(٢) [١٠٧٩٧])) رواه أبو داود (٣٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٧٢٦) ، وأحمد (١/ ٢٢٧) (٢٠٠٠) والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٨/ ١٣٨) ، والطبراني (١١/ ١٣٥) ، كلهم رووه بلفظ: ((من اقتبس علما من النجوم)) بدلا من ((من اقتبس شعبة من النجوم)) ، والحديث سكت عنه ابو داود، وقال ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٣٥/ ١٩٣) ، والنووي في ((رياض الصالحين)) (٥٣٦) ، والعراقي في ((تخريج الإحياء)) (٤/ ١٤٤) ، وأحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (٣/ ٣١٢) كلهم قالوا: إسناده صحيح، وصححه الألباني في ((صحيح ابن ماجه)).." (١)

"وبمثل قول الشافعي قال النحاس. ففي تفسير قوله تعالى: إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون [الأعراف: ٢٧]. قال القرطبي: (قال النحاس: من حيث لا ترونهم يدل على أن الجن لا يرون إلا في وقت نبي، ليكون ذلك دلالة على نبوته، لأن الله جل وعز خلقهم خلقا لا يرون فيه، وإنما يرون إذا نقلوا عن صورهم، وذلك من المعجزات التي لا تكون إلا في وقت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم) (١).

وقال القرطبي: (قال القشيري: أجرى الله العادة بأن بني آدم لا يرون الشياطين اليوم) (٢).

ومن قال بالمنع ابن حزم الظاهري، فقد قال: (وهم يروننا ولا نراهم، قال الله تعالى: إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون [الأعراف: ٢٧] .. وإذ أخبرنا الله عز وجل أنا لا نراهم، فمن ادعى أنه يراهم أو رآهم فهو كاذب، إلا أن يكون نبيا من الأنبياء عليهم السلام، فذلك معجزة

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٩٨/٧

لهم، كما نص النبي صلى الله عليه وسلم: ((أنه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته ..)) (٣)). ثم يقول: (ولا سبيل إلى وجود خبر يصح برؤية جني بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هي منقطعات أو عمن لا خير فيه) (٤).

وقول ابن حزم إنما هو محمول على رؤيتهم بصورهم الأصلية، كما حمل قول الإمام الشافعي من قبل.

وروي عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رؤية الجن ليست حقيقة، وإنما هي من باب التخييل. فعن أسيد بن عمرو قال: (ذكرنا عند عمر الغيلان فقال: إنه لا يستطيع شيء أن يتحول عن خلق الله الذي خلقه، ولكن فيهم سحرة كسحرتكم، فإذا أحسستم من ذلك شيئا فأذنوا) (٥).

وعلى قول عمر فإن ظهور الجن بالصور المختلفة ليس حقيقة، وإنما هو من باب التخييل، كتخييل السحرة على الرائين. ولكن الأدلة الصحيحة تثبت رؤيتهم حقيقة وليس تخييلا، كما حصل مع أبي ہ ريرة في الحديث المتقدم الذي أخرجه البخاري، عندما جاءه الشيطان على صورة رجل فقير ذي عيال، وغير ذلك من الأحاديث التي تثبت رؤيتهم حقيقة.

٣ – الفريق الثالث:

الذي ينكر حتى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن، فقد قال عبد الله النوري في جوابه على سؤال وجه إليه عن رؤية الرسول عليه السلام للجن: (لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الجن بعينيه، وإنما أوحي إليه أن نفرا من الجن استمع إليه، قال تعالى: قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا [الجن: ١]).

وهو لا يثبت الرؤية إلا للنبي سليمان عليه السلام، كما ورد في الآيات التي تبين تسخير الجن له.

وعلى هذا فهو يخالف كل الآراء التي تجمع على رؤية النبي عليه السلام للجن، وأما بالنسبة للآية التي ذكرها، فقد كانت إخبارا من الله لنبيه بأن نفرا من الجن استمعوا إليه، وهي تشعر بأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يرهم في هذه المرة، ولكن وفادات الجن على الرسول عليه السلام قد تكررت عدة مرات، رآهم فيها، ...

---

(١) ((تفسير القرطبي)) (٧/ ١٨٦).

(٢) ((تفسير القرطبي)) (٧/ ١٨٦).

(٣) ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) (٥/ ١٢).

(٤) ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) (٥/ ١٣).
(٥) رواه عبدالرزاق (٥/ ١٦٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ٩٤). قال ابن حجر في ((فتح الباري)) (٦/ ٣٩٦): إسناده صحيح.." [1]

"الإيمان بملك الموت وفقء موسى عينه وذبح الموت يوم القيامة

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ونؤمن بأن ملك الموت أرسل إلى موسى عليه السلام فصكه ففقأ عينيه كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا ينكره إلا ضال مبتدع راد على الله ورسوله.

ونؤمن بأن الموت يؤتى به يوم القيامة فيذبح، كما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ [مريم:٣٩])].

يقول المؤلف رحمه الله: ونؤمن بأن ملك الموت أرسل إلى موسى عليه الصلاة والسلام فصكه ففقأ عينه كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ثابت في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أرسل ملك الموت إلى موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء صكه ففقأ عينه).

وهذا ثابت؛ لأن أهل السنة والجماعة يؤمنون بما ثبت في كتاب الله وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قال المؤلف: لا ينكره إلا ضال مبتدع راد على الله ورسوله، فهؤلاء المبتدعة والملاحدة لا يؤمنون إلا بما تهواه عقولهم، تجدهم يطعنون في الأحاديث الصحيحة ويؤولونها بتأويلات باطلة، والواجب على المسلم التصديق بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح عنه اعتقاده؛ لأن ذلك من الإيمان بالغيب الذي أطلع الله عليه رسوله، ولهذا نقل النووي عن المازري أنه قال: (وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث) حديث أن موسى صك ملك الموت ففقأ عينه، قال: (فقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكروا تصوره، قالوا: كيف يجوز على موسى فقأ عين ملك الموت؟ وأجاب بعض العلماء عن هذا بأجوبة: أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى عليه الصلاة والسلام قد أذن الله له في هذه اللطمة، ويكون ذلك امتحانا للملطوم، والله سبحانه يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما أراد، أو أن موسى عليه الصلاة

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٤٩/٨

والسلام لم يعلم أنه ملك من عند الله، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه، فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه لا أنه قصدها بالفقأ، وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين.

وقال ابن قتيبة: (لما تمثل ملك الموت لموسى عليه السلام وهذا ملك الله وهذا نبي الله، وجاذبه لطمه موسى لطمة أذهبت العين التي هي **تخييل** وتمثيل وليست حقيقة، وعاد ملك الموت إلى حقيقة خلقته الروحانية كما كان لم ينتقص منه شيء).

نحن نؤمن بأن موسى عليه الصلاة والسلام صك عينه، ومن المعلوم أن الملك أعطاه الله قدرة على التشكل والتصور، قال تعالى: ﴿جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ [فاطر:١]، جبريل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صور متعددة، كان يأتي في صورة دحية الكلبي وكان رجلا جميلا، وجاء في صورة رجل أعرابي يسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان، ورآه في الصورة التي هو عليها مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء له أجنحة، فالملك أعطاه الله قدرة على التشكل.

والأقرب والله أعلم أنه ما علم أنه ملك، كما أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام جاءته الملائكة في صورة رجال ولم يعلم أنهم ملائكة في صورة رجال، وجاء بهم إلى بيته يظن أنهم ضيوف، ومال إلى أهله سريعا وجاء بعجل سمين، وشوى لهم العجل وقدمه إليهم، لكنهم لم يمدوا أيديهم إليه، فخاف منهم، وأنكر أنهم لا يأكلون! وإذا الضيف لم يأكل فهذا يخشى أن يكون جاء لشر، فقالوا: نحن الملائكة لا نأكل ولا نشرب، أخبروه وجاءوه في صورة لم يعرفهم فيها، وجاءوا إلى لوط، ولم يعلم لوط أيضا أنهم ملائكة في صورة رجال، فليس ببعيد أن يكون ملك الموت أتى موسى ولم يعلم أنه ملك.

يقول المؤلف: كما صح عن النبي لا ينكره إلا ضال مبتدع راد على الله وعن رسوله، ونؤمن بأن الموت يؤتى به يوم القيامة فيذبح، كذلك أنكر هذا بعض أهل البدع، قالوا: كيف يذبح الموت والموت أمر معنوي؟!

نقول: إن هؤلاء هم العقلانيون الذين لا يؤمنون إلا بما تهواه عقولهم، ويتأولون النصوص فهؤلاء يتبعون أهواءهم، والواجب على المسلم أن يؤمن بما ثبت في كتاب وبما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله قادر على جعل المعاني أجساما وعلى قلب الأعراض أجساما، ﴿والله على كل شيء قدير﴾ [البقرة:٢٨٤]؛ ولهذا ثبت في الحديث الذي رواه الشيخان الذي ذكره المؤلف رحمه الله في حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون) يشرئبون: يعني: يمدون أعناقهم ويرفعون رءوسهم بالنظر، فيقول: (هل تعرفون هذا؟ فيقولون: هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادى: يا أهل النار! فيشرئبون ينظرون، فيقول: هل تعرفون

هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقال: يا أهل الجنة! خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت)، وهذا بعد خروج العصاة من النار، وجاء في اللفظ الآخر: (فيزداد أهل الجنة نعيما إلى نعيمهم، ويزداد أهل النار حسرة إلى حسرتهم)، نعوذ بالله.

(ثم قرأ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ [مريم:٣٩]) والحديث صحيح رواه الشيخان البخاري ومسلم رحمهما الله ورواه غيرهما، رواه الترمذي وأحمد في المسند والآجري في الشريعة، قال الترمذي: والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم، أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: نروي هذه الأحاديث ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها ولا تفسر ولا نتوهم، ولا يقال: كيف! يعني: لا تفسر التفسير المخالف لظاهرها، وهذا عمل أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه.

ومعنى قوله: لا تفسر أي: لا يكتب لها تفسير مخالف لمعناها، يقصدون عدم تفسيرها بخلاف ظاهرها الذي تدل عليه.." (١)

"مذهب السلف في باب الأسماء والصفات

قال رحمه الله: [وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل].

هذه قاعدة أخرى تتفرع عن الأولى، وستأتي قواعد كثيرة كلها تتفرع عن القاعدة الأولى، وهذه القاعدة الفرعية تتمثل في أن طريقة السلف الذين سبيلهم سبيل المؤمنين، والذين اقتفوا أثر الأنبياء، والذين هم أهل الحق، والذين عصم الله بهم الدين، وتحقق فيهم إجماع الأمة على الحق، هؤلاء السلف طريقتهم وطريق أئمتهم: إثبات ما أثبته الله عز وجل لنفسه، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذا الإثبات لابد فيه من احتراز، وهذا الاحتراز هو: أنه حينما نثبت لا نكيف ولا نمثل، فلا نكيف الغيبيات بما فيها أسماء الله وصفاته وأفعاله، ولا نقرر الكيفية لا في عقولنا ولا بألسنتنا ولا باعتقاداتنا؛ لأن الكيفية هي الحقيقة المحسوسة التي تتمثل في الغيبيات والمحسوسات، وإحساس الغيبيات غير ممكن.

والتكييف هو: وصف الصفة وصفا تفصيليا كما توصف المخلوقات المعاينة والمشاهدة، وعليه فلا يجوز أن نصف أسماء الله وصفاته وصفا كيفيا، بمعنى: أن نحدد الشكل واللون والحكم والثقل ونحو ذلك مما

(١) شرح الاقتصاد في الاعتقاد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٦/١٢

هو من لوازم التكييف.
إذا: المقصود التكييف في أسماء الله وصفاته وأفعاله: الكلام في الشكل والهيئة التي عليها الحقيقة المعاينة، ونحن لا نعاين الحقائق الغيبية بحواسنا وإنما بقلوبنا، وعلى هذا فلا يجوز التكييف في أسماء الله وصفاته وأفعاله.
وأما التمثيل فهو جزء من التكييف ومتفرع عنه، والمقصود به: أنه لا يجوز لنا أن نعتقد أن الله أو بعض صفات الله أو بعض أسمائه مثل شيء من مخلوقاته، وكذلك العكس، فلا نمثل أسماء الله وصفاته وأفعاله بأمثلة من المخلوقات، ولا نشبهها بالمخلوقات تشبيها كيفيا، والعكس كذلك، فلا نمثل صفات المخلوقات بصفات الله، ولا نجعل صفات الله كصفات المخلوقين، فإن هذا تمثيل، وهو كفر، ولا نجعل صفات المخلوقين كصفات الله، فإن هذا أيضا تمثيل، وهو كفر.
إذا: فالتمثيل ممنوع من طرفين: تمثيل خصائص الله بالمخلوقات، وتمثيل خصائص المخلوقات بصفات الله، وهذا كله لا يجوز، والسلف طريقتهم حينما يثبتون ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال أنهم ينفون التكييف والتمثيل، بخلاف ما يزعمه خصوم السلف من الجهلة وأهل الأهواء والبدع والافتراق بأن السلف يكيفون ويمثلون، ولذلك سموهم: مجسمة ومشبهة؛ لأنهم أثبتوا -أي: السلف- صفات الله، وعند أولئك القوم -أفراخ الفلاسفة- من أثبت أسماء الله وصفاته، أو شيئا منها فهو ممثل مجسم، وهذا من الزيغ والعياذ بالله.
وكذلك أيضا نثبت الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل، فلا نؤولها ولا ننكرها ولا نشير إلى أنها رموز، أو أنها خيالات، أو أنها أمثال تضرب لا حقيقة لها، وكل ذلك مسالك الفلاسفة والمتكلمين وأفراخهم ممن تأثروا بهم، أو حكموا عقولهم، أو سلكوا مسالك الأمم الضالة، بينما قاعدة السلف تنبني على الإثبات من غير تحريف، والتحريف هو التأويل، ومن غير تعطيل، والتعطيل هو الإنكار، والتحريف قد سلكته طوائف من الفرق، والتعطيل هو منهج الجهمية والفلاسفة، فينفون الأسماء والصفات لله عز وجل، ويصفونه بالسلوب فيقولون: لا كذا ولا كذا، مما سيأتي بيانه، وهم في الحقيقة لا يثبتون شيئا، وحينما ترد الأسماء والصفات في الكتاب والسنة فإنهم يقفون منها مواقف، فبعضهم ينكرها ويسخر من الكتاب والسنة، وبعضهم قد لا يجرؤ على إنكار الكتاب والسنة، لكن يصرفونها عن الإثبات فيقولون: هذه معان خيالية! أو هذه مثاليات! أو هذه أمثال تقرب وليست حقائق! أو هذه تنبني على **التخييل** ومحاولة ربط الناس بمعاني لا حقيقة ولا ثبوت لها! إلى آخر ما يقولونه، وهذا الصنف الأول.

وأما الصنف الثاني: فهم أهل الكلام، وهؤلاء قد سلكوا مسلك التحريف الذي هو التأويل، أي: أنهم قد عمدوا إلى أسماء الله وصفاته، أو إلى بعضها فأخرجوها من حقيقتها إلى معان تخيلوها في عقولهم، مع أن هذه المعاني قد اختلفوا عليها كثيرا كما سيأتي بيانه، بل لا يكادون يتفقون على معنى.

بينما السلف قد قام دينهم على الكتاب والسنة، وقامت طريقتهم على الكتاب والسنة، وهو الإثبات لله عز وجل من غير تمثيل وتشبيه، وإن كانت كلمة: (التشبيه) فيها تفصيل، وكذلك الإثبات من غير تحريف ولا تعطيل، أي: من غير إنكار ولا تأويل؛ لأن التعطيل إلحاد، والتحريف قول على الله بغير علم، وقول في الغيبيات، وتحكم فيما لا علم للإنسان به، وخروج عن مقتضى الحقيقة إلى أوهام وظنون وتخرصات كما سيأتي بيانه.." (١)

"بيان كمال علم النبي صلى الله عليه وسلم وفصاحته ونصحه

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وإذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه، ومن المعلوم للمؤمنين أن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا، وأنه بين للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر.

والإيمان بالله واليوم الآخر: يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد، وهو الإيمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ [البقرة:٨]].

الشيخ: إن الله تعالى بعث رسوله بالهدى ودين الحق، والهدى ودين الحق أصله الإيمان بالمبدأ والمعاد، والخالق والرازق والمدبر والمحيي والمميت والمستحق للعبادة، وأن الله يبعث من في القبور، ويجازيهم ويحاسبهم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير﴾ [لقمان:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ [الروم:٢٧]، وقد بين الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده، وكشف به مراده.

ومعلوم للمؤمنين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بذلك من غيره، وأنصح للأمة من غيره وأفصح من غيره عبارة وبيانا، بل هو أعلم الخلق بذلك، وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم، وقد اجتمع في حقه صلى الله عليه وسلم كمال العلم والقدرة والإرادة].

الشيخ: قوله: كمال العلم، أي: فهو عالم ليس بجاهل عليه الصلاة والسلام، وكمال القدرة، أي: القدرة

---

(١) شرح التدمرية - ناصر العقل، ناصر العقل ٨/١

على الإفصاح، وعنده إرادة ورغبة فهو يريد أن يبلغ رسالة ربه، حتى إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ [الكهف:٦]، أي: كاد يهلك نفسه في إبلاغهم وهدايتهم أسفا عليهم إذا لم يؤمنوا.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ومعلوم أن المتكلم أو الفاعل إذا كمل علمه وقدرته وإرادته كمل كلامه وفعله، وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه، وإما من عجزه عن بيان علمه، وإما لعدم إرادته البيان].

وهذا في حق الرسول محال فهو أعلم الخلق وأنصح الخلق وأفصحهم، وعنده قدرة على البيان، فقد علمه الله تعالى وسدده، وعنده إرادة ورغبة وقوة في تبليغ رسالة ربه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والرسول صلى الله عليه وسلم هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في القدرة على البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة يجب وجود المراد؛ فعلم قطعا أن ما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان هو مطابق لعلمه، وعلمه بذلك أكمل العلوم.

فكل من ظن أن غير الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم بهذه منه، أو أكمل بيانا منه، أو أحرص على هدي الخلق منه فهو من الملحدين لا من المؤمنين].

الشيخ: من ذلك ما يقوله بعض الفلاسفة، حيث يقولون: إن الرسول ما علم، وبعض المجهلة يقولون: الرسول لا يعلم معاني الصفات، ولكن الفلاسفة يعلمونها، وكذلك الأولياء، وبعضهم يقول: علمها ولكن ما بينها، وإنما كتمها؛ لأن مصلحة الناس في أن يكتمها؛ لأنه يخاطبهم من باب الخطاب الجمهوري، فهو يخاطبهم بما يصلح الجمهور وإن كان كذبا، وبعضهم يقول: إن الرسول ما بين الحقائق، وهو يعلمها؛ لأن مصلحة الناس في هذا، فهو وإن كان كاذبا، لكنه كذب لهم ولم يكذب عليهم، فهو كذب لمصلحة.

وهذا كلام باطل، فالرسول عليه الصلاة والسلام أكمل الخلق وأعلم الخلق وأنصح الخلق وأقدرهم على البيان، وأتمهم إرادة عليه الصلاة والسلام.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيل السلف هم في هذا الباب على سبيل الاستقامة].

الشيخ: أي: أنهم في باب الأسماء والصفات، وباب المعاد والجزاء والحساب على سبيل الاستقامة، يعملون بالنصوص، فيثبتون لله ما أثبته لنفسه، أو أثبته رسوله من الأسماء والصفات، وينفون عنه ما نفاه

عن نفسه، ويثبتون البعث والمعاد والجزاء والنشور، وأما أعداؤهم، أعداء الرسل فهم على طبقات ثلاث: أهل **التخييل**؛ وأهل التأويل؛ وأهل التجهيل.." [١]

"بيان المنحرفين عن طريقة السلف وطوائفهم

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأما المنحرفون عن طريقهم.

فهم ثلاث طوائف: أهل **التخييل**، وأهل التأويل، وأهل التجهيل، فأهل **التخييل**: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف، فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو **تخييل** للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق ولا أوضح الحقائق].

الشيخ: يريدون أن ما أخبر به النبي من الغيب من باب **التخييل**، فالنبي يخيل لهم أنها حقائق حتى تستقيم أمورهم وتصلح أحوالهم، ولا يعتدي بعضهم على بعض، فإنهم إن اعتقدوا أن هناك جنة ونار وبعث ونشور يخافون، ولا يعتدي بعضهم على بعض، وإلا في الحقيقة ليس هناك لا جنة ولا نار ولا بعث، وأهل **التخييل** كفرة ملاحدة نعوذ بالله من ذلك.

ويقولون عن النبي: إنه رجل عبقري، فليست النبوة عندهم هبة من الله، بل النبي رجل عبقري يسوس الناس.

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: [ثم هم على قسمين: منهم من يقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين.

وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة وباطنية الصوفية.

ومنهم من يقول: بل الرسول صلى الله عليه وسلم علمها لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق].

الشيخ: فتبين أن أهل **التخييل** طائفتان، طائفة تقول: الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم الحقائق التي جاء بها، ولكن الذي يعلمها بزعمهم هم الذين يسمون بالفلاسفة أو الأولياء.

والطائفة الثانية تقول: بل الرسول علم معناها لكنه لم يبنيها فقد كتمها وإن كانت هي الحق؛ لأن مصلحة الناس إنما هي في الكتمان، فمصلحة الناس أن يخبرهم بغير الحقائق وبغير الواقع.

فهم على طائفتين وكلهم ملاحدة.

---

(١) شرح الحموية لابن تيمية – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٣/٥

فالطائفة الأولى يقولون: إن الرسول يقرأ: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥]، ويقرأ: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر:١٠]، وهو لا يعرف معنى يصعد، ولا يعرف معنى استوى.

وإنما يعلم هذا بزعمهم الفلاسفة والأولياء فهم عندهم يعرفون المعاني، فيجعلونهم أعلم بالله من الأنبياء والمرسلين.

وقد أراد من قال إن الرسول عبقري أن يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام ولا شك أن الرسول عليه الصلاة والسلام أكمل الناس في الصفات وفي الشجاعة والفهم والعلم، لكن كلمة عبقري فيها ما فيها.

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: [ويقول هؤلاء: يجب على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل؛ لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد].

الشيخ: فهم لزيغهم وجهلهم يقولون: الرسول كذب لكن كذب لهم لا عليهم، وفرق بين من يكذب لك ويكذب عليك، فقد كذب عليهم فقال: هناك معاد، لكنه كذب لهم، أي: لمصلحتهم، والمصلحة تقتضي هذا، فهو يخبر أن هناك معاد وجنة ونار ووكل ذلك ليس حقيقة، وهو يثبت الصفات لله حتى يعتقد الناس أن لله صفات، ومع ذلك فلا صفات على الحقيقة، وإذا سئلوا لماذا يعمل هذا؟ قالوا: لأن هذا من باب السياسة، فهذا هو الذي يصلح الناس، وهو كذب لهم لا عليهم، وما دام الكذب لمصلحة فلا بأس، وهذا من أبطل الباطل، واعتقاد هذا من أعظم الكفر.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر، وأما الأعمال فمنهم من يقرها ومنهم من يجريها ہذا المجرى، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض ويؤمر بها العامة دون الخاصة فهذه طريقة الباطنية والملاحدة والإسماعيلية ونحوهم].

الشيخ: فالأعمال كالصلاة والصيام والزكاة يأمرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهي ليست بواجبة، ومنهم من يقول: الصلاة والزكاة إنما يأمر بها العامة من الناس دون الخاصة والأولياء.." (١)

"أهل التأويل وقولهم في الصفات

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأما أهل التأويل فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم تلك المعاني، ولا دلهم عليها؛ ولكن

---

(١) شرح الحموية لابن تيمية – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٦/٣

أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم إتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرفوا الحق من غير جهته، وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك].

الشيخ: فهذا قول أهل الكلام، ويسمون أهل التأويل، وهم أهل التحريف من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، يقولون: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين معاني النصوص، فقال: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف:٥٤]، ولم يبين ذلك، بل وكلها إلى أهل العقول ممن يأتي بعده، الذين يتأملون وينظرون ويؤولون الكلام حتى يعرفون معناها الباطن، فقوله: (استوى)، مقصودها الاستيلاء، وأن العلماء بعد ذلك أتعبوا أذهانهم حتى استخرجوا المعاني الباطنية، فعرفوا أن معنى استوى: استولى، ومعنى اليد: القدرة وهكذا يتأولون.

وهذه تأويلات باطلة لنصوص الصفات.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والذين قصدنا الرد عليهم في هذه الفتيا هم هؤلاء إذ كان نفور الناس عن الأولين مشهورا بخلاف هؤلاء، فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة وهم -في الحقيقة- لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا].

الشيخ: أي: الذين قصدنا الرد عليهم هم الجهمية والمعتزلة الذين يحرفون نصوص الصفات، ويقولون: معنى (استوى): استولى، أما أهل التخييل فالمعروف أنهم كفرة وملاحدة، والناس يعرفون عنهم ذلك، وإنما المصيبة في الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين يحرفون نصوص الصفات وينطلي تحريفهم على كثير من الناس، ويظنون أنهم أهل الحق.

فالجهمية والمعتزلة تظاهروا بنصر السنة، ويقول الشيخ رحمه الله: وهم في الحقيقة: لا نصروا الإسلام ولا كسروا أهل الشرك، من الفلاسفة الملاحدة، فما كسروهم ولا ناظروهم ولا أبطلوا حججهم، ولا يعرف عن الجهمية والمعتزلة أن منهم عباد، وأنهم أهل الخشية وأهل التقى، ولا أيضا استفيد منهم في ردهم على الفلاسفة، بل إنهم أخذوا عن الفلاسفة، فلا فائدة منهم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ولكن أولئك الفلاسفة ألزموهم في نصوص المعاد نظير ما ادعوه في نصوص الصفات].

الشيخ: لما حرف الجهمية والمعتزلة فقالوا: استوى، معناها: استولى، وقوله: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح:١٠]، معنى اليد: النعمة والقدرة، فدخل من هذا الباب الفلاسفة، وقالوا: إن البعث المراد به بعث

الأرواح لا الأبدان، والصلاة ليست ما تفعلونه من ركوع وسجود وقيام، وإنما الصلوات الخمس خمسة أسماء: علي وفاطمة وحسن وحسين ومحمد، والصيام: كتمان سر المشايخ، والحج: السفر إلى الشيوخ والجنة: خيال لا حقيقة، عندما احتج عليهم الجهمية والمعتزلة أن ما يفعلونه حرام لا يجوز في التعامل مع نصوص الشرع، أجابوهم: كيف يجوز لكم أن تؤولوا النصوص ونحن لا يجوز لنا أن نؤول نصوص المعاد، إن كان التأويل حراما علينا فهو حرام عليكم أيضا، وإن كان جائزا لكم فهو جائز لنا أيضا، وبذلك تسلطوا عليهم وكانوا سببا في فتح باب الكفر لهؤلاء.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان، وقد علمنا الشبه المانعة منه، وأهل السنة يقولون لهؤلاء: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد].

الشيخ: لما أول الفلاسفة نصوص البعث والمعاد والجنة والنار، رد عليهم الجهمية والمعتزلة، فقالوا: نحن نعلم بالاضطرار بدون الرسول أن المعاد ثابت، وأن الجنة والنار ثابتتان، فهذا أمر ضروري، لا جدال فيه.

فقال لهم أهل السنة: ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بإثبات الأسماء والصفات وأن هذه الأسماء ثابتة في جميع الكتب وأن الشبهة التي تدل على تأويلها باطلة.

فاحتجوا عليهم بمثل ما احتجوا هم به على الفلاسفة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ويقولون لهم -أهل السنة-: معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول صلى الله عليه وسلم وناظروه عليه؛ بخلاف الصفات فإنه لم ينكر شيئا منها أحد من العرب].

الشيخ: أي: نثبت الصفات فنقول: أولا: إنها -أي نصوص إثبات الأسماء والصفات- أكثر من نصوص المعاد.

ثانيا: إن المشركين كانوا يقرون بها، وإنما كانوا ينكرون المعاد ولم ينكروها، فكيف يسوغ لكم أن تؤولوا الصفات، وهي في الكتب المنزلة أكثر من نصوص البعث والمعاد، ولم ينكرها أحد حتى من المشركين.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، وكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به].

الشيخ: وهذا فيه رد على الجهمية والمعتزلة، فإذا كانت نصوص الصفات أكثر من نصوص البعث والوعيد

فإن إقرار العقول بها سيكون أكثر من إقرارها بالوعد والمعاد، فكيف يسوغ لكم أن تؤولوا الصفات مع أن إقرار العقول بها أكثر، وأنتم تعترفون بأن نصوص البعث والمعاد لا يمكن أن تؤول، مع أن نصوص الصفات أكثر وإقرار العقول بها أكثر، فإذا كان لا يسوغ ولا يجوز تأويل نصوص المعاد، فلا يجوز من باب أولى تأويل نصوص الصفات.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأيضا فقد علم أنه صلى الله عليه وسلم قد ذم أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا مما حرف وبدل لكان إنكار ذلك عليهم أولى].

الشيخ: أي: أن أهل الكتاب حرفوا التوراة والإنجيل وأنكر الله عليهم التحريف، ولم يذكر أنهم حرفوا الصفات، فلو حرفوا الصفات لأنكر الله عليهم، فإذا كان المشركون يقرون بالصفات، وأهل الكتاب يقرون بالصفات، فما الذي يدعوكم أيها المؤولون إلى تأويل الصفات، مع أن إقرار العقول بها أكثر، وقد أقر بها المشركون وأهل الكتاب.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فلو كان هذا مما حرف وبدل لكان إنكار ذلك عليهم أولى، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجبا منهم وتصديقا].

الشيخ: كما في قصة الحبر الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (يا محمد! إننا نجد في التوراة أن الله يضع السموات على ذه – وأشار إلى أصبع – والأرضين على ذه والماء والثرى على ذه، والجبال على ذه، والشجر على ذه، خمسة أصابع، ثم يهزهن بيده فيقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر).

فأهل الكتاب مقرون بالصفات، وبذلك يكونون أحسن حالا من الجهمية والمعتزلة في الإيمان بالصفات.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجبا منهم وتصديقا، ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة لأهل الإثبات].

الشيخ: فما عاب النبي صلى الله عليه وسلم على اليهود في إثباتهم للصفات، كما تعيب نفاة الصفات أهل السنة في إثباتهم للصفات.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [مثل لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك].

الشيخ: فما عابهم بإثبات الصفات، ولا سماهم مجسمة ولا مشبهة، وإنما عابهم بالكفريات التي كانوا يقولونها والتنقص الذي نسبوه إلى الرب سبحانه كقولهم: (إن الله فقير) أو (يد الله مغلولة).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [بل عابهم بقولهم: ﴿يد الله مغلولة﴾ [المائدة:٦٤]، وقولهم: ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ [آل عمران:١٨١]، وقولهم: استراح لما خلق السموات والأرض، فقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ [ق:٣٨]، والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن، فإذا جاز أن نتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى، والثاني: مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه باطل فالأول أولى بالبطلان].

الشيخ: أي: إذا كانت الصفات هي المتفق عليها في التوراة والإنجيل، وانفرد القرآن بالبيان للمعاد، وأقررتم أنه لا يجوز تأويل المعاد، وهو مما انفرد به القرآن فمن باب أولى ألا يجوز تأويل الصفات.." (١)

"بيان مذهب أهل التجهيل

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأما الصنف الثالث: وهم أهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف، يقولون: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف معاني ما أنزل الله عليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني تلك الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك].

وهذا سبق بيانه عند الحديث عن أهل التأويل وأهل **التخييل** الذين يقولون: إن الرسول يخيل للناس، وأهل التأويل الذين تأولوا النصوص وحرفوها وهم: المعتزلة والجهمية، وأهل **التخييل** والفلاسفة وغيرهم الذين يقولون: إن الأنبياء يخيلون على الناس.

وسموا أهل التجهيل؛ لأنهم يجهلون الرسول عليه الصلاة والسلام ويجهلون جبريل، فالرسول صلى الله عليه وسلم عندهم لا يعرف معاني الصفات، وكذا جبريل لا يعرف معانيها ويقولون: إن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥]، ولا يدري معنى استوى، ولا جبريل يعرف معنى استوى، فزعموا جهل النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل لمعاني الصفات والنصوص.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وكذلك قولهم في أحاديث الصفات.

إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا ابتداء، فعلى قولهم: تكلم بكلام لا يعرف معناه، وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران:٧]، فإنه وقف أكثر السلف على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران:٧]].

أي: أنهم ظنوا أنهم لما فوضوا إلى الله وجهلوا النبي صلى الله عليه وسلم، أنهم قد عملوا بهذه الآية: ﴿وما

(١) شرح الحموية لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٧/٣

يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران:٧]، فجهلوا الرسول وجهلوا جبريل، وزعموا أن الرسول لا يعرف معاني الآيات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات ولا معاني الصفات؛ لأنها لا يعلمها بزعمهم: إلا الله.." (١)

"حقيقة الكهانة والتنجيم والسحر وأنواعه

الكهانة: هي تعاطي الأمور الغيبية، وممارسة الأشياء الغامضة البسيطة، وادعاء كشف الأسرار، وادعاء القدرة على خرق العادات، ولهذا يدخل السحر في الكهانة، وبعض صور التنجيم تدخل في الكهانة أيضا.

أما السحر فالمقصود به ما خفي ولطف سببه، وعلى هذا فالسحر أكثره طلاسم.

والسحر عمل غامض يبهر الناس، وغالبا يكون بمعونة الشياطين، سواء شياطين الإنس أو شياطين الجن.

وقيل: إن السحر هو أعمال دقيقة تؤثر في القلوب والأبدان، تتم بعزائم ورقى وحركات شيطانية، وهذا وصف من أوصافه، وإلا فالسحر: هو كل ما خفي ولطف سببه، سواء كان هذا الأمر مما ليس له تفسير شرعي، أو مما ليس له تفسير مادي وعقلي.

وما لم تستوعبه العقول، أو يفسره العلم، ولم يقر به الشرع، فهو سحر، وما أثر في مقادير الخلق وأحوالهم من الأمور التي ليس لها أصل شرعي، وليست معقولة عند العقلاء، فهي سحر، ولذلك الآن يدخل في السحر صور كثيرة مما يمارسه الدجالون الآن.

والسحر كما هو معروف نوعان، ومن عرف هذين النوعين خرج مما وقع فيه كثير من الناس من الخلاف في السحر، فالسحر منه ما هو حقيقي، ومنه ما هو خيالي، وأكثر الخيال يرجع إلى حقائق، وأكثر الحقائق ترجع إلى خيالات أيضا.

فمن هنا السحر نوعان: سحر حقيقي، وهو أن يعمل الساحر أشياء مادية ظاهرة التأثير بينة، وتكون بينه وبين أعوانه من الشياطين، فالساحر يربط أحوال الناس الذين يؤثر فيهم بفعل الشياطين بأمور غامضة، يقوم بعمل أمور مادية أو وضع نجاسات أو غيرها، ويجعلها بمثابة العقد بينه وبين الشيطان، وأنه ما دامت هذه الأشياء موجودة محفوظة في مكان معين أو على نمط معين، فإنها هي الرابط بين الشيطان وبين الساحر للتأثير في الآدمي.

وهذا التأثير يرجع إلى أمر حقيقي، ولذلك كثير من الناس إذا وفق إلى معرفة مكان السحر وإتلافه بإذن الله يشفى؛ لأنه هو العقد بين الشيطان وبين هذا الساحر، أو بين الشياطين وبين هذا الساحر.

فهذا النوع أيضا يعتبر نمطا من أنماط السحر، ولذلك ينبغي لمن أصيب له قريب -لا قدر الله- بسحر أن

---

(١) شرح الحموية لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٣/٤

يحاول أن يتعرف على مكان السحر، ولو عن طريق ما تنطق به الجن إذا ما قصد ذلك، إنما جاءه من باب استعمال الرقية.

فإذا أخبر الجن بمكان سحر، فإن كانوا صادقين فهذا خير ونعمة وكرامة للعبد أن يشفى بسبب هذا الخبر، لكن لا ينبغي أن يتعلق القارئ بالاستعانة بالجن، فيكون هذا من باب الاستدراج والابتلاء، لكن إذا جاءه الأمر بدون اختياره أو قصده وتعمده فهذا لا حرج فيه؛ فقد وقع منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا.

فالسحر الحقيقي كثير، وأكثر ما يؤثر في العباد من قبل هؤلاء الأشرار قاتلهم الله، هو السحر الحقيقي الذي يؤثر تأثيرا حقيقيا، سواء أثر في أمر مادي جسماني، أو في أمر معنوي نفسي، فكل هذا يرجع إلى أصل واحد وهو السحر الحقيقي.

أما السحر **التخييلي** فهو ما يكون تأثيره تأثيرا نفسيا أو نحو ذلك، أو يكون باستعمال الشياطين مباشرة، بحيث تؤثر على تفكير الإنسان وتسيطر عليه، وهذا قد يكون بتأثير مباشر من الجني أو الشيطان.

وهذا السحر توجد منه نماذج، وهو نوع من الجنون والمس، سواء علم أو لم يعلم، وأحيانا يجتمع الأمران: السحر الحقيقي، والسحر **التخييلي**.

أما التنجيم فهو ادعاء تأثير النجوم في مقادير الخلق، أو مقادير الكون، أو بعضها.

والكهانة أيضا لها أصناف: العيافة كهانة، والطرق كهانة، والعرافة كهانة، وأحيانا التنجيم والسحر يكونان من الكهانة.." (١)

"عدم دخول الجن كل مسحور

Q هل من لازم الإنسان المسحور أن يكون هناك جني قد دخل فيه؟

A لا، لا يلزم، لكن هذا ينطبق على نوعي السحر الحقيقي، فالسحر الحقيقي قد يصاحبه الجني، وقد لا يصاحبه جني، ولا يلزم من كل سحر أن يصاحبه جني، لكن قد يكون هذا هو الغالب؛ لأن الجن يقومون بالدور الذي يريده الساحر في الغالب، لكن ليس هذا بلازم.

أما المؤثرات المعنوية فتدخل في السحر **التخييلي**، مثل: أن يشعر الإنسان بشيء غير حقيقي، يشعر أنه فعل شيئا وما فعله، ويشعر أنه يرى شيئا وهو في الحقيقة لم ير شيئا، فهذه تسمى مؤثرات معنوية، وقد يكون عنده نوع من الوسواس، والوسواس تأثيره معنوي.

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٤/١٠٣

وقد يكون السحر عضويا من الناحية الطبية، في مخ الإنسان أو جسمه، لكن هذا ما ندركه، هو بالنسبة لنا معنوي.." (١)

"تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه، والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد **تخييل**].

هذه المسألة سبق الإشارة إليها، وذكرنا أن السحر منه ما هو **تخييلي**، ومنه ما هو حقيقي، يؤثر تأثيرا ماديا محسوسا، ومنه ما يجمع بين الأمرين وهو الغالب، أغلب أنواع السحر يكون **تخييليا** مبنيا على أشياء مادية يضعها الساحر، وأحيانا يكون مجرد **تخييل**، لكنه سحر، وأحيانا يكون ماديا بحتا، بمعنى أنه مادة منظورة مشهودة مؤثرة، تحس بالحواس.

إذا: فالتنازع في الحقيقة لا محل له هنا، وكما ذكر جمهور أهل السنة على أن السحر ينقسم إلى نوعين: منه ما هو **تخييلي**، ومنه ما هو حقيقي، **والتخييلي** أحيانا ينبني على الحقيقي، وكذلك العكس.

قال رحمه الله تعالى: [واتفقوا كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة أو غيرها، أو خطابها، أو السجود لها، والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك؛ فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك، فيجب غلقه، بل سده، وهو من جنس فعل قوم إبراهيم عليه السلام، ولهذا حكى الله عنه بقوله: ﴿فنظر نظرة في النجوم * فقال إني سقيم﴾ [الصافات:٨٨ - ٨٩].

وقال تعالى: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا﴾ [الأنعام:٧٦] الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام:٨٢].

واتفقوا كلهم أيضا على أن كل رقية وتعزيم، أو قسم فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا)].

مسألة الرقية موضوعها موضوع مستقل؛ لكن نظرا لأن المؤلف أشار إلى مسألة الرقية، وهي من الأمور التي يتحدث فيها الناس كثيرا الآن، ويكثر فيها اللغط، ويكثر فيها الكلام إلى حد شوش على عامة المسلمين.

نقول: الأصل في الرقية الجواز، والأصل في الرقية أنها تجوز بكل مباح من الألفاظ والعبارات الصحيحة

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١٢/١٠٣

السليمة، وأفضل الرقية الرقية بكتاب الله عز وجل، وأيضا بألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل: قوله صلى الله عليه وسلم: (اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، اللهم لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما) ونحو هذا من العبارات التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم بعد ذلك يجوز الرقية بأي لفظ صحيح يكون فيه الدعاء لله عز وجل، ولا يكون فيه شرك ولا غموض، ولذلك عندما كان بعض الصحابة يرقون برقى كانوا يرقون بها في الجاهلية قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اعرضوا علي رقاكم) فأعطاهم قاعدة فيها وقال: (لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا).

وهناك نصوص قد تدل على تخصيص الرقية بأشياء معينة أو بأمراض معينة، كتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الرقية مثلا بالعين والحمى، كما ورد في أكثر من لفظ، فهذا لا يعني أن غيرهما لا يجوز الرقية فيه، لكن هذا محمول على أن أفضل الرقى وأبلغها تأثيرا في هذين الأمرين، أو أنه من باب الخبر؛ للتأكيد على أن أبلغ أنواع الرقية هو هذا النوع، وإلا فما دام قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم الإذن العام، فتخصيص الرقية بشيء معين لا بد أن يحمل على معنى آخر؛ لئلا يؤدي هذا إلى نقض الأحاديث، وهذا لا يمكن أن يكون.

فإذا: الأصل في الرقية الجواز إذا كانت بالقرآن أو بالسنة، أو بأدعية صحيحة مشروعة، وبألفاظ بينة ذات معنى مقر شرعا، وليس فيها ألغاز ولا طلاسم ولا إسرار، بعض الناس يسر بالرقية؛ ليوهم الحاضرين بأن عنده أشياء ليست عندهم، فهذا نوع من الدجل، ومن مكائد الشيطان على الإنسان، فيبقى جنس الرقية جائز ما دامت بالضوابط الشرعية، وما ينضاف إلى الرقية من أمور فيحكم على الرقية من خلاله، بحسب ما يرد من الناس من زيادات وإشكالات؛ لأن من مداخل الشيطان على الناس أن أغلب الرقاة يضيفون على الرقية أشياء تأتيهم أحيانا بدون ما يشعرون، من خلال عبث الجن بهم، كحركات وصور وأشكال وأنماط من المؤثرات ونحو ذلك مما تنضاف إلى الرقية، وهذا من الباطل الذي ينبغي نفيه.

أما الأمور الشرعية المعلومة التي ليس فيها لبس، سواء من الأعمال أو الألفاظ فلا حرج أن تكون من الرقى؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما منع من الرقية ما كان شركا فقط، وما كان سحرا ونحو ذلك.." (١)

"طرق فرق الضلال في الوحي

قال رحمه الله تعالى: [ولفرق الضلال في الوحي طريقتان: طريقة التبديل، وطريقة التجهيل، أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم **والتخييل**، وأهل التحريف والتأويل.

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٢/١٠٤

فأهل الوهم والتخييل: هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله، واليوم الآخر، والجنة والنار، بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه، لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به، ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيما محسوسا، وعقابا محسوسا، وإن كان الأمر ليس كذلك؛ لأن مصلحة الجمهور في ذلك، وإن كان كذبا فهو كذب لمصلحة الجمهور!! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل.

وأما أهل التحريف والتأويل: فهم الذين يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر، وإن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا، ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات.

ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل، بل يقولون: يجوز أن يراد كذا، وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ.

وأما أهل التجهيل والتضليل الذين حقيقة قولهم: إن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء، ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه جبريل ولا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا غيره من الأنبياء، فضلا عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن محمد صلى الله عليه وسلم كان يقرأ: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥].

﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر:١٠].

﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص:٧٥]، وهو لا يعرف معاني هذه الآيات؛ بل معناها الذي دلت عليه لا يعرفه إلا الله تعالى، ويظنون أن هذه طريقة السلف.

ثم منهم من يقول: إن المراد بهذا خلاف مدلولها الظاهر المفهوم ولا يعرفه أحد، كما لا يعلم وقت الساعة.

ومنهم من يقول: بل تجرى على ظاهرها وتحمل على ظاهرها، وهؤلاء يشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص، التي يجعلونها مشكلة أو متشابهة؛ ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلا.

ثم منهم من يقول: لم يعلم معانيها أيضا.

ومنهم من يقول: علمها ولم يبينها، بل أحال في بيانها على الأدلة العقلية، وعلى من يجتهد في العلم بتأويل تلك النصوص، فهم مشتركون في أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلم أو لم يعلم، بل نحن عرفنا الحق بعقولنا، ثم اجتهدنا في حمل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يوافق معقولنا، وأن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون العقليات، ولا يفهمون السميعات.

وكل ذلك ضلال وتضليل عن سواء السبيل.

نسأل الله السلامة والعافية من هذه الأقوال الواهية المفضية بقائلها إلى الهاوية سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

يقرر المؤلف رحمه الله هنا مناهج أهل الأهواء ومواقفهم مما جاء به الرسل، وتقرير المؤلف هذا منقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية في درء التعارض وفي غيره، وهذا لا يعني أن كل طائفة تمثل فرقة، أو كل منهج يمثله فرقة، هذه المناهج موزعة بين الفرق، فمثلا: ما أشار إليه عند ذكر أهل الوهم **والتخييل**، الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه، إنما جاءوا بهذا الخطاب من أجل إقناع الجمهور، وأغلبها خيالات وتوهمات، فالقائلون بهذا القول هم طوائف من الفلاسفة ومن الجهمية ومن الباطنية.

والقول الثاني الذي أشار إليه في قوله: (وأما أهل التحريف والتأويل) فهم الذين يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر، وأن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا، فهؤلاء أهل الكلام عموما، سواء من كان عنده نزعة صوفية، أو كانوا من متكلمة الفرق الإسلامية، ومناهج أهل الكلام تقوم على هذا الأصل، على التحريف والتأويل.

الصنف الثالث: هم أهل التجهيل والتضليل، وأغلبهم من الفلاسفة والباطنية، لكن نسب الشيخ إليهم المفوضة والواقفة، وأهل التفويض والوقف موجودون في جميع الفرق، في الفلاسفة والباطنية والجهمية وأهل الكلام، أيضا أدخل في هذا الصنف طائفة من المتكلمين في المقطع الأخير، الذين قال فيهم: ثم منهم من يقول: لم يعلم معانيها أيضا، هذا ما استقر عليه منهج أهل الكلام المتأخرين من القرن السادس وما بعده، بل من القرن الخامس من أيام الشهرستاني والبغدادي والجويني والغزالي والرازي وهو أشهرهم، ثم الإيجي والآمدي ومن سلك سبيلهم، فهؤلاء هم أصحاب القول الأخير، فأدخلهم في أهل التجهيل والتضليل من باب الإلزام؛ لأن التجهيل والتضليل من لوازم قولهم، وإلا ففي الفئة الأخيرة من يقول: يعلم معان." [١]

"حقيقة الإشهاد

Q هل القول الثاني في مسألة الميثاق قول شاذ، مع أن بعض العلماء الأجلاء قال به، كـ شيخ الإسلام وابن القيم؟

A القول الثاني يقصد به أن الميثاق هو الفطرة، وأنه ليس هناك شيء يسمى إشهادا فعليا، وأن الله عز وجل لم يأخذ ذرية آدم من ظهره أو من ظهورهم بشكل حقيقي، وأن ما ورد في الحديث إنما هو تعبير عن

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١٤/١١٠

الفطرة، وتمثيل تخييلي، وهذا القول هو قول المتكلمين، وعلى هذا فلا يمكن أن يقول به شيخ الإسلام ابن تيمية ولا ابن القيم، فالذي يقول به شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم -فيما أذكر- هو أن الميثاق باق بالفطرة، وهذا حق، فالميثاق بقيت آثاره بالفطرة، وأن الناس في الحياة الدنيا لا يذكرون قصة الميثاق إلا من خلال ما ذكره الله عز وجل في كتابه، وخبره صدق، لكنهم لا يتذكرون أنهم حدث لهم ذلك المشهد الذي ورد في الحديث، وهذا لا يعني أنه لم يحدث، وتفسير هذا بالفطرة لا يعني إنكار حدوث مشهد الإشهاد والميثاق، وليس بينهما اختلاف كما ذكرت.

فعلى هذا فإن القول الثاني الذي أشرت إليه وأشار إليه الشارح لا يقول به إلا عدد قليل من السلف، والقائلون بحصول الإشهاد الفعلي والميثاق منهم من يثبتون الميثاق كما ورد في الحديث، ويفسرون الآية بمعنى من المعاني، وهو الفطرة والدلائل الكونية، وليس بين القولين تناقض.

إنما القول الذي يعد قليلا هو القول بأنه لم يحدث الميثاق على النحو الذي ورد في الحديث؛ نظرا لضعف الحديث، وأن المقصود بالميثاق هو الفطرة ودلائل وجود الله عز وجل، وإقامة البراهين الكونية والشرعية على الخلق.

وعلى هذا فيمكن أن تكون الأقوال على النحو الآتي: الأول: قول أغلب السلف، وهو أن الإشهاد حصل فعلا، وأنه بقيت دلائله بالفطرة والدلائل الكونية والشرعية، وأنه لا تناقض بين هذا وذاك، لكنهم اختلفوا في الدليل، فبعضهم قال: إن مسألة الإشهاد الواردة في الحديث غير مسألة الإشهاد الواردة في الآية.

وبعضهم قال: إن الإشهاد المقصود بالآية والحديث هو القصة الحادثة فعلا، وأنه ذلك المشهد الذي قد حصل، فهذان قولان.

والقول الثالث: إنكار أن يكون هناك شيء من الإشهاد الذي وردت قصته في الحديث، وهو أن الله عز وجل أخذ من آدم ذريته، ومن بني آدم ذريتهم، وأشهدهم فعلا واستنطقهم، وقصر الإشهاد على مسألة الدلائل التي ذكرتها، وهذا قول قليل، وما قال به إلا بعض المتكلمين وبعض العلماء الذين ما ثبت عندهم الحديث.." (١)

"تصورات الفلاسفة لكتب الله تعالى ووحيه

قال رحمه الله تعالى: [وأما كتبه عندهم؛ فإنهم لا يصفونه بالكلام، فلا تكلم ولا يتكلم].

المؤلف هنا اختصر الكلام، وكأنه اعتمد على ما هو أصل عند جميع المسلمين، وهو: أن الكتب المنزلة

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١٥/٥١

من عند الله عز وجل هي كلامه.

فبنى على ذلك أن كلامهم في كلام الله عز وجل ينطبق على الكلام في الكتب، فإنهم إذا أنكروا الكلام الذي هو صفة الله عز وجل فإنهم سينكرون أن تكون الكتب من عنده، أو يفسرونها بتفسير لا يطابق الواقع، ولا يدل عليه الوحي، بل يفسرونها بأمور سيأتي ذكرها.

قال رحمه الله تعالى: [فإنهم لا يصفونه بالكلام، فلا تكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر].

العقل الفعال عندهم مجرد افتراض، فلو أردنا أن نعرف معنى العقل عندهم لوجدناه مجرد وهم وتصور ليس له حقيقة في الواقع.

وهم لا يعتقدون أن لمثل هذه المعاني حقيقة في الواقع، وإن كان بعضهم قد يقول بأن مثل هذه الأمور -كالعقل الفعال- تتلبس بمخلوقات أخرى، وقد ينسبونها إلى النجوم والكواكب، فبعضهم قد ينسب مثل هذا الاختلاف إلى أكبر الكواكب، أو إلى أصل الكواكب أو أصل النجوم كالقطبين، وكل هذه تفسيرات وهمية، والمهم: أنهم يجردون ذات الله عز وجل عن الوجود الفعلي، وينسبون ما يحدث من أمور خارقة لا يقدر عليها البشر إلى أمور غيبية، أو وهمية كالعقل الفعال، والعقل الفعال يقصدون به: القوة الخفية المدبرة للكون، وقد يقول بعضهم بأن العقل أيضا يصدر أوامره وتوجيهاته إلى عقول أخرى تحت أمرة هذا العقل، وهذه العقول أيضا تتجزأ مسئولياتها ثم تتفرع إلى عقول أخرى وهكذا، وقد يجعلون هذا عن طريق النجوم، أو عن طريق الملائكة بأسمائها، أو نحوها.

فالمهم: أن العقل الفعال يقصدون به وجودا ذهنيا ليس له واقع، إنما هو قوة متوهمة -عندهم- تدبر الكون، وقد يعتقدون أن هذا العقل الفعال له وجود، وليس لهم على ذلك أدلة ولا براهين.

ومن هنا يبقى هذا الأمر مجرد وهم؛ لأن الشيء الغيبي الذي ليس عليه برهان من الله عز وجل من ادعاه بدون دليل فلابد أن يكون قد توهم.

فالأمر الغيبي لابد له من أحد أمرين: إما أن يكون هذا الغيب جاء عن طريق صحيح، وهو: الوحي المنزل من الله عز وجل، وهذا نؤمن به ونسلم.

وإما أن يكون مجرد توهم، والتوهم لا حقيقة له؛ لأنا نجزم قطعا بأن الذين قالوا بوجود العقل الفعال لا يمكن أن يأتوا لنا بدليل على وجوده، إنما اضطرهم إليه إنكار وجود الله عز وجل الوجود الذاتي، فاضطروا إلى أن يؤمنوا بمدبر لهذا الكون، سواء أكان عقلا أم قوة، أم روحا أو نحو ذلك مما عبروا به، فقالوا بمدبر

للكون وهم لا يؤمنون بالله، وإنما يؤمنون به تعالى إيمانا تجريديا كما ذكرت، فلجئوا بعد ذلك إلى افتراض قوة تدبر الكون سموها العقل الفعال.

قال رحمه الله تعالى: [والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب زاكي النفس طاهر، متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: قوة الإدراك وسرعته؛ لينال من العلم أعظم مما يناله غيره! وقوة النفس؛ ليؤثر بها في هيولى العالم بقلب صورة إلى صورة! وقوة **التخييل**؛ ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة، وهي الملائكة عندهم!].

الهيولى عادة يقصدون بها أمورا، منها: أصل الشيء، أصل الخلقة، أو -بتعبير المحدثين- مادة الخلق، أي: المادة الأساسية قبل أن يتجزأ الخلق إلى عناصر، فالأساس للخلق -سواء كان ماديا، أو قوة أخرى لها تأثير في حركة الكون- قد يعبرون عنه بالهيولى.

قال رحمه الله تعالى: [وليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء، وترى وتخاطب الرسول، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان، فهم أشد الناس تكذيبا به وإنكارا له].

وهذا يعني أنهم ينكرون أن يكون هناك ملك اسمه: جبريل ينزل بالوحي، وأن تكون هناك ملائكة تنزل وتصعد بأمر الله عز وجل، ينكرون ذلك كله، ويفسرونه بتفسيرات تجريدية وهمية ذهنية **تخييلية**، ويقولون: هذه **تخييلات** يعبر بها عن القوى المعنوية المدبرة للكون.." (١)

"عرض النصوص على البدع

ثم ذكر الأصل الرابع فقال: [بل كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته]، يعني: أنهم جعلوا بدعهم وأصولهم هي الأصل وهي الحكم، والنصوص محكوما عليها، فما وافق عقلياتهم قالوا بأنه محكم وقبلوه واحتجوا به، وما خالف عقلياتهم زعموا أنه متشابه، ثم إذا زعموا أنه متشابه اختلفوا في الموقف منه، فمنهم من رده، بمعنى: أنه لم يعتقد دلالته، ثم آل إلى الشك وفوض المعاني إلى غير اعتقاد، يعني: جعل الألفاظ بلا معان، وفوضها إلى علم الله، مع أن هذا أمر لا يصح؛ لأن الله عز وجل تكلم بالقرآن بلسان عربي مبين، وله حقائق ومعان، فتفويض المعنى يعني أنه لن يعتقد أن للنصوص معاني، فيبقى بلا عقيدة؛ لأن من فوض على هذا النحو فإنه سيبقى بلا عقيدة، ومنهم من حرف، بمعنى: أنه أول بمختلف أنواع التأويلات؛ لأن هناك من أول تأويلا بعيدا وهناك من أول تأويلا قريبا، لكن لا يدل على الحقيقة المرادة من النص.

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٧/٦٣

ومنهم من عطل تعطيلا مطلقا، بمعنى: أنه لم يفوض ولم يحرف ولم يؤول، إنما اعتقد أن ألفاظ القرآن والسنة مجرد ألفاظ تخييلية أو تشبيهية أو تمثيلية إلى آخر ذلك من المعاني التي زاغوا بها عن الحق واتبعوا الفلاسفة.." (١)

"اتفاق الأنبياء على الإيمان بالآخرة وموقف الفلاسفة من الأنبياء والبعث

قال رحمه الله تعالى: [وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالآخرة، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون، ومحمد صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفي؛ بين تفصيل الآخرة بيانا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء؛ ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد صلى الله عليه وسلم، وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري].

يقصد بالخطاب الجمهوري أن نظرة الفلاسفة للأنبياء نظرة خاصة؛ لأن الفلاسفة ليسوا من أتباع الأنبياء، فقد اتفق المحققون من أئمة السلف وغيرهم أن الفلسفة لم تأت إلا بمخالفة ما جاء به الأنبياء، الفلسفة بمعناها الاصطلاحي عند السلف، لا أقصد الفلسفة في العصر الحديث؛ لأن الناس توسعوا في مفهوم الفلسفة في هذا العصر، لكن الفلاسفة بمفهوم العلماء في القرون الأولى إلى وقت قريب هم من لم يؤمن بالنبوات، أو إيمانهم بالنبوات منحرف، فلا يمكن أن يكون فيلسوفا ومؤمنا بالنبيين على وجه الحقيقة، قد يكون هناك إيمان إجمالي؛ فلذلك مبدأ الفلاسفة يقوم على اعتبار أن الأنبياء ما هم إلا أناس عباقرة، عندهم قدرات ومواهب عالية جبارة، استطاعوا أن يصنعوا للناس أشياء وتعاليم يقودون بها الأمم، وبمواهبهم العالية استطاعوا أن يجذبوا إليهم العوام، فخاطبوا الجمهور بخطاب عقلي نابع عن عبقرية ومواهب عالية.

وبعض الفلاسفة قد يفسر بعض أمور النبوة بشيء من التفسيرات الغيبية الوهمية لا الصحيحة، فيقول: نظرا للعقلية الجبارة والمواهب الجبارة عند النبي فقد تتصل به قوة خارجية وأرواح خارجية فتفيض عليه من فتوحاتها، فيقول بأقوال هي أشبه بالهستيريا.

هذه هي مذاهب الفلاسفة إلى يومنا هذا، وكل من أعرفهم من الفلاسفة الإسلاميين هذا كلامهم في النبوات، فالفلاسفة يقدرون الأنبياء ويحترمونهم، لكن على أنهم أناس عباقرة، لا أن الله أوحى إليهم، وإن فسروا الوحي فسروه بنحو خرافي.

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٨/٧٤

إذا معنى قولهم: إن خطاب الأنبياء خطاب جمهوري، أي: أن الأنبياء بعبقريتهم ومواهبهم العالية خاطبوا الجمهور بخطاب عقلي، فصار لهم أتباع، وصارت لهم ديانات صنعوها من عند أنفسهم، ولذلك كان أمثال العقاد يقول: ما النبوة قبل إبراهيم إلا نمط من الكهانة، وأن الأنبياء قبل إبراهيم ما هم إلا مجموعة من الكهان الذين يحترفون حرفة الكهانة أمام الأمم.

وكان العقاد يفسر النبوة تفسيرا خرافيا على نحو ما يقول الغرب.." (١)

"تبيين القرآن لمعاد النفس والبدن ومعرفة ذلك عند الأنبياء من آدم إلى محمد عليهم السلام

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والقرآن بين معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد صلى الله عليه وسلم على طريق **التخييل**، وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام.

وقد أخبر الله بها من حين أن أهبط آدم، فقال تعالى: ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ [الأعراف:٢٤ - ٢٥]، ولما قال إبليس اللعين: ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [الحجر:٣٦ - ٣٨].

وأما نوح عليه السلام فقال: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾ [نوح:١٧ - ١٨].

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء:٨٢] إلى آخر القصة.

وقال: ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ [إبراهيم:٤١].

وقال: ﴿رب أرني كيف تحي الموتى﴾ [البقرة:٢٦٠].

وأما موسى عليه السلام فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ [طه:١٥ - ١٦] بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وإنما آمن بموسى قال تعالى حكاية عنه: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ [غافر:٣٢ - ٣٣] إلى قوله تعالى: ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار﴾ [غافر:٣٩] إلى قوله: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٣/٨٦

العذاب﴾ [غافر:٤٦].
وقال موسى: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ [البقرة:٧٣].
وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ [الزمر:٧١]، وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد يذكر فيها الدنيا والآخرة.
وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد، فقال: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم﴾ [سبأ:٣].
وقال تعالى: ﴿ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾ [يونس:٥٣].
وقال تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ [التغابن:٧].
وأخبر عن اقترابها فقال: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر:١].
وقال: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ [الأنبياء:١].
﴿سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع﴾ [المعارج:١ – ٢]، إلى أن قال: ﴿إنهم يرونه بعيدا * ونراه قريبا﴾ [المعارج:٦ – ٧].
وذم المكذبين بالمعاد فقال: ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾ [يونس:٤٥].
﴿ألا إن الذين يمارون." (١)

"النصوص الواردة في إثبات وجود الجنة والنار الآن

قال رحمه الله تعالى: [فمن نصوص الكتاب قوله تعالى عن الجنة: ﴿أعدت للمتقين﴾ [آل عمران:١٣٣].
﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ [الحديد:٢١].
وعن النار: ﴿أعدت للكافرين﴾ [البقرة:٢٤].

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٤/٨٦

﴿إن جهنم كانت مرصادا * للطاغين مآبا﴾ [النبأ:٢١ - ٢٢].
وقال تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى﴾ [النجم:١٣ - ١٥]].
القرآن جاء بلسان عربي مبين، والله عز وجل تكلم به ولا يتكلم الله إلا بالحق، والإعداد المذكور في الآيات هو الخلق والوجود السابق.
قال رحمه الله تعالى: [وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى، كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي آخره: (ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك).
وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة).
وتقدم حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وفيه: (ينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها)، وتقدم حديث أنس بمعنى حديث البراء.
وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (خسفت الشمس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت الحديث، وفيه: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به، حتى لقد رأيتني آخذ قطفا من الجنة حين رأيتموني أقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتموني تأخرت)].
هذه أحاديث صريحة بأن الجنة والنار موجودتان.
أما قوله: (فأفرشوه من الجنة) أي: أن الميت إذا كان من أهل الصلاح والاستقامة يفرش له من الجنة، ويرى منزله من الجنة رؤية حقيقية؛ لأن هذه الأخبار حق، وتقع في زمن الدنيا، وإلا فأحوال البرزخ وأحوال القبر تختلف عن أحوال الدنيا، لكنها في زمن الدنيا الذي يعيشه الأحياء إذا مات الميت من هؤلاء الأحياء فإن كان من أهل الخير يرى منزله من الجنة، ويفرش له من الجنة، فتكون الجنة موجودة معاينة، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم -وخبره الصدق والحق- في أثناء المعراج بما رآه، وكذلك أخبر صلى الله عليه وسلم حينما كسفت الشمس أنه رأى الجنة ورأى النار عيانا، كما ورد في الحديث الصحيح، وهذا دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان، وأن هذه الأخبار ليست أخبارا توهيمية **تخييلية**، كما يزعم الفلاسفة

وأذناب الفلاسفة، ممن لا يؤمنون بالله ولا برسله.

قال رحمه الله تعالى: [وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر الحديث، وفيه: فقالوا: يا رسول الله! رأيناك تناولت شيئا في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت؟ فقال: إني رأيت الجنة فتناولت عنقودا، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: يكفرن.

قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت خيرا قط).

وفي صحيح مسلم من حديث أنس: (والذي نفسي بيده! لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار).

وفي الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة).

وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة.

وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك! لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم." (١)

"أول الإسلام وأول واجب على المكلف

قال أبو محمد الحسن بن علي البربهاري رحمه الله تعالى: [واعلم أن أول الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن ما قال الله كما قال ولا خلف لما قال، وهو عند ما قال].

في هذه الفقرة يشير المؤلف إلى الأصل عند السلف وإلى تخطئة المخالفين؛ لأن قوله: (أول الإسلام) فيه إشارة واضحة إلى الرد على الذين قالوا: بأن أول واجب على العبد وأن مفتاح الدخول إلى الإسلام هو النظر أي: في وجود الله عز وجل ووحدانيته وأسمائه وصفاته كما يقول المتكلمون ومن سلك سبيلهم، فهو يقرر

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٣/٨٩

الحق الذي ورد في الكتاب والسنة والذي كان عليه سلف هذه الأمة، وهو أن أول الإسلام هو تسليم القلب واللسان والجوارح لله، ويتمثل ذلك بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهو أول واجب على العبد.

أما من زعم غير ذلك فقد أخطأ؛ لأن المتكلمين الذين زعموا أن أول واجب على المكلف هو النظر ألجئوا الناس إلى ما لا يطيقون؛ لأن المقصود بالنظر هو استقلال العقل بمعرفة ما يرضي الله عز وجل، وهذا لا يمكن أن يكون؛ لأنه ليس المقصود في قول أهل السنة إن أول الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله النظر في وجود الله ووحدانيته وأسمائه وصفاته على سبيل العموم بما اقتضاه العقل.

ليس هذا هو المقصود؛ لأن هذا أمر فطري، إنما المقصود والمطلوب من العباد هو التسليم لله عز وجل والإذعان له، ثم التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم وأن يطاع فيما جاء به عن الله ثم ما بعد ذلك يعتبر متضمنا في الشهادة.

وما يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته فلا شك أنه مطلوب من العباد، وهو أول أركان الإيمان ومقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، لكن ذلك على جهة التفصيل لا يمكن للعبد أن يصل إليه بالنظر الذي هو التفكير أو بالقصد إلى النظر، فإن الله عز وجل قد كفانا ذلك، فقد ذكر الله عز وجل وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم كل ما يتعلق بالله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحقوقه على جهة التفصيل، مما جعلنا لا نحتاج إلى أن نلجئ عقولنا للخوض فيما لا تدرك ولا تطيق، ولأن هذه الأمور متعلقة بأمور الغيب، والعقل لا يدرك إلا الإجماليات التي لا يتحقق بها رضا الله عز وجل ولا تتحقق بها عبادته؛ لأن الإدراك الإجمالي موجود عند المسلمين كما هو موجود عند غير المسلمين، أعني الإدراك الإجمالي لوجود الله ووحدانيته وتفرده بالخلق والرزق، فقد ذكر الله عز وجل لنا أن المشركين ليس عندهم في ذلك مشكلة.

إذا: فلا يصح ما يقوله أهل الأهواء من أن أول واجب على العبد النظر، أو أن أول الإسلام هو التفكير في وجود الله ووحدانيته إلى آخره فإن هذه الأمور قد كفيناها فلم يبق علينا إلا العمل وتحقيق الألوهية لله سبحانه، ولاشك أن ذلك يستلزم الإقرار بالربوبية يتضمنه، ويتضمن الإقرار بـأسماء الله وصفاته وأفعاله وبكل ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم جملة وتفصيلا، والتسليم بذلك بلا نقاش ولا دخول فيما لا تدركه العقول.

قوله: (وأن ما قال الله كما قال) قصده أن ما قال الله عز وجل في أمور الدين وبخاصة ما يتعلق بأمور الاعتقاد في ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله هو كما قال الله وما قاله رسوله صلى الله عليه وسلم فهو

كما قال؛ أي أنه حق على حقيقته وليس مجرد تخييلات أو أمثلة، ولا كما يقول المتكلمون أيضا أنه أمور عنى الله بها غير ما جاءت ألفاظ الشرع به.

قوله: (ولا خلف لما قال) خاصة فيما يتعلق بالخبر والوعد؛ لأن الله لا يقول إلا الحق وقوله الصدق.

قوله: (وهو عند ما قال) تفسير لما سبق، يعني: أن كل ما ورد عن الله عز وجل حق كما قال وعندما قال.." (١)

"الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان [٩]

خوارق العادة التي تظهر من الدجالين ليست كرامة لهم، وهي تخييل بالسحر واستعانة بالجن، فيشترط في الكرامة أن تكون لمؤمن تقي صالح، أما أولئك فأحوالهم شيطانية، فيجب التفريق بين أولياء الرحمن البررة، وأولياء الشيطان الفجرة.." (٢)

"تقول هذا جني النحل تمدحه ... وإن تشاء قلت ذا قيء الزنابير

مدحا وذما وما جاوزت وصفهما ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

أفيظن الجاهلون أنا نجحد علو الله على عرشه، لأسماء سموها، هم وسلفهم، ما أنزل الله بها من سلطان، وألقاب وضعوها من تلقاء أنفسهم، لم يأت بها سنة ولا قرآن، وشبهات قذفت بها قلوب، ما استنارت بنور الوحي، ولا خالطتها بشاشة الإيمان، وخيالات هي بتخييلات المغرورين، وأصحاب الهوس، أشبه منها بقضايا العقل والبرهان، ووهميات نسبتها إلى العقل الصحيح كنسبة السراب إلى الأبصار في القيعان.

فدعونا من هذه الدعاوي الباطلة، التي لا تفيد إلا تضييع الزمان، وإتعاب الأذهان، وكثرة الهذيان، وحاكمونا إلى الوحي، لا إلى «نخالة الأفكار، وزبالة الأذهان وعفارة الآراء، ووساوس الصدور، التي لا حقيقة لها في التحقيق، ولا تثبت على قدم الحق والتصديق، فملأتم بها الأوراق سوادا، والقلوب شكوكا، والعالم فسادا» (١).

يا قومنا والله إن لقولنا ... ألف تدل عليه بل ألفان

عقلا ونقلا مع صريح الفطرة ال ... أولى وذوق حلاوة الإيمان

كل يدل بأنه سبحانه ... فوق السماء مباين الأكوان

أترون أنا تاركو ذا كله ... لجعاجع التعطيل والهذيان (٢)

---

(١) التعليق على شرح السنة للبربهاري - ناصر العقل، ناصر العقل ٢/١١

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ياسر برهامي ١/٩

وهذه الشبهة قد تكلمنا عليها «بالاستقصاء حتى يتبين أنها من القول الهراء فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» (٣).

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٠٥) بتصرف وزيادة.

(٢) الكافية الشافية (ص١٣١).

(٣) الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٥٥).." (١)

"وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يبلغها في كل موطن ومجمع فكيف تكون حقيقتها محالا وباطلا وهو صلى الله عليه وسلم يتكلم بها دائما ويعيدها ويبديها مرة بعد مرة ولا يقرن باللفظ ما يدل على مجازه بوجه ما؛ بل يأتي بما يدل على إرادة الحقيقة كقوله: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: وعزتي وجلالي لا أسأل عن عبادي غيري» (١)، وقوله: «من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له» وقوله: «فيكون كذلك حتى يطلع الفجر» (٢)، فهذا كله بيان لإرادة الحقيقة ومانع من حمله على المجاز.

قال ابن القيم رحمه الله:

ما كل هذا قابل التأويل بالت ... حريف فاستحيوا من الرحمن

هذا وأصل بلية الإسلام من ... تأويل ذ التحريف والبطلان

ولأجله قد قال جهم ليس رب ... العرش خارج هذه الأكوان

كلا ولا فوق السموات العلى ... والعرش من رب ولا رحمن

ما فوقها رب يطاع جباهنا ... تهوي له بسجود ذي خضعان

ولأجله جحدت صفات كماله ... والعرش أخلوه من الرحمن

ولأجله قد كذبوا بنزوله ... نحو السماء بنصف ليل ثان

ولأجله زعموا الكتاب عبارة ... وحكاية عن ذلك القرآن (٣)

وأما من قال: إن حديث النزول لا يفهم منه شيء؛ فهذا «ضلال عظيم، وهو أحد أنواع الضلال في كلام الله والرسول صلى الله عليه وسلم، ظن أهل **التخييل**، وظن أهل التحريف، والتبديل، وظن أهل التجهيل» (٤).

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/٢٠٨

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الكافية الشافية (ص١٤٧ - ١٤٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٤١٤).." [(١)]

"اغترار المبتدعين بتخييلات الشياطين

قال رحمه الله تعالى: [ولا ريب أن الأوثان يحصل عندها من الشياطين وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم، وجعل القبور أوثانا هو أول الشرك.

ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه وشخص يراه وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميت، وقد يكون من الجن والشياطين، مثل أن يرى القبر قد انشق وخرج منه الميت وكلمه وعانقه، وهذا يرى عند قبور الأنبياء وغيرهم، وإنما هو شيطان؛ فإن الشيطان يتصور بصور الإنس ويدعي أحدهم أنه النبي فلان أو الشيخ فلان ويكون كاذبا في ذلك].." [(٢)]

"ضوابط في موقف المؤمن من الغيبيات

إذا هذه الأمور داخلة في باب الإيمان بالغيب، وداخلة في باب السمعيات، وداخلة في باب الأخبار، يعني ما أخبر الله به وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه.

والسمعيات أي: ما سمع من الوحي في كتاب الله أو ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والغيب لأنها غائبة عن مدركات العقل وكل هذه الأمور تضبط بالضوابط التالية.

أولا: أنه يجب الإيمان -بمعنى الجزم والتسليم- بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وصح به النقل عنه، سواء في القرآن أو في صحيح السنة.

ثانيا: أن هذه الأمور يجب الإيمان بها سواء ما شاهدناه وما غاب عنا.

فما شاهدناه هو كالأمور التي تحققت بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وجاء أيضا في القرآن أمور كثيرة شاهدناها فيما بعد في الواقع، سواء كانت من أشراط الساعة أو مما أخبر الله به من الأمور الغيبية التي تحقق أكثرها.

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/٢٨٤

(٢) شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ناصر العقل ٣/٥

وما غاب عنا هو كالأمور التي لم تحدث بعد من أشراط الساعة ونحوها، أو من الأمور التي تتعلق باليوم الآخر، والتي لا يمكن لأحد أن يطلع عليها إلا إذا قامت قيامته الصغرى، أو قامت القيامة الكبرى للجميع ومما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم خبره بفتح فارس والروم، وخبره بأنها ستخرج نار وهي نار الحرة التي أحرقت ما كان شرق المدينة، وخيره عن المتنبئين الكذابين حيث ذكر بعضهم بأسمائهم وبعضهم بأوصافهم إلى آخره.

ثالثا: أن نعلم أن ما ورد حق وصدق.

معنى (حق) أنه سيحدث وسيكون على ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، فليس خبر الله عز وجل وخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الأمور الغيبية مجرد توهمات أو تخيلات أو أمثال تضرب إنما هي حق وصدق لا بد أن تكون وأن تقع، سواء أدركت هذا عقولنا أو لم تدركه.

رابعا: أنه لا بد من الإيمان بهذه الأمور سواء في ذلك م؛ عقلناه أو جهلناه.

(ما عقلناه) أي: ما فهمناه، وأدركته عقولنا بأي نوع من أنواع الإدراك، كالتسليم الفطري والبدهيات العقلية، التي يسلم بها العقل السليم، فمثلا البعث تعقله عقول أكثر الناس الذين هم على الفطرة السليمة جملة لا تفصيلا فالعقول السليمة والفطر المستقيمة تدرك ضرورة البعث حتى لو لم تعرف تفاصيله، فكل عاقل ينظر إلى هذه الحياة الدنيا وما فيها من مصائب وابتلاء، وما فيها من أحوال الناس، وتفاوت هذه الأحوال من تفاضل بعضهم البعض وما يحدث بينهم من تظالم، وما يحدث بينهم من فروق في الحظوظ وفي الأعمار والأرزاق والأقدار، وأن بعضهم يموت في هذه الدنيا ولم يستكمل نصيبه وقد يموت مظلوما، وآخر قد استكمل نصيبه وهو يموت ظالما، فكل عقل يدرك أنه لا بد من حياة أخرى يكون فيها مقتضى العدل والمساواة بين الخلق، فهذا مما عقلناه، أي: فهمته العقول.

أو يفهم أنه يمكن أن يكون حسب مدارك العقول، فإن العقول تتفاوت، فبعض المسائل الغيبية إذا وردت على بعض الناس قالوا: هذا ممكن أن يكون، وإذا وردت على ناس آخرين قالوا: هذا أمر لا يدركه عقل.

إذا: من أدرك أو استطاع أن يسلم بمبدأ هذا الذي ورد، أو من لم يستطع كلهم يجب أن يكونوا على مستوى واحد من الإيمان، وهو التسليم بأن ذلك حق وصدق سواء فهمناه أو جهلناه.

وغالب أمور الغيب مما هو مجهول، والذي يعقل منها يعقل إجمالا لا تفصيلا، ولو عقلت تفصيلا ما كانت من أمور الغيب، لا سيما الكيفيات فإنها لا يمكن أن تعقل، إنما تعقل بمعنى أن يدرك العاقل بأنها يمكن أن تكون بمقتضى حكمة الله عز وجل وقدرته.

قوله: (ولم نطلع على حقيقة معناه)، يعني على الكيفية، ذلك أن الحقيقة على نوعين: حقيقة بمعنى ثبوت الشيء والإقرار به، فهذا يجب أن يؤمن به كل مسلم، وكل ما ورد من الغيبيات فله حقيقة، ويجب أن نجزم أن له حقيقة وليس **تخييلا** أو أمثالا تضرب، أو توهمات أو ألغازا، إنما هي حقائق، فهذا الجانب من الحقيقة يجب أن نؤمن به.

وجانب آخر من الحقيقة وهو الكيفية، فهذا مما لا تدركه العقول إذا بعض أهل العلم ينفي الحقيقة ويقصد به نفي الكيفية، وبعضهم يثبت الحقيقة ويقصد به الإيمان بأصل الشيء، وأنه على معنى صحيح على مراد الله عز وجل، وأن الله عز وجل ما أخبرنا بأمر إلا وهو حق، وليس مجرد خيالات ولا ألغاز ولا تصويرات وهمية كما يظن كثير من الفلاسفة والعقلانيين.." (١)

"الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، فكما أن له ذاتا لا تشبه ولا تماثل الذوات ولا يدركها العقل ولا مجال للعقل لا **بتخييل** ولا بتصوير ولا للقلب وإنما هي أوهام وتخيلات كذلك الصفات، فالكلام في الصفات فرع الكلام في الذات كما قال أئمة السلف رحمهم الله تعالى، (لا تمثله العقول بالتفكير) وهذا كما ذكرنا أصل من الأصول، ولذلك قال حكمي رحمه الله تعالى:

لا تبلغ الأوهام كنه ذاته ... ولا يكيف الحجا صفاته

يقال: مثل الشيء بالشيء تمثيلا وتمثالا شبهه به وقدره على قدره، ويقال: تمثل الشيء تصور مثاله، والتمثيل هذا فيه إفضاء على الصفة بأنها مماثلة لصفة كذا، فإذا قرأ قوله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة: ٦٤]. قد لا أعقل من هاتان اليدين إلا هذه اليد، إذا جاء إثبات الوجه قال: لا أعقل من الوجه إلا الوجه الذي يدركه الإنسان بالنظر إلى نفسه أو غيره، وهكذا بإثبات العينين ونحو ذلك، فحينئذ نقول: هذا يسمى تمثيل، قدر الشيء بالشيء، التشبيه فيه تقدير لكن لا من كل وجه وإنما من بعض الوجوه دون بعض، أليس كذلك؟ فنقول: لله علم وللمخلوق علم. وهذا تشبيه لأنك أثبت مطلق صفة لله عز وجل وأثبت اللفظ عينه للمخلوق، بل أثبته الله تعالى للمخلوق، وكذلك الملك ثابت لله وثابت للمخلوق، العزة ثابتة لله وثابتة للمخلوق، وهكذا لكن نقول: هنا اشتراك في مطلق الصفة كما سيأتي بحثه. إذا (لا تمثله العقول بالتفكير) نقول: مثل الشيء بالشيء إذا شبهه به وقدره على قدره من كل وجه، فيقول: لا أعقل من هذه الصفة إلا هذه الصفة التي أدركها بالحواس. وإن قالوا: تمثل الشيء تصور مثاله، والتصور يكون في

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد – ناصر العقل، ناصر العقل ١١/٥

الذهن لا في الخارج، وحينئذ يكون المنهي أو المنفي من التمثيل يكون المنفي أمرين:

الأول: أن يجعل له شيئا محسوسا في الخارج.

والثاني: أن يجعل له شيئا مصورا في الذهن.

وهذا لا وجود له في الخارج وهو ما يسمى بالتخيل أن يتخيل يد ليست كيد المخلوق، لكنه يحددها في ذهنه نقول: هذا كذلك منهي عنه، (لا تمثله) سواء كان التمثيل في المحسوسات في تقدير شيء بشيء يكون محسوسا واقعا في الخارج أو لا يكون له وجود في الخارج، وإنما يتصور ويتخيل مثالا في الذهن لا وجود له في الخارج، يتخيل يد من عنده فيقول: يد الله كذا. وهذه لا وجود لها في الخارج، نقول: هذا تمثيل أو لا؟ نسميه تمثيل يسمى تمثيل وله وصف آخر يأتي في محله.." (١)

"(تمنيهم الأماني الكاذبة كقولهم: ﴿لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾، وقولهم: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾) يعني: أماني، وهي أماني كاذبة [قال:] وهذا إطلاق وتعميم من المصنف رحمه الله تعالى، (تمنيهم الأماني الكاذبة) وهذا تعميم ما هي هذه الصور الأماني؟ كثيرة جدا جاءت في الكتاب والسنة، إطلاق وتعميم من المصنف رحمه الله تعالى في أن من خصال أهل الجاهلية الأماني الكاذبة، وتمنى الشيء قدره وأحب أن يصير إليه، يعني: زوره في نفسه، أحب أو قدر الشيء وأحب أن يصير إليه، والأمنية بالتخفيف والأمنية بالتشديد ما يتمناه الإنسان يجمع على أمان وأماني. قال في المفردات: والتمني تقدير شيء في النفس. يعني: **تخييل**، قدره في نفسه، وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن، يعني: هذا التقدير قد يكون مبنيا على تخمين وظن، ويكون عن روية وبناء على أصل، يعني: على يقين، لكنه الأكثر أن يكون عن تخمين وظن، لكن لما كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أملك. يعني: أكثر ما يطلق الأماني على الكاذبة، والتمني على الكذب، لماذا؟ لأن التمني هو تصوير شيء في النفس وهذا التصوير **والتخييل** قد يكون مبنيا على ظن وقد يكون مبنيا على يقين، الأول أكثر لما كان أكثر حينئذ لزمه الوصف، فإذا أطلق التمني انصرف إلى الكذب، وذلك أي: **التخييل** والتصوير في النفس قد يكون عن تخمين وظن، ويكون عن روية يقين وبناء على أصل، لكن لما كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أملك، فأكثر التمني تصور ما لا حقيقة له، كما أن الكذب إخبار بلا شيء يقع في الواقع. قال تعالى: ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ [النجم: ٢٤]، ﴿فتمنوا الموت﴾ [البقرة: ٩٤]، ﴿ولن يتمنوه أبدا﴾ [البقرة: ٩٥]. والأمنية الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء، ولما كان الكذب تصور ما لا حقيقة له، وإيراده

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٢

باللفظ صار التمني كالمبدأ بالكذب كأنه أصل له، فصح أن يعبر عن الكذب بالتمني.
إذا يعبر عن الكذب بالتمني لماذا؟ لأن التمني تصوير ما لا حقيقة له فأشبه الكذب، بل صار كأن التمني مبدأ للكذب، حينئذ يتصور في نفسه ما لا حقيقة له فيبني عليه، وإذا بنى على شيء متوهم في النفس حينئذ أخبر بما ليس موافقا للواقع وهذا هو عين الكذب، فصار التمني كالمبدأ للكذب.
وقد استدل المصنف على هذه المسألة بدليلين على أنهم يتصورون في أنفسهم ما لا حقيقة له، الأماني الكاذبة يعني: يتصورون ويتخيلون عن ظن وتخمين أشياء لا حقيقة لها في الواقع لأنها مخالفة للشرع، استدل المصنف على هذه المسألة بدليلين:." (١)

"الأول قوله تعالى أنهم قالوا: (﴿لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾)، يقول تعالى إخبارا عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لأنفسهم من أنهم لن تمسهم النار (﴿إلا أياما معدودة﴾) ثم ينجون منها يخرجون من النار. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن اليهود قالوا: لن تسمنا النار إلا أربعين ليلة. هم يشركون بالله تعالى عبدوا العجل ومع ذلك يقولون: لن تمسنا النار إلا أربعين يوما. من أين لكم؟ هذا **تخييل** وهذا تخمين وظن، بل هو كذب، لن تسمنا النار إلا أربعين ليلة زاد غيره وهي مدة عبادتهم العجل. يعني: عبدوا العجل وأشركوا بالله تعالى أربعين يوما، إذا حينئذ يعذبون في النار مدة الأربعين ثم يخرجون منها! من أين لكم هذا؟ [أنتم متم على] أنتم إن متم على هذا متم على الشرك، حينئذ كيف يدعون ذلك؟ نقول: هذا أماني، وحكاه القرطبي عن ابن عباس وقتادة وقال عكرمة: خاصمت اليهود رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: لن ندخل النار إلا أربعين ليلة، وسيخلفنا فيها قوم آخرون يعني: يخرجون ثم تأتي النيابة لمن بعدهم يعنون محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه رضي الله تعالى عنهم. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: بيده على رؤوسهم «بل أنتم خالدون مخلدون لا يخلفكم فيها أحد» فنزلت الآية نزلت الآية، فرد الله تعالى عليهم لما قالوا: ﴿لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾ بقوله تعالى: ﴿قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ٨٠]. أي: هل اتخذتم عند الله عهدا من أين لكم هذا؟ هل بينكم وبين الله تعالى عهد والله تعالى لا يخلف عهده؟ ليس بينكم ذلك، بل هو دعوى وافتراء على الله، أي: هل ﴿أتخذتم عند الله عهدا﴾ بذلك فإن كان وقع عهد فهو لا يخلف عهده جل وعلا ولكن هذا ما جرى ولا كان، ولهذا أتى بـ ﴿أم﴾ التي بمعنى بل، أي: بل ﴿تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ تفترون الكذب على الله بل ﴿تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ من الكذب والافتراء

---

(١) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢/١٣

عليه وهذه الآية مثلها قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات﴾ [آل عمران: ٢٤] على ما سبق تفسيره، ثم قال تعالى: ﴿وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ أي: ثبتهم على دينهم الباطل ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم ﴿إلا أياما معدودات﴾ وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم واختلقوه ولم ينزل الله تعالى به سلطانا، قال الله تعالى: متهددا لهم ومتوعدا ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه﴾ [آل عمران: ٢٥].." (١)

"مراتب القدر

القدر كثرت النزاعات والشبهات التي ترد على المسلم فيه، سواء كان شبهات ذاتية تنشأ من وساوس الشيطان، أو من التخييل أو من أحلام بعض الأمراض النفسية وغيرها؛ لأن الإنسان أكثر ما يتعرض في مسألة الغيبيات من وساوس القدر، سواء كانت شبهات ترد من الآخرين، أو مما يسمع أو مما يقرأ، أو شبهات تنشأ من نفسه أو من عبث الشيطان به.

فلذلك سأركز على الممارسات الخاطئة تجاه القدر؛ خاصة فيما يتعلق بالأوهام والوساوس، فأولا: ينبغي لكل مسلم أن يعتقد أن الله قدر كل شيء، فكل شيء هو بتقدير الله الخير أو الشر، وبعض المسلمين يتساءل وهذا السؤال ينشأ عنه ضلالات وقعت فيها أمم كبرى في التاريخ كالمجوسية وطوائف من أهل الكتاب وغيرها من الأمم الضالة الكثيرة التي أخطأت في تصور معين، حيث زعموا أنه لا ينسب تقدير الشر إلى الله عز وجل زعما منهم أن هذا لا يليق، وما علموا أن هذا استنقاص لله عز وجل؛ لأنه ما دام الشر موجودا فلا بد أن يكون له موجد، فإذا ما كان الله عز وجل أوجده ابتلاء وفتنة فيكون هناك خالق آخر مع الله، وهذا لا يقر به عاقل ولا صاحب فطرة سليمة ولا يمكن أن يرد في ذهن الإنسان.

فالإيمان بالقدر يعني أن الله عز وجل قدر كل شيء، وهو خالق كل شيء، لكن لماذا قدر الخير والشر؟ ولماذا لم يقدر الخير كله؟ هذا لحكمة بعضها ظاهر وبعضها غير ظاهر، أما الظاهر فيتبين بمثل قوله عز وجل: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ [الأنبياء:٣٥] فهذا ابتلاء وامتحان؛ ليميز الله الخبيث من الطيب، ولذلك فإن الله عز وجل قرر هذا باستنهاض الفطرة واستنهاض العقل السليم في أسئلة ومقدمات عقلية مبسطة سهلة جدا تقرر عند الإنسان التمييز بين الحق والباطل، وتقرر عند الإنسان الحكمة من الله عز وجل في التمييز بين الشر والخير، وأن الله عز وجل أوجد هذا وهذا ليميز الخبيث من الطيب، مثل قوله عز وجل: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ [القلم:٣٥]، وكقوله عز وجل: ﴿أفمن كان مؤمنا كمن

---

(١) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣/١٣

كان فاسقا لا يستوون﴾ [السجدة:١٨]، ثم إن الله عز وجل أعطى الإنسان بفطرته الفوارق بين الخير من حيث منشأه ومن حيث الوقوع فيه، ومن حيث نتيجته، وبين الشر من حيث منشأه والوقوع فيه ونتيجته، قد يجدها كل صاحب فطرة، وهذا عند كل إنسان حتى الذين لا يلتزمون الأديان نجد عندهم بقايا من ثوابت عقلية وفطرية يميزون فيها بين الخير والشر بين الرذيلة والفضيلة، ويدركون أن هناك حكمة من وجود هذا وذاك، فلو لم يوجد الشر لم يتميز الخير، ولو لم يوجد الباطل لم يتميز الحق والهدى وهكذا إذا: يرجع ذلك كله لحكمة القدر خيره وشره من الله عز وجل، وأن الله عز وجل مقدر كل شيء، وأنه ينبني على وجود الإيمان بجميع مراتب القدر الأربع، وبهذا تكتمل عند المسلم القناعة التامة واليقين التام إن شاء الله في أن الله بيده مقاليد كل شيء، وذلك راجع إلى المراتب الأربع التي هي: أن تؤمن وتجزم بأن الله عليم بكل شيء، فهو بكل شيء عليم سبحانه ما كان وما يكون وما سيكون لو كان كيف يكون، عليم بالدقيق والجليل لا تخفى عليه خافية سبحانه، عليم ليس بما في الصدور فقط، بل حتى بذات الصدور، وهي أعمق مما في الصدور، فهو لا يخفى عليه شيء ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك:١٤] وهذا أمر بدهي، ثم بعد ذلك أن الله كتب مقادير كل شيء: الخير والشر، ثم إن الله عز وجل شاء كل شيء وأراده، فكل شيء فهو بمشيئة الله وإرادته، ثم إن الله خالق كل شيء هذه المراتب الأربع إذا استشعرها المسلم وغرسها في قلبه يسلم من كثير من قرائن الشبهات في القدر، ووساوس الشيطان.

ثم إن من أساسيات القدر أن تعلم أنه عز وجل لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، أي: لا يتعقبه أحد، ولا أحد يقول: لماذا، وكيف؟." (١)

"أنواع السحر

السحر نوعان: سحر يكون بالاستعانة بالشياطين، وهذا فيه خوارق عادات مذهلة لا يستطيع أحد أن يتصورها، وفيها قلب للحقائق، وأبو حنيفة يرى أن السحر غير حقيقي وأنه **تخييل** فقط، والأئمة الثلاثة -وهذا الراجح الصحيح- يرون أن فيه قلبا للحقائق، وفيه تأثيرا حقيقيا؛ لأن الله أثبت له التأثير، قال تعالى: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ [البقرة:١٠٢]، فمعنى ذلك أنهم يضرون لكن بإذن الله جل في علاه.

وهذه التقسيمات مهمة جدا؛ لأننا بهذا التأصيل سنبين حكم السحر وحكم الساحر.

النوع الثاني من السحر هو استخدام العقاقير الطبية والأدوية، وسحر الأعين وخفة اليد.

---

(١) مجمل أصول أهل السنة، ناصر العقل ٩/١٤

والأغلظ هو النوع الأول؛ لأن فيه استخداما للشيطان، ولا يمكن استخدام الشيطان والتمتع به إلا بعد أن تقدم له القرابين.

وأما النوع الثاني فلا يتعلق بالشياطين، وإنما يتعلق بخفة اليد وسحر الأعين، كما قال الله تعالى حكايةً عن موسى أنه قال لهم: ﴿قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف:١١٦] يعني: سحرا عظيما من **التخييل** الذي أصبح حقيقة في أعين الناس.

والنوع الثاني مشهور جدا في عصرنا هذا، وهو ما يسمى بعالم السرك، والرعاع والهمج يضيعون أوقاتهم أمام هؤلاء السفهاء ويقفون في ساحة السرك في سهرة ناد خاص بهؤلاء السحرة، فيأتون فيه بخفة اليد وخفة الأفعال، ويضحكون على عقول الناس، ويستخفون بأعينهم.." (١)

"حكم تعلم السحر بنوعيه

إذا عرفنا السحر وبينا أنه شيء خفي فإن حكم السحر على العموم هو الكفر، والأدلة على ذلك مجملة في كتاب الله وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

أولا: الأدلة من كتاب الله التي تثبت أن السحر كفر.

قال الله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة:١٠٢].

وقال الله تعالى: ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون﴾ [يونس:٧٧].

وقال جل في علاه: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [طه:٦٩].

ثانيا: الأدلة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات، وذكر منها السحر).

ووجه الدلالة من قوله تعالى: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [طه:٦٩] هو أن الفلاح مرتبط بالمؤمنين، فإذا نفى الله الفلاح عن أحد دل على أنه ليس من المؤمنين، والدليل على أن الفلاح مرتبط بالمؤمنين والثبور والهلاك مرتبط بالكافرين قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون:١]، وقوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ [الأعلى:١٤]، وقوله جل وعلا: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٥/٧

[البقرة:٣] إلى قوله: ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [البقرة:٥] فقد ربط الفلاح بالإيمان.

وقوله عن الكافرين: ﴿لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا﴾ [الفرقان:١٤]، وقوله: ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾ [النبأ:٤٠]، وقوله: ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ [المؤمنون:١١٧].

ولما نفى الله سبحانه وتعالى الفلاح عن الساحر بقوله: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [طه:٦٩] دل ذلك على أن له الهلاك، فهو من الكافرين.

ووجه الدلالة من قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ [البقرة:١٠٢] على أن السحر كفر هو أن الله كفر الشياطين، والعلة: أنهم يعلمون الناس السحر.

وأيضا ذكر الله عنهم أنهم يقولون لمن أراد أن يتعلم السحر: ((فلا تكفر)) أي: إذا تعلمت السحر فإنك ستكفر، وفي هذا تصريح بأن السحر كفر.

وأيضا قال الله عن الذي يتعاطى السحر: ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة:١٠٢] أي: ليس له نصيب في الآخرة، والذي ليس له نصيب من الخير في الآخرة هو الكافر، فهذه دلالة على أن السحر كفر.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات: الإشراك بالله، والسحر)، وهذه دلالة اقتران، ودلالة الاقتران ضعيفة لكن القرائن المحتفة أثبتت صحتها؛ لأن الأدلة من الكتاب والسنة أثبتت كفره.

إذا: فالسحر حكمه الكفر.

لكن هل هو كفر أكبر أم كفر أصغر؟ نرجع إلى التأصيل الذي أصلناه في أن السحر نوعان: سحر يستخدم فيه الشياطين، وسحر يستخدم فيه خفة اليد، فالسحر الذي يستخدم فيه الشياطين كفر أكبر مخرج من الملة؛ لأن الشيطان لا يمكن أن يمتع ابن آدم في أن يخرق له العادات إلا إذا قدم له القرابين، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ [الأنعام:١٢٨] فاستمتاع الإنسي بالجني أن يجعل له خوارق العادات، واستمتاع الجني بالإنسي أن يقرب له قرابين كأن يذبح له من دون الله جل في علاه، أو ينذر له، أو يسجد له، أو يهين المصحف، وهذا موجود ومشاهد بين السحرة، فهم يكفرون بالله بهذه الأفعال الخبيثة.

إذا: فهذا النوع كفر أكبر مخرج من الملة بإجماع الأئمة الأربعة: أحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة.

وأما النوع الثاني: وهو نوع **التخييل** وسحر الأعين؛ فهذا كفر دون كفر وليس بكفر أكبر على قول الشافعي.

وأما الأئمة الثلاثة أحمد ومالك وأبي حنيفة فقد قالوا: بأنه يكفر كفرا مخرجا من الملة؛ لأن الآيات أثبتت عموم كفر الساحر، فإن الله كفر من يخيل ويسحر العين.

قال الله عن سحرة فرعون: ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف:١١٦]، ومع ذلك كفرهم الله سبحانه وتعالى.

وقال الله جل وعلا لموسى: ﴿وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [طه:٦٩]، وهذه واقعة عين، فهو يتكلم عنهم ثم عن كفرهم بالله سبحانه وتعالى، ثم إيمانهم بعد ذلك، فقالوا: وهذا على العموم.

وأما الشافعية فيقولون: إذا كان السحر الذي يستخدمه الساحر سحر تخييل وسحر أعين وليس فيه استخدام للشيطان فإنه ليس بكفر، ولا يكفر صاحبه؛ لأنه لم يأت بكفر إلا أن يكون قد استحل، فإن استحل فهو كافر، وهذا أمر متفق عليه.

وأجابوا عن هذه الآية التي كفر الله فيها سحرة فرعون مع أنهم سحروا أعين الناس، بأن هؤلاء السحرة أصالة كانوا يكفرون بالله، ويؤمنون بربوبية فرعون: ﴿وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾ [الشعراء:٤٤] فكفرهم أصلي، لكن المسلم إذا استخدم سحر الأعين لا يكفر بذلك كفرا يخرجه من الملة، والصحيح الراجح التفريق الذي فرقه الشافعي خلافا للأئمة الثلاثة وهو أن السحر نوعان: سحر يستخدم صاحبه الشياطين، فهذا كفر يخرج من الملة.

وأما الآخر الذي يستخدم فيه خفة اليد أو سحر الأعين فهذا لا يكفر، ويكون على شفير هلكة، وهو كفر دون كفر؛ لأنه ذريعة إلى الكفر الأكبر.." (١)

"حكم الساحر

حكم الساحر يتفرع عن النوعين السابقين، فإن كان يستخدم الشياطين فهو كافر كفرا أكبر مخرج من الملة، وإن مات على ذلك كان خالدا مخلدا في نار جهنم.

وأما إذا كان يستخدم السحر الذي هو التخييل وسحر الأعين فلا يكفر بذلك، لكنه على شفير هلكة وفاعل لكبيرة، فيقتل عليها حدا كما سنبين.." (٢)

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٨/٥

(٢) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، محمد حسن عبد الغفار ٩/٥

"وهذه كلية عامة لا يستثنى منها شيء إطلاقا فكل بدعة في دين الله فإنها ضلالة وليس فيها من الحق شيء فإن الله تعالى يقول: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون (٣٢)﴾ (١).اهـ (٢)

– وقال: وإن من جملة البدع ما ابتدعه بعض الناس في شهر ربيع الأول من بدعة عيد المولد النبوي، يجتمعون في الليلة الثانية عشر منه في المساجد أو البيوت فيصلون على النبي – صلى الله عليه وسلم – بصلوات مبتدعة ويقرؤون مدائح للنبي – صلى الله عليه وسلم – تخرج بهم إلى حد الغلو الذي نهى عنه النبي – صلى الله عليه وسلم –، وربما صنعوا مع ذلك طعاما يسهرون عليه فأضاعوا المال والزمان وأتعبوا الأبدان فيما لم يشرعه الله ولا رسوله ولا عمله الخلفاء الراشدون ولا الصحابة ولا المسلمون في القرون الثلاثة المفضلة ولا التابعون بإحسان. ولو كان خيرا لسبقونا إليه، ولو كان خيرا ما حرمه الله تعالى سلف هذه الأمة، وفيهم الخلفاء الراشدون والأئمة وما كان الله تعالى ليحرم سلف هذه الأمة ذلك الخير لو كان خيرا ثم يأتي أناس من القرن الرابع الهجري فيحدثون تلك البدعة. (٣)

موقفه من المشركين:

قال رحمه الله في تقريب التدمرية: القرامطة، والباطنية، والفلاسفة لا يؤمنون بما أخبر الله به عن نفسه، ولا عن اليوم الآخر بل ينكرون حقائق هذا وهذا. فمذهبهم فيما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر أنه **تخييل** لا

---

(١) يونس الآية (٣٢).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل (٥/ ١٩٢ – ١٩٣).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل (٦/ ١٩٨ – ١٩٩).." [١]

"أفسد من قولهم، ويمكن إظهار تناقض قوله، أكثر من إظهار تناقض أقوالهم. فلهذا تجده في مسألة قدم العالم يردد القول فيها، ويحكي كلام الطائفتين وحجتهم كأنه أجنبي، ويحيل الترجيح بينهما إلى نظر الناظر، مع ظهور ترجيحه لقول القائلين بالقدم. وأما مسألة نفي الصفات فيجزم بها، ويجعلها من المقطوع به الذي لا تردد فيه، فإنهم يوافقون عليها، وهو بها تمكن من الاحتجاج عليهم في قدم العالم، وبها تمكن من إنكار المعاد، وتحريف الكلم عن مواضعه، وقال: نقول في النصوص الواردة في المعاد كما قلتم في

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٤٤١/١٠

النصوص الواردة في الصفات، وقال: كما أن الكتب الإلهية ليس فيها بيان ما هو الحق في نفس الأمر في التوحيد، يعني التوحيد الذي وافقته عليه المعتزلة، وهو نفي الصفات بناء على نفي التجسيم والتركيب؛ فكذلك ليس فيها بيان ما هو الحق في نفس الأمر في أمر المعاد. وبنى ذلك على أن الإفصاح بحقيقة الأمر لا يمكن خطاب الجمهور به، وإنما يخاطبون بنوع من **التخييل** والتمثيل الذي ينتفعون به فيه، كما تقدم كلامه. وهذا كلام الملاحدة الباطنية الذين ألحدوا في أسماء الله وآياته، وكان منتهى أمرهم تعطيل الخالق، وتكذيب رسله، وإبطال دينه. ودخل في ذلك باطنية الصوفية، أهل الحلول والاتحاد، وسموه تحقيقا ومعرفة وتوحيدا. ومنتهى أمرهم هو إلحاد باطنية الشيعة، وهو أنه ليس إلا الفلك وما حواه وما وراء ذلك شيء. (١)

- وقال: ليس مراد ابن سينا بالتوحيد: التوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا رب

---

(١) درء التعارض (٨/ ٢٤١ - ٢٤٣).." [1]

"مذهبان: مذهب أهل الحديث، أو مذهب الفلاسفة، فأما هؤلاء المتكلمون فقولهم ظاهر التناقض والاختلاف.

قال ابن تيمية عقيبه: يعني أن أهل الحديث أثبتوا كل ما جاء به الرسول وأولئك جعلوا الجميع **تخييلا** وتوهيما ومعلوم بالأدلة الكثيرة السمعية والعقلية فساد مذهب هؤلاء الملاحدة، فتعين أن يكون الحق مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة. (١)

إبراهيم بن معضاد (٢) (٦٨٧ هـ)

أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد الجعبري الزاهد الواعظ المذكر. سمع الحديث من أبي الحسن السخاوي بالشام، وقدم القاهرة، وحدث بها فسمع منه أبو حيان شيخ ابن عماد الحنبلي.

كان لكلامه وقع في القلوب لصدقه وإخلاصه وصدعه بالحق. مات سنة سبع وثمانين وستمائة عن سبع وثمانين سنة وشهر.

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٦/١٢٠

موقفه من الصوفية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكان الشيخ إبراهيم بن معضاد يقول -لمن رآه من هؤلاء كاليونسية والأحمدية- يا خنازير. يا أبناء الخنازير. ما أرى لله ورسوله عندكم رائحة ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى

---

(١) درء التعارض (١/ ٢٠٣).

(٢) العبر (٢/ ٣٢٥) وشذرات الذهب (٥/ ٣٩٩ - ٤٠٠).." [١]

"ترجيحه لقول القائلين بالقدم. وأما مسألة نفي الصفات فيجزم بها، ويجعلها من المقطوع به الذي لا تردد فيه، فإنهم يوافقون عليها، وهو بها تمكن من الاحتجاج عليهم في قدم العالم، وبها تمكن من إنكار المعاد، وتحريف الكلم عن مواضعه، وقال: نقول في النصوص الواردة في المعاد كما قلتم في النصوص الواردة في الصفات، وقال: كما أن الكتب الإلهية ليس فيها بيان ما هو الحق في نفس الأمر في التوحيد، يعني التوحيد الذي وافقته عليه المعتزلة، وهو نفي الصفات بناء على نفي التجسيم والتركيب؛ فكذلك ليس فيها بيان ما هو الحق في نفس الأمر في أمر المعاد. وبنى ذلك على أن الإفصاح بحقيقة الأمر لا يمكن خطاب الجمهور به، وإنما يخاطبون بنوع من **التخييل** والتمثيل الذي ينتفعون به فيه، كما تقدم كلامه.

وهذا كلام الملاحدة الباطنية الذين ألحدوا في أسماء الله وآياته، وكان منتهى أمرهم تعطيل الخالق، وتكذيب رسله، وإبطال دينه. ودخل في ذلك باطنية الصوفية، أهل الحلول والاتحاد، وسموه تحقيقا ومعرفة وتوحيدا.

ومنتهى أمرهم هو إلحاد باطنية الشيعة، وهو أنه ليس إلا الفلك وما حواه وما وراء ذلك شيء. (١)

- وقال: ليس مراد ابن سينا بالتوحيد: التوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا رب لشيء من الممكنات سواه، فإن إخوانه من الفلاسفة من أبعد الناس عن هذا التوحيد، إذ فيهم من الإشراك بالله تعالى، وعبادة ما سواه، وإضافة التأثيرات

---

(١) درء التعارض (٨/ ٢٤١ - ٢٤٣).." [٢]

"على غير الوجه الشرعي، ولهم أحيانا مكاشفات، ولهم تأثيرات يأوون كثيرا إلى مواضع الشياطين التي نهي عن الصلاة فيها، لأن الشياطين تتنزل عليهم بها، وتخاطبهم الشياطين ببعض الأمور كما تخاطب

---

[١] موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٧/٤١٥

[٢] موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٣٢/٨

الكهان، وكما كانت تدخل في الأصنام وتكلم عابدي الأصنام، وتعينهم في بعض المطالب كما تعين السحرة، وكما تعين عباد الأصنام، وعباد الشمس والقمر والكواكب، إذا عبدوها بالعبادات التي يظنون أنها تناسبها، من تسبيح لها ولباس وبخور وغير ذلك، فإنه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكواكب، وقد تقضي بعض حوائجهم، إما قتل بعض أعدائهم أو إمراضه، وإما جلب بعض من يهوونه، وإما إحضار بعض المال، ولكن الضرر الذي يحصل لهم بذلك أعظم من النفع، بل قد يكون أضعاف النفع. (١)

- وقال: وأبو حامد الغزالي لما ذكر في كتابه طرق الناس في التأويل، وأن الفلاسفة زادوا فيه حتى انحلوا، وأن الحق بين جمود الحنابلة وبين انحلال الفلاسفة، وأن ذلك لا يعرف من جهة السمع بل تعرف الحق بنور يقذف في قلبك، ثم ينظر في السمع: فما وافق ذلك قبلته وإلا فلا. وكان مقصوده بالفلاسفة المتأولين خيار الفلاسفة، وهم الذين يعظمون الرسول عن أن يكذب للمصلحة، ولكن هؤلاء وقعوا في نظير ما فروا منه، نسبوه إلى التلبيس والتعمية وإضلال الخلق، بل إلى أن يظهر الباطل ويكتم الحق.

وابن سينا وأمثاله لما عرفوا أن كلام الرسول لا يحتمل هذه التأويلات الفلسفية، بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب: سلك مسلك **التخييل**،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٤١ - ٤٢).." (١)

"يقولون مولانا عن الخلق بائن ... بفوقية جاءت نصوص فنقتدي

وإن أمكن التأويل أول وقل لهم ... بفوقية القدر اصرفنها وقيد

كقولك إن السيف فوق الجريد أو ... كما قيل الياقوت فوق الزبرجد

ولا تطلقن اسم العلي ودافعن ... نصوصا وأخرى اطعن وأول وبعد

وإن كثرت منها السهام ولم تجد ... مجالا لتأويل فلا تتشرد

وقل عقلنا قد عارض النقل فلنقد ... م العقل إذ منه إلى النقل نهتدي

فذلك أصل وهو أولى تقدما ... عن الفرع واستمسك بذا وتجلد

أقول إذا فليصنعوا ما بدا لهم ... فبالوحي ما استهدوا ولا بمحمد

وكم لهم من حيلة حولوا بها ... قلوبا عن استقبال سنة أحمد

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٨/٨١

إن العقل بالإيمان بالوحي مجدوا ... ولم يمرقوا فالوحي أصل الممجد

ولكن عقل المثبتين هو الذي ... يوافقه لا عقل أهل التجحد

يقولون ما لا في كتاب وسنة ... بلى سنة اليونان أكيد حسد

- وقال أيضا (١):

أيا حيلة اليونان في درك سمك المد ... سم قد ألهمت إلهام من هدي

ويا حيلة اليونان في رد كيدك الموك ... د قد برهنت برهان مهتد

ويا حيلة اليونان ربي ناصري ... عليك فإني من جيوش محمد

ويا حيلة اليونان حولي فدرعي القر ... آن وسيفي سيف جدي أحمد

معوذتاه حلتا عقدا عقد ... ت من سحر **تخييل** بغير توجد

---

(١) منظومة 'شهود الحق' (ص.١٢٤ - ١٢٧).." [١]

"قوله: (باب ما جاء في السحر). أي من الوعيد وبيان منافاته للتوحيد وتكفير فاعله، والسحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه، يعني السبب كان خفيا ولطيفا دقيقا لا يدرك إلا بتأمل، يعني يكون من الأشياء الخفية لا من الأشياء الظاهرة، عبارة عما خفي ولطف سببه، سمي سحرا لأنه لأمور خفية لا تدرك بالأبصار، أو لأنه يصرف الشيء عن جهته ولذا عرفه بعضهم بالصرف، قال: السحر هو الصرف. وسحره عمل له السحر، سحر زيدا يعني عمل له السحر، وعن الأمر صرفه، وفي الحديث الصحيح «إن من البيان لسحرا»، شبهه به لكون البيان يحصل منه ما يحصل من السحر، يعني من التأثير، قد يفرق البيان، وقد يجمع، وقد يؤجج القلوب، وقد يؤلف، إذا له تأثير، شبهه بماذا؟ بالسحر، «إن من البيان لسحرا» شبهه به لكون البيان يحصل منه ما يحصل من السحر، وسمي السحر سحرا لأنه يقع خفيا آخر الليل، ولذلك يلتبس، وقوله تعالى: ﴿سحروا أعين الناس﴾ [الأعراف: ١١٦]. أي أخفوا عنهم علمهم، هذا بالنسبة للمعنى اللغوي، وأما السحر في الاصطلاح أو في العرف فهو ما يفعله الساحر من الحيل والتخيلات التي يحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء، وهذا بناء على أن السحر **تخييل**، أليس كذلك؟ وهو منه حقيقة ومنه **تخييل** كما سيأتي، ما يفعله الساحر

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٤١١/٩

من الحيل والتخيلات التي يحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء، هذا **تخييل**، قال السحر كذلك، وما يظنه راكب السفينة، أو الدابة من أن الجبال تيسير هذا **تخييل**، أليس كذلك؟ إذا ركب الدابة وسار بها يظن أن الجبال تسير معه، وليس الأمر كذلك، هذا **تخييلا** يسمى **تخييلا**، وهو مشتق من سحرت الصبي هكذا قال الشوكاني رحمه الله تعالى إذا خدعته، ولذلك فيه معنى المخادعة، ويطلق السحر على الخداع، وقيل أصله الخفاء فإن الساحر يفعله خفية، وقيل: أصله الصرف لأن السحر مصروف عن جهته، وقيل أصله الاستمالة لأن من سحرك فقد استمالك. قال الجوهري: السحر الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، وقد سحره يسحره سحرا وسحره أيضا بمعنى خدعه، وعرفه ابن قدامة رحمه الله تعالى في ((الكافي)) بقوله: السحر عزائم ورقى وعقد. عزائم ورقى متقابلة، وعقد يعني قراءات وطلاسم، ومر معنا أن الرقية تكون ماذا؟ تكون شرعية، وتكون شركية وهذا منها.." (١)

"عزائم ورقى وعقد تؤثر في القلوب والأبدان، لها تأثير في القلوب والأبدان، فيمرض يعني السحر، ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه، يعني له تأثير حسي. قال الله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقال سبحانه: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ [الفلق: ١] ... إلى قوله: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ [الفلق: ٤]. يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه - والكلام لابن قدامة رحمه الله تعالى - وروت عائشة رضي الله عنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سحر - وهو كذلك ثابت - حتى أنه لا يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله - وهذا من قبيل **التخييل** - وأنه قال لها ذات يوم: «أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب». يعني مسحور «قال: من طبه؟ قال: لبيد بن أعصم في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر». المشط أسنان ما يمشط به، والمشاطة ما يخرج من الشعر، المشط الأسنان، والمشاطة الشعر الذي يكون فيه، وجف طلعة ذكر غشاؤها وهو الوعاء الذي يكون في الطلع. «في بئر ذي أروان»، أو ... «ذروان» كلاهما صحيح، هي بئر بالمدينة في بستان بني ذريع. الحديث رواه البخاري رحمه الله تعالى. انتهى كلام ابن قدامة بعد بيان أولا حد السحر، ثم بين أن له حقيقة، ثم بين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد ثبت أنه قد سحر. وسحره عليه الصلاة والسلام في جسده الشريف وظاهر جوارحه الكريمة، لا في قلبيه وعقله واعتقاده، فلا

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٦١

يقدح حينئذ في مقام النبوة، يعني لا يتعلق بالدين، وإنما يتعلق بماذا؟ بأمور دنيوية، والنبي – صلى الله عليه وسلم – لم يبعث من أجل الدنيا، وإنما بعث من أجل الدين، حينئذ إذا تعلق السحر بشيء يتعلق بالدنيا حينئذ لا تأثير له في مقام الشرع.

وقد اختلف في السحر هل له حقيقة أم لا؟ هل له حقيقة أم هو مجرد **تخييل؟** يعني شيء يكون غشاوة على البصر فقط وليس له حقيقة في ذاته، ثم قولان لأهل العلم، فذهبت المعتزلة وأبو حنيفة إلى أنه **تخييل** لا حقيقة له، ليس له حقيقة، فإنما هو مجرد **تخييل** فحسب، ولا أصل له، وهذا القول ليس بصحيح على إطلاقه، يعني نفي أن يكون السحر حقيقة هذا [ليس على] ليس بصواب وإنما منه ومنه، منه ما هو حقيقة، ومنه ما هو **تخييل**، وذهب من عداهم عدا المعتزلة وأبا حنيفة إلى أن له حقيقة مؤثرة وهو كذلك، له حقيقة مؤثرة.." (١)

"فإما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان مفضلا من أجلها، النبي – صلى الله عليه وسلم – ما فضل على الخلق بسبب الدنيا وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد قيل: إنه إنما كان يخيل إليه أنه وطء زوجات وليس بواطئ، وهذا لا علاقة له بالشرع، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له، وقيل: إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله، ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد، وهذا واضح بين بمعنى أنه لا يستنكر أن ... النبي – صلى الله عليه وسلم – قد سحر لأننا نقول: هذا السحر الذي وقع للنبي – صلى الله عليه وسلم – لا علاقة له بالشرع البتة، وإنما هو يتعلق بأمر من أمور الدنيا، ولم يبعث النبي – صلى الله عليه وسلم – من أجل الدنيا، وأما الشرع فهو معصوم عليه الصلاة والسلام.

قال القاضي عياض: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده، كما ذكرنا سابقا.

قال ابن هبيرة: أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له.

وقال القرطبي: وعندنا أن السحر حق، وله حقيقة، يخلق الله عنده ما يشاء بسببه – عنده هذا فيه مذهب الاشاعرة وهو إنكار تأثير الأسباب بذاتها، يعني الله عز وجل يخلق المسبب بسبب هذا السبب وهم لا يرون ذلك، ولذلك يعبرون بعند، والقرطبي على شاكلتهم. قال: وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافا للمعتزلة وأبي إسحاق الاسفرائيني حيث قالوا: إنه تمويه **وتخييل**، وكما ترى قولان

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٦١

متقابلان، منهم من يرى أن السحر تخييل محض ولا حقيقة له، ومنه من عكس فأثبت أنه حقيقة وله أصل ولا يكون تخييلا، والوسط هو الحق أنه يكون كذا وكذا، ولذلك قال الحافظ حكمي رحمه الله تعالى قلت: قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر - أنه حق - وتأثيره بإذن الله، ووثبت ذلك بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية، فأما القتل به والأمراض والتفرقة بين المرء وزوجه وأخذه بالأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها، يعني شيء محسوس موجود مدرك، وأما قلب الأعيان وهنا الذي وقع في كونه لا يكون حقيقة لأنه يرى العصا حية، هذا ما يسمى بقلب الأعيان، هل للساحر أن يقلب العصا حية أو لا؟ هو الذي جعل ماذا؟ من يقول بأن السحر لا يكون إلا تخييلا، قال: هذا ليس إلا إلى الله عز وجل.." (١)

"قال رحمه الله: وأما قلب الأعيان كقلب الجماد حيوانا وقلب الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في قدرة الله عز وجل، ولا غير ممكن، فإنه هو الفاعل في الحقيقة وهو الفعال لما يريد، فلا مانع من أن يحول الله ذلك عندما يلقي الساحر ما ألقى امتحانا وابتداء وفتنة لعباده. ولذلك يأتي الدجاج في آخر الزمان ومعه جنة ونار ويقول للسماء: أمطري. أليس كذلك؟ هذا فيه تغيير وقلب للأعيان. قال رحمه الله: ولكن الذي ... أخبرنا الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو التخييل والأخذ بالأبصار حتى رأوا الحبال والعصي حيات، فنؤمن بالخبر ونصدقه ولا نتعداه، ولا نبدل قولا غير الذي قيل لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم، وبالله التوفيق.

أراد رحمه الله تعالى أن يبين أن قلب الأعيان من شأن الله تعالى، ولكن لا مانع أن الله تعالى يجعل للساحر قدرة لكن بعد إذنه جل وعلا في قلب العصا مثلا حية أو قلب الجماد حيوانا، لكن الذي جاء في قصة موسى وهو محل النزاع أن الله تعالى أخبر أنه ماذا؟ أنه يخيل، إذا من قبيل ماذا؟ من قبيل التخييل والأخذ بالأبصار، يعني يرون ببصرهم ماذا؟ أن العصا صارت حية لكن في الواقع العصا هي عصا، وإنما وقع الخيال في البصر فقط، لكن لا مانع بأن يجعل الله تعالى للساحر بسبب ما يلقيه من كلمات ونحوها امتحانا للخلق وفتنة أن يجعل ماذا؟ أن يجعل العين منقلبة من عين إلى عين أخرى.

إذا الصواب أن نقول: أن السحر منه حقيقة ومنه تخييل ولا مانع من الجمع بين القولين.

والحاصل أن السحر حق، أي متحقق وقوعه وجوده، ولو لم يكن موجودا حقيقة لم تجد النواهي عنه بالشرع والوعيد على فاعله والعقوبات الدنيوية والدينية والعقوبات الدينية والأخروية على متعاطيه، والاستعاذة منه أمرا

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٥/٦١

وخبرا، وقد يكون تخيلا كما في قوله: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [طه: ٦٦].
ثم اعلم أن تأثير السحر - كما سبق أن له تأثيرا يقتل ويمرض ونحو ذلك - لكن هذا التأثير ليس بذاته، لأنه سبب وإن كان سببا محرما ليس بذاته، وإنما هو بإذن الله جل وعلا، ولكن هذا التأثير بإذن الله تعالى وقضائه الكوني لا الشرعي الديني، فإن الله لم يأذن به، والقضاء الكوني يشمل النوعين: يشمل ما يرضاه الله تعالى ويحبه شرعا. وما لا يرضاه في الشرع ولا يحبه.
وأما الشرعي فهذا يختص بمحبه جل وعلا وما يرضى به، فالسحر حينئذ لا يؤثر ببذاته وإنما بقضاء الله تعالى الكوني. قال الله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضآرين به من أحد إلا بإذن الله﴾ [البقرة: ١٠٢]. إذا أثبت ماذا؟ أثبت الإذن، والمراد بالإذن هنا الإذن الكوني لا الشرعي، لأن الله تعالى لا يرضى بالسحر.." (١)

"وإن اعتمد على الله تعالى ولكنه جعل شيئا من الاعتماد ولو على سبب معلوم ظاهر، حينئذ نقول: وقع في الشرك الأصغر، ومر معنا مرارا أن الاعتماد على الأسباب إن كانت صحيحة فهي شرك أصغر، إذا الاعتماد قد يكون كليا من كل وجه، فحينئذ يلزم منه قطع التوكل على الله تعالى فلم يعتمد إلا على هذا السبب فحينئذ يكون شركا أكبر، وإن كان الاعتماد موجودا في أصله لكنه انتفى كماله حينئذ يكون وقع في الشرك الأصغر.
الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم **وتخييل**، وهو كذلك، وهذا وإن كان لا يلزم منه شركا أكبر لكنه يكون ماذا؟ شركا أصغر بناء على القاعدة في باب الأسباب كل من اتخذ سببا ليس بسبب لا شرعيا ولا قدريا كونيا حينئذ يكون ماذا؟ يكون وقع في الشرك الأصغر كما مر معنا في باب الرقى.
قال في ((التيسير)): واعلم أن من كان متعينا بها قائلا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره وتفتحت له أبوا ب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه. يعني من علق قلبه بهذه الأسباب سواء كانت أسبابا صحيحة أو لا، لأن التطير قد يكون بسبب صحيح لكنه لا يفيد من حيث هو سبب معلوم ليس بوهم، ولا **تخييل**، قد يكون سبب معلومة لكن لا ارتباط بينه وبين المسبب، حينئذ يكون ماذا؟ من علق قلبه بهذه الأسباب فمهما سمع شيئا إلا توهم ماذا؟ أنه سيقع له ما تشاءم منه، وما رأى شيئا إلا توهم أنه سيقع له ما تشاءم منه، فمن علق قلبه حينئذ جاءته الأمراض كما ذكرها هنا، أن من كان معتنيا بها قائلا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتح له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه. كلما مر بشيء وهو قبيح تشاءم

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٦/٦١

منه، وكلما مر بشيء يتفاءل به مضى إلى أمره. إذا ستكون حياته ماذا؟ مرتبطة بهذه، من حيث الفرح والسرور، ومن حيث الهم والغم، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه وينكد عليه عيشه. انتهى كلامه.

ويتحصل من الأمرين: أن الواجب على العبد - يعني ما ذكره ابن عثيمين رحمه الله تعالى - أن المتطير قطع توكله، ثم أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، يتحصل من ذلك أن الواجب على العبد التوكل على الله تعالى ومتابعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته، فيدخل في الشرك بنوعيه على التفصيل السابق.

وفي الصحيح عنه - صلى الله عليه وسلم - حين سئل عنه قال: «ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه». وقال: «إذا تطيرت فلا ترجع». نعم، لأنه يلزم من ذلك أن يكون الاقتران بين التوكل وبين العبادة، ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ... [الفاتحة: ٥]، ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ [هود: ١٢٣].

فالطيرة محرمة، وهي منافية للتوحيد سواء أحجم المتطير واستجاب لها أو مضى متأثرا بها، يعني من تطير بشيء كسارح مثلا، حينئذ نقول: بطير مثلا، إذا تطير بطير:

- فإما أن يرجع يحجم عن مقصوده.." (١)

"- إما أن يستجيب لها بأن يقدم أو يحجم فيكون حينئذ قد علق أفعاله بما لا حقيقة له ولا أصل له، وهو نوع من الشرك على التفصيل السابق.

- وإما أن لا يستجيب بأن يكون عنده نوع من التوكل ويقدم ولا يبالي لكن يبقى في نفسه نوع من الهم أو الغم، وهذا وإن كان أهون من الأول، لكن يجب ألا يستجيب لداعي هذه الأشياء التي نفاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مطلقا، وأن يكون معتمدا على الله عز وجل، فالأسباب المعلومة الظاهرة تقي أسباب الشر، وأما الأسباب الموهومة التي لم يجعلها الشرع سببا بل نفاها فلا يجوز التعلق بها مطلقا.

قال المصنف رحمه الله تعالى: و (زاد مسلم: «ولا نوء، ولا غول»)، («ولا نوء») وهو واحد الأنواء، وكانوا يزعمون أنهم يمطرون به، وسيأتي به باب خاص به في الاستسقاء. قوله: («ولا غول») بالضم اسم وجمعه أغوال وغيلان وليس هو بجمع، لعل الشيخ ابن عثيمين هنا وهم في كونه جمعا، ليس بجمع بل هو واحد، كذلك قال في ماذا؟ في القاموس: الغول. قال في القاموس: بالضم الهلكة والداهية والسعلات، يجمع على أغوال وغيلان. إذا هو مفرد، أغوال وغيلان، وساحرة الجن، وشيطان يأكل الناس، أو دابة رأتها العرب

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٥/٦٥

وعرفتها وقتلها تأبط شرا، ومن يتلون ألوان من السحرة والجن، هكذا قال في القاموس. يعني فسرها بهذه المعاني كلها.

إذا غول بالضم اسم وجمعه أغوال وغيلان وهو المراد هنا، يعني المراد به أنه اسم، وبالفتح مصدر معناه الهلكة والإبعاد أو البعد. قال أبو السعادات: الغول واحد الغيلان. نص على أنه واحد الغيلان وهو الصحيح، وهو جنس من الجن والشياطين الأكثر على هذا، جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة، في الصحراء تتراءى للناس فتتغول تغولا أي تتلون تلونا في صور شتى، يعني هو من الجن والشياطين يسير الناس في سفرهم فتتلون لهم يعني: تتصور بصور من أجل إخافة الناس فيهربون من ذلك المكان، وتغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأبطله. وقيل: قوله: («ولا غول») ليس نفيا لعين الغول ووجوده وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله: («ولا غول») أنها لا تستطيع أن تضل أحدا، ويشهد له الحديث الآخر «لا غول ولكن السعالية سحرة الجن» يعني هناك من يؤذي نعم لكنه لا يتلون، فنفى النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا الاعتقاد، أي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل، والحديث ضعيف، يعني الذي ذكره هنا، ومنه الحديث «إذا تغول الغيلان فبادروا بالأذان» أي ادفعوا شرها بذكر الله، وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عدمها، هي نوع من أنواع الجن فدل على أنها موجودة، لأن الجن موجودون، والشياطين موجودون، لكن هل لها تأثير في إضلال الناس من كونها سببا هذا الذي نفاه النبي – صلى الله عليه وسلم –، رذاتها نفاه النبي – صلى الله عليه وسلم –.

قال هنا: ومنه حديث أبي أيوب «كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذه».." (١)

"حكم سحر التخييل

Q ما حكم سحر التخييل وما يفعله البعض من طعن نفسه بالسكين والمشي على النار ونحو ذلك مما يلبس به؟

A هناك فرق بين السحر وبين التخييل، وبعض الأعمال التي يعملها بعض الدجالين تكون أعمالا طبيعية، لكنها تكون بالمران أو باستعمال مواد كيميائية ونحوها، فيظن الناس أنها قمار أو أنها سحر، وبعضها فعلا سحر، يعني: يسيطر فيها السحر على خيال الإنسان بحيث يرى ما لم يكن، أو يتصور ما لا يحدث أو غير ذلك، فهذا نوع من السحر، لكن كله دجل، وحكمه واحد، فمن استعمل الأمور العلمية الطبيعية للتمويه

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٨/٦٥

على الناس، أو من استعمل السحر كله يدخل في الباب العام للسحر، فالقمار والدجل والشعوذة كلها حرام، فالذي يطعن نفسه بالسكين ويمشي على النار إما أنه يستعمل السحر والتخييل، أو أنه فعلا يفعل ذلك بأمور تعود عليها، فالجسم إذا تعود على شيء قد يعمل ما يشبه الخوارق.." (١)

"حقيقة السحر وأنواعه

السحر من أعظم المحرمات، والسحر الحقيقي -كما يقول أهل التحقيق- لا ينفك عن الشرك؛ لأنه بواسطة الشيطان، ولا يتأتى سحر إلا بواسطة الشياطين، ويكون شركا بالله جل وعلا وكفرا، فيجب أن يحذر وأن يتنبه منه، وللأسف أنه في وقتنا الحاضر كثر السحر في بلاد المسلمين بواسطة من يأتي من الخارج، ومن لا خلاق له، ويتخذ هذا مهنة له، ويريد أن يتحصل على أمور معينة بواسطة هذا السحر؛ لأنهم يتعلمونه ويعرفونه، ثم السحر الذي له حقيقة ليس معناه كما يقول بعض الناس: إنه قد يغير الأعيان ويقلبها من عين إلى عين أخرى، هذا لا يمكن؛ لأنه لو كان هذا لكان السحرة ملوك الدنيا، وأغنياء الخلق، ولم يقف في وجههم شيء، ولو وقف في وجههم أحد جعلوه حجرا أو حمارا ولكنهم في الواقع أفقر الناس، وأخس الناس وأذلهم، يتخفون بأمرهم، ولا يظهرونه خوفا، وتجدهم أفقر الخلق، إذا: لا يستطيع أحدهم أن يجعل الحجر ذهبا، فيقلب الأعيان، ولا يستطيع أن يجعل الإنسان حمارا، هذا لا يمكن، ولكنهم يعملون أعمالهم التي تكون بواسطة الشياطين فيحصل المرض والضر، ويحصل الفساد بواسطة ما يحدث.

ومن السحر شيء تخييلي لا حقيقة له، كما قال الله جل وعلا: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [طه:٦٦] يعني: الحبال والعصي التي ألقوها، فقوله: (يخيل إليه) يعني: يدلنا على أن الواقع أنه ليس كذلك، وأنها لا تسعى، وإنما هو خيال.

وقد قال بعض العلماء: إنهم فعلوا حيلة، فأخذوا العصي، ونحتوا وسطها، وملئوها زئبقا، وكذلك الحبال لفوا عليها زئبقا، وجاءوا إلى الأرض التي يريدون أن يلقوا عليها هذه الأشياء، وحفروا فيها خنادق ووضعوا فيها النيران لكي تحمي الأرض فألقوها، والزئبق إذا ألقي بهذه الصفة على أرض حارة صار يتحرك، فصارت الحبال والعصي تتحرك بسبب ذلك، فهذه حيلة إذا كان كذلك، وهو نوع من السحر.

وقد يكون السحر في أعين الناس، تخيل إليهم أن هذا الشيء كذا وهو ليس كذلك، مثلما يقع لبعض الناس أنه يأخذ سكينا فيطعن بها نفسه ويخرج الدم، وقد يلقي نفسه في النار وما أشبه ذلك، وهذا يكون في عين الإنسان فقط، والواقع أنه لا يعمل شيئا من ذلك، وهذه حيل، وبعض الأذكياء قد يعمل أعمالا خفية،

---

(١) شرح عقيدة السلف للصابوني - ناصر العقل، ناصر العقل ١٣/١٧

ويظهر للناس أنه يعمل أشياء ويلفت أنظارهم إلى شيء آخر، ثم يأتي بشيء خلاف ذلك بسرعة، فيخيل إليه أنه فعل شيئا عجيبا وغريبا.

ثم هناك سحر من نوع آخر: بواسطة عبادة النجوم ومخاطبتها، واستنزال ما يسمونه: روحانياتها، ويزعمون أنها أرواحها أو أنها ملائكة تقوم على تدبيرها وتسخيرها، والواقع أنها شياطين تضلهم، ولهذا يبنون لها هياكل على صورها كما زعموا، وقد يضعون في هذه الهياكل أصناما، ثم يلبسون ثيابا على صفة معينة، ويدخنون بأدخنة وأبخرة، ويدعون بدعوات ونداءات معينة، ويستمعون لذلك، وهي دعوات الشياطين، فتكون بواسطة الشيطان، فيأتيهم الشيطان ويقضي بعض مآربهم بواسطة أمور يعملها.

وقد يكون السحر نوعا آخر بواسطة الشيطان، وهو الذي كثيرا ما يقع من أن الساحر يعبد الشيطان عبادة صريحة ويدعوه، ثم إذا جاءه من يريد السحر اجتهد في دعوة هذا الشيطان، وقدم له عبادة، وصار يناديه ويتضرع له حتى يأتي إليه، فيشترط عليه شروطا: أنك تعمل وتعمل كذا فيلقي شروطه على الذي يريد أن يسحر له، يقول: لابد أنك تذبح كذا أو تأتي بطعام على صفة كذا أو أنك تبقى في المكان الفلاني في مكان معين خال من الناس فتبقى وأنت كذا وكذا فإذا امتثل ذلك أرسل ذلك الشيطان الكبير -الذي عبده وصار يتضرع له- شيطانا آخر يجعله واسطة بينه وبين المسحور، يراقب هذا المسحور ويذهب إليه، فإذا انتهز فرصة تلبس به، وإن كان هذا المراد سحره يتحصن بالأذكار والإيمان لا يستطيع أن يأتي إليه، ويصعب عليه جدا، وقد يراقبه وقتا طويلا فإذا غفل أو حصل له انفعال من غضب أو ما أشبه ذلك تلبس به فعمل فيه السحر، وقد يلقي السحر في بدنه، وقد يعمله في خارج البدن وغير ذلك، وهذا النوع كثيرا ما يحصل، فيحس الساحر أنه وقع سحره في شيء يحفظه.

والمقصود: أن هذا كله عبادة لغير الله جل وعلا، وتقرب إلى الشيطان بما يحب من إضرار الناس، وإفساد أبدانهم وأخلاقهم وأديانهم، فلهذا يجب محاربة السحر، وسيأتي أن حكم الساحر أن يقتل.." (١)

"قصة عائشة مع العجوز الساحرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

روى الحاكم في مستدركه وابن جرير في تفسيره بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها، أنها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم جاءت إليها امرأة تبكي بكاء شديدا، وقد جاءت من دومة جندل تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد توفي، فصارت تبكي بكاء شديدا، تقول عائشة: حتى كنت أرحمها لكثرة بكائها وشدته، فسألتها؟ فقالت: إني كان لي زوج قد غاب عني فاشتقت إليه، فجاءتني عجوز

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٤/٧٣

وشكوت أمري إليها، فقالت: إن فعلت ما أقول لك سيأتيك زوجك أو ما تريدين؟ فقلت: نعم، فذهبت فجاءتني بكلبين أسودين، فركبت واحدا، وقالت لي: اركبي الآخر فركبت معها، وأسرعا، فإذا نحن ببابل، وإذا بئر فيها رجلان معلقان بأرجلهما، فقالا لي: اتقي الله ولا تكفري وارجعي إلى أهلك، فقلت: أريد أن أتعلم السحر، فقالا لي: اتقي الله ولا تكفري، وارجعي إلى أهلك، فقلت: لابد، فقالا لي: اذهبي إلى تلك البئر فبولي فيها، تقول: فذهبت إلى البئر فخفت واقشعر جلدي، فرجعت ولم أفعل شيئا، فقالا لي: أبلت؟ فقلت: نعم، فقالا لي: أرأيت شيئا؟ فقلت: لا، فقالا: كذبت لم تبولي، اذهبي إلى أهلك واتقي الله ولا تكفري، فقلت: لا، فقالا: إذا: اذهبي إليها وبولي، فذهبت فلما وصلتها خفت واقشعر جلدي فرجعت، فسألاني أبلت؟ فقلت: نعم فعلت، فقالا: أرأيت شيئا؟ فقلت: لم أر شيئا، فقالا: كذبت، اتقي الله وارجعي إلى أهلك، ولا تكفري، فقلت: لابد، قالا: اذهبي للبئر وبولي، تقول: فذهبت إليها فبلت، فرأيت فارسا خرج مني مقنعا، فذهب حتى غاب عني في السماء، فرجعت إليهما فقالا لي: أبلت؟ قلت: نعم، قالا: أرأيت شيئا؟ قلت: نعم، رأيت فارسا خرج مني مقنعا حتى ذهب في السماء وغاب عني، فقالا: ذاك الإيمان خرج منك، فركبنا على الكلبين ورجعنا، فقلت لما رجعنا للعجوز: لم أر شيئا ولم أسمع شيئا! قالت: بلى، أي شيء تريدين الآن يأتيك؟ خذي هذا الحب فابذري، فأخذت الحب فبذرته فنبت، ثم استوى، ثم انطحن، ثم انعجن، ثم انخبز، ثم إني والله ندمت ولم أفعل شيئا، تقول: فسألت الصحابة فأبوا وهابوا أن يقولوا لها شيئا.

فهذه الحكاية سندها صحيح، وبعض العلماء طعن فيها وقالوا: لا يمكن أن يقلب السحر الأشياء، فيجعل الحب ينبت في الحال، ثم يستوي، ثم يحصد فيخرج من أكمامه، ثم ينطحن، ثم ينعجن، ثم ينخبز، ثم يستوي هذا لا يمكن؛ لأنه قلب الأشياء عن حقائقها، قالوا: وإن صح السند إلى عائشة فهذه المرأة قد خرج إيمانها فلا نصدقها بقولها هذا، والصحابة هابوا أن يقولوا لها شيئا أو أن يفتوها بشيء، مع أنها كانت نادمة وكانت تبكي بكاء شديدا، وتقسم أنها لا تفعل شيئا.

فالمقصود: أن هذا من أدلة القائلين أن الساحر يمكن أن يحول بعض الأعيان إلى غير عينها، واستدلوا بهذه الحكاية فقط، وقد طعن فيها من طعن، وقالوا: إن هذه لا يعتمد عليها، وهي حكاية عن امرأة أقرت على نفسها أن الإيمان خرج منها فكيف نصدقها؟ لا نصدقها، ولو كلف إنسان من السحرة أو من غيرهم أن يقلب حيوانا إنسانا أو العكس ما استطاع، ولا نفتيه بشيء من ذلك، وإنما هي تخيلات تخيل على العيون، فيتخيل لبعض الناس أن ذلك كذلك وهو ليس كذلك، كما قال الله جل وعلا: ﴿يخيل إليه من

سحرهم أنها تسعى﴾ [طه:٦٦].

وستأتي قصة جندب الخير مع الساحر الذي كان يدخل في البقرة من فمها ويخرج من دبرها، ويدخل من دبرها ويخرج من فمها، ويقطع رأسها ثم يقول لها: قومي فتقوم، وهذا تخييل؛ ولهذا لما رآه جندب يصنع هذا جاء مشتملا على سيفه وضرب عنقه وقال: إذا كنت صادقا فأحي نفسك؟ كان يخيل الشيء للناس، فيتخيل لهم أنه يصنع هذا الشيء، وهو ليس كذلك، ولهذا إذا جاء من لا يفطن له الساحر من جهة أخرى يرى أنها طبيعية تماما وليس فيها شيء من التغيرات.." (١)

"الطيرة المنفية في الحديث

قال الشارح رحمه الله: [قوله: (ولا طيرة)، قال ابن القيم: يحتمل أن يكون نفيا أو نهيا، أي: لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: (ولا عدوى، ولا صفر، ولا هامة) يدل على أن المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه].

النفي، أي: نفي الشيء الذي يعتقده الكفار، وليس نفي وجود الطيرة أو ما ذكر معها، فإن هذا موجود ولا ينفى، وإنما ينتفي الشيء الذي يترتب عليها كما هي عقيدة أهل الجاهلية فيها، والنهي موجه لمن يمتثل أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يفعل شيئا من ذلك، وإذا جاء النهي فمعنى ذلك أنه باطل، وهو يشمل أيضا النفي، وإن كان النفي في مثل هذا أبلغ.

قال الشارح رحمه الله: [وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومنا أناس يتطيرون، قال: ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم)، فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالطير إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في المتطير به].

ولكن قد يبتلى الإنسان إذا استرسل مع ذلك، أو تحراه ونظر إليه، فيصاب بالشيء الذي يتخيله أو يتوقعه جزاء له؛ لأنه مال إلى وهم الشيطان وتخييله وتزيينه، ولو كان توكل على ربه جل وعلا وعلم أنه لا يقع شيء إلا بإذنه تعالى، وأن الطيور والبهائم والدواب وأصوات الناس ومناظيرهم وأحوالهم لا تغير شيئا، ولا توجد نفعا ولا ضرا، إذا علم الإنسان ذلك وتوكل على ربه لن يضره شيء إلا بإذن ربه جل وعلا، فالواقع أنه لا حقيقة له، وإنما يزينه الشيطان ويخوف به من ينظر إلى ذلك، فالمقصود أنه قد يبتلى الإنسان، إما فتنة له؛ لينظر هل يميل إلى ذلك ويصدقه، أم أنه سيعرض عنه نهائيا، ويعلم أن هذا شيء وقع بقدر الله، فوافق

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٧/٧٣

ذلك الشيء موافقة فقط، وأن ذلك الشيء -أعني فعل الطير، أو الكلام الذي يسمعه، أو الشيء الذي ينظره- لا صلة له بتقدير الله جل وعلا، ولا ما يصيب الإنسان من خير أو شر.." (١)

"حقيقة التشاؤم بصفر ومعناه

قال الشارح رحمه الله: [قوله: (ولا هامة) بتخفيف الميم على الصحيح، قال الفراء: الهامة: طير من طيور الليل، كأنه يعني البومة.

قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم، يقول: نعت إلي نفسي أو أحدا من أهل داري، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

قوله: (ولا صفر) بفتح الفاء، روى أبو عبيدة في غريب الحديث عن رؤبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب، وعلى هذا: فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى، وممن قال بهذا سفيان بن عيينة والإمام أحمد والبخاري وابن جرير.

وقال آخرون: المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهو قول مالك.

وروى أبو داود عن محمد بن راشد عن من سمعه يقول: إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شهر مشئوم، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك].

وهذا معنى ثالث من معاني قوله (ولا صفر)، أي: أنهم كانوا يتشاءمون فيه، فلا يسافرون فيه، ولا يتزوجون فيه، ولا يبنون فيه، فأبطل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك.

ومعلوم أن التشاؤم بالشهور أو بالأيام من فعل الجاهلية، فالشهور والأيام خلقها الله جل وعلا مطيعة وتقع فيها الحوادث التي تكون من الخلق كالطاعات والمعاصي، وإلا فهي ليس لها تصرف في شيء ولا لها إسعاد أو إنحاس، وكثير من الناس ما زال على ما كانت عليه الجاهلية، فتجد بعضهم يتشاءم بيوم الأربعاء، وبعضهم يتشاءم ببعض الشهور، ويتزوج في ليلة معينة؛ لأنه يرى أنها خير من غيرها، وهذا كله من العقائد الفاسدة، فالإنسان ليس له إلا ما قدر له، ولا يجزى إلا بعمله الذي عمله، فإن عمل الخير فله الخير في وإلا أي وقت كان، وفي أي يوم كان، وفي أي شهر كان، فلا شهر يكون فيه خير من شهر إلا بالأعمال التي تقع فيها، ما وقع من تفضيل الله لبعض الشهور والأيام على بعض فيكون العمل في تلك الشهور أو الأيام أفضل من العمل في غيرها: كرمضان مثلا وأيام الحج وليلة القدر قال تعالى: ﴿ليلة القدر خير من

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١٦/٧٩

ألف شهر﴾ [القدر:٣] يعني: العمل فيها أفضل من عمل ألف شهر، فهذا إلى الله، أما أن يقول الإنسان: إن هذا الشهر إذا عملت فيه كذا وفقت، أو هذا اليوم إذا فعلت فيه كذا وفقت، واليوم الآخر لو عملت فيه عملا فلن يأتي التوفيق، فهذا تخييل من الشيطان، وإيهام منه، وهو من فعل الجاهلية.

قال الشارح رحمه الله: [قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء، وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة.

قوله: (ولا نوء) النوء: واحد الأنواء، وسيأتي الكلام عليه في بابه إن شاء الله تعالى].." [١]

"معنى الغول والمراد بنفي النبي صلى الله عليه وسلم له في الحديث

قال الشارح رحمه الله: [قوله: (ولا غول) هو بالضم اسمه، وجمعه أغوال وغيلان، وهو المراد هنا، قال أبو السعادات: الغول: واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس، تتلون تلونا في صور شتى، وتغولهم أي: تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم وأبطله].

ليس معنى نفي النبي صلى الله عليه وسلم للغول نفي وجود الجن والشياطين، فهؤلاء موجودون، وكثير منهم يريد أذى ببني آدم، ويتعرضون لهم، ويظهرون كثيرا بأنهم أعداؤهم، وقد أخرج أبوهم من الجنة؛ بسبب عداوته لآدم كما هو معلوم، فأقسم لربه جل وعلا أنه سوف يحتنك ذرية بني آدم، يعني: يستولي عليهم ويضلهم، إلا من استثناه الرحمن جل وعلا، فهم حريصون جدا على أذية بني آدم، ومن كان منهم على نهج أبيه فإنه يحرص كل الحرص عدى أذيتهم بأي شيء كان.

ولكن من رحمة الله جل وعلا أنه ما جعل لهم سلطانا على المؤمنين، فإن المؤمن يتحصن بحصن حصين لا يستطيعون أن يأتوا إليه أو يقربوه إذا جاء به وهو ذكر الله، فإذا قال: طردهم وحمى منهم، وكذلك تلاوة القرآن، والأذان، وغير ذلك من الأذكار فليس على المؤمنين منهم ضرر.

أما تسلطهم على المشركين والغافلين، فهذا يجوز أن يقع كما هو معلوم للناس، لهذا لا يكون الإيذاء منهم إلا للغافل الذي لا يذكر الله جل وعلا، فلا يتعرضون للمسافر، ولا لغيره إذا كان ذاكرا لله جل وعلا، وإذا ظهر له شيء فذكر الله، فإنه يزول ذلك ويذهب عنه، لهذا جاءت الآثار: (أنه إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان)، يعني: إذا رأيتم شيئا من هؤلاء فاذكروا الله جل وعلا، فإنهم يهربون.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١٩/٧٩

قال الشارح رحمه الله: [فإن قيل: ما معنى النفي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان)؟ أجيب عنه: بأن ذلك كان في الابتداء، ثم دفعها الله عن عباده].

هذا الجواب غير صحيح، وهي ما زالت موجودة، وقد تتعرض للرجل، فإذا ذكر الله زالت وذهبت واختفت، كما بشهد بذلك الواقع.

قال الشارح رحمه الله: [أو يقال: المنفي ليس وجود الغول، بل ما يزعمه العرب من تصرفه في نفسه، فيكون المعنى بقوله: (لا غول)، أنها لا تستطيع أن تضل أحدا مع ذكر الله والتوكل عليه].

هذا هو الصواب، فلا تستطيع أن تضل أحدا مع ذكره لله جل وعلا والإيمان به، فإنها تذهب وتزول وتنتهي، وإنما يكون تسلطهم على الكافرين المشركين، وعلى الغافلين الذين يغفلون عن ذكر الله جل وعلا، ويعرضون عنه، ويكثرون من المعاصي، ويقلون من الطاعات.

قال الشارح رحمه الله: [ويشهد له الحديث الآخر: (لا غول ولكن السعالي: سحرت الجن)، أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل، ومنه: الحديث (إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان)، أي: ادفعوا شرها بذكر الله، وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عدمها، ومنه: حديث أبي أيوب: (كان لي تمر في سهوة، وكانت الغول تجيء فتأخذ)].

الغول يعني: الجن الشياطين، والجن من تمرد منهم يكون شيطانا، وحتى الإنس يكون منهم شياطين، كما قال الله جل وعلا: ﴿شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ [الأنعام:١١٢]، وفي حديث أبي ذر: (تعوذ بالله من شياطين الجن والإنس، فقلت: أو للإنس شياطين؟ قال: نعم) كذلك الحديث الذي في الصحيحين، في قصة زكاة الفطر التي جمعها الصحابة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضعها في المسجد حتى يفرقها، وسأل أبا هريرة أن يحرسها في الليل، فجاءه رجل وصار يحثو من التمر فأمسكه، فجعل يترجاه ويقول: دعني؛ فإني فقير محتاج وعندي عيال، يقول: فرحمته فتركته، فلما غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: (ما صنع أسيرك يا أبا هريرة؟ فقلت: زعم أنه بحاجة وعليه عيال فرحمته وتركته -وذلك لأن هذا التمر سيوزع لذوي الحاجة والفقراء- فقال له صلى الله عليه وسلم: أما إنه سيعود، فرجع الليلة الثانية، فأمسكته، وقلت: مرة ثانية، مرة لا أتركك حتى أذهب بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصار يترجاه كثيرا، ويلح ويقول: أنا محتاج، وأنا فقير، وعندي عيال فقراء، فتركه، فلما غدا على النبي صلى الله عليه وسلم قال له كما قال في الأولى، وقال: إنه سيعود، فجاءه في الليلة الثالثة، فقال: الآن لا أتركك، هذه ثالث مرة تزعم فيها أنك لن تعود فتعود -

والكذب ظاهر- فقال: دعني أعلمك شيئا ينفعك الله به -وكانوا حريصين على الخير- قال: نعم، فقال له: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فلما ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بهذا، قال: صدقك وهو كذوب، أتدري من تخاطب منذ ثلاث؟ قلت: لا. قال: ذاك الشيطان) أي: شيطان من الشياطين وقوله: (صدقك وهو كذوب)، يعني: أن هذا صحيح وصدق، ولكن هذا الشيطان ما استطاع أن يضر الصحابة في دينهم، فحاول أن يضرهم ولو بأخذ هذا التمر، وكيد الشيطان ضعيف دائما.

فالمقصود أنه يعرض للإنسان، وقد يراه في صورة إنسان يخاطبه ويكلمه، ويظن أنه من بني آدم، ويتخاطب معه، وقد يأتي -مثل ما ذكر- في صورة غول، يعني: صورة منكرة مخيفة، حتى يخيف الإنسان، وهذا الغول مأخوذ من غول؛ لأنه يتصور بصورة منكرة مخيفة، فيرعب الإنسان ويخوفه، وقد يهرب الإنسان عنه حتى يضل ويهلك، وهذا لا يقع للمؤمن الذي يذكر الله جل وعلا، هذا هو المنفي عنه.." (١)

"أنواع السحر

Q يقول بعض أهل العلم: إن السحر نوعان فقط، أحدهما: سحر حقيقي، وهو ما سحر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثاني: **تخييلي**، وهو كسحر سحرة فرعون.

فما تقول في ذلك؟

A السحر أنواع شتى وليس نوعين، بل أكثر من نوعين، وقد أوصلها الرازي رحمه الله إلى ثمانية أنواع، ولكن بعضها -مثلما قال-: ليست سحرا حقيقيا؛ بل هي بحيل وأمور قد تدرك، وأما ثلاثة أنواع منها أو أربعة فهي بواسطة الشيطان، أي: سحر فيه عبادة للشيطان.." (٢)

"معنى حلاوة الإيمان عند العلماء

قال الشارح رحمه الله: [قال السيوطي رحمه الله في التوشيح: (وجد حلاوة الإيمان) فيه استعارة **تخييلية**، شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضافه إليه.

وقال النووي: معنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق، وإيثار ذلك على أغراض الدنيا، ومحبة العبد لله بفعل طاعته، وترك مخالفته، وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم].

في الواقع أن هذه ثمرة وجود الإيمان، استلذاذ الطاعات هي ثمرة ذلك ونتائجه.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٢٠/٧٩

(٢) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٦٥/٨٣

[قال يحيى بن معاذ: حقيقة الحب في الله: أن لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء].

معنى قوله: (لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء) البر: هو أن يحسن إليك الذي أحببته، ويصلك بأمور الدنيا، أو بنفع البدن بالخدمة وغير ذلك، فلو فعل ذلك ما زاد حبه؛ لأن الحب ليس لهذا، الحب لله (ولا ينقص بالجفاء)، لو مثلا جفاك، وأصبح لا يزورك ولا يكلمك ولا يصلك، وانقطعت الصلة بينك وبينه، وليس ذلك عن عداوة، بل مجرد أنه لا يأتي أو أنه مشغول أو غير ذلك، فلا تنقص المحبة من أجل ذلك، لأنها ليست لأمر نفع دنيوي، وإنما هي لشيء قام به وهو طاعة الله، فهو يحب لله، وليس لذاته ولا لشيء يقدمه، وإنما يحب لأنه يحب الله، فأنت تحبه لأنه يحب حبيبك، إذا كانت أمور الدنيا بهذه المثابة لا تزيد ولا تنقص سواء جاءت أو ذهبت، فالمحبة لله أعظم، أما المحبة للدنيا وللناس فهذه ما تجدي شيئا، فهذه تنقطع بسرعة، لما حصلت مبادلة النفع زادت، فإذا نقصت أو زالت ذهب ذلك وزال لأنه ليس لله، وكل ما لم يكن لله فهو زائل وذاهب لأنه باطل، وإنما يثبت الحق الذي لله جل وعلا.." (١)

"ذكر ما جاء في السحر

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب ما جاء في السحر.

وقول الله تعالى: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة:١٠٢]].

هذه الآية سياقها في اليهود، واليهود كانوا من أكبر المشهورين بالسحر في الزمن القديم، ولهذا نشروا السحر نشرا كبيرا عندما كانوا في بابل، وهم يعتبرون من أقطاب السحرة في القديم، وما زالوا كذلك في الحديث.

فقوله تعالى: ((ولقد علموا)) يعني اليهود ﴿لمن اشتراه﴾ [البقرة:١٠٢]، يعني: لمن اشترى السحر ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة:١٠٢] يعني: ليس له في الآخرة نصيب، وهذا السياق لا يمكن أن يكون إلا في الكافر الذي كفره مخرج عن الملة؛ لأن المؤمن والموحد والمسلم لا بد من أن يكون له نصيب، أما من نفي عنه النصيب بالجملة بهذه الطريقة فهذا لا يمكن أن يكون إلا كافرا.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ [النساء:٥١]].

الجبت: هو السحر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والطاغوت: هو الشيطان كما سيأتي معنا.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان.

وقال جابر: الطواغيت كهان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد].

وسيأتي الحديث عن الكهانة بشكل مجمل -إن شاء الله- عند الباب المتعلق بالكهانة، وهذان الأثران

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٤/٨٦

رواهما البخاري رحمه الله تعليقا، ووصلهما الحافظ ابن حجر في الفتح، فأما الأول فإسناده قوي، وأما الثاني فإسناده حسن.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)].

ووجه الدلالة من هذا الحديث هو أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتبر السحر من الموبقات، والموبقات: هي المهلكات، وهل السحر هنا هو المخرج من الملة أو غير المخرج من الملة؟

و A ذلك بحسب نوعه، فإن كان من المخرج من الملة كان عطفه على الشرك من باب عطف الخاص على العام، وهذا له نظائر كثيرة في القرآن، مثل قول الله عز وجل: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ [البقرة:٢٣٨]، والصلاة الوسطى من الصلوات؛ فإذا كان نوع السحر من الشرك الأكبر المخرج عن الملة فإنه يكون عظفه من هذا الباب، وأما إذا كان من النوع الثاني -وهو الأدوية **والتخييلات** التي ليس فيها استغاثة بغير الله عز وجل- فهو من الكبائر.." (١)

"وأباطيل الدعوى والأصل أن الكهانة محمول أكثرها على الكذب والمخادعة والسحر على الشبه **والتخييل** وما اختار الأنبياء يأخذونها على ألسن الملائكة البررة مما لا يوجد فيها غير الصدق والحق على التجربة والإمتحان وفعلهم حق ثابت على مر الأيام والزمان ولما أن كان كذلك ثم وجد كتاب الله ناطقا بإظهار دينه على كل الأديان مع ما أخبر من الحوادث والأكوان مثل قوله ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى﴾ وقوله ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾ وقوله ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾ وقوله ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ وقوله ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ وقوله ﴿لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ وقوله ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم﴾ وقوله ﴿وإذ يعدكم الله﴾ وقوله ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ وما جاء من التخصيص في أقوام أنهم لا يؤمنون وأنهم أصحاب الجحيم ثم ماتوا على الكفر وغير ذلك مما في كل من الأنباء الـفـانية الذي عند التدبير فيها يعلم أنه بالله علمها لتكون آيات له

فمن تأمل ما عددنا من أحوال النبي عليه السلام علم أنه قد انتظمت جميع البراهين العقلية الدالة على نبوته وصلى الله على خير البرية

---

(١) شرح كتاب التوحيد - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١١/٤

ثم القول فيما بين المقرين بالرسل جملة والمنكرين لبعضهم على الإشارة أن نسألهم عن المعنى الذي له أقروا به أو أقر به سلفهم فإن أشاروا إلى معنى على." (١)

"ذلك على بطلان ما ادعي ونقل لهما فلما لم يكن هذا عندنا وعندهم كذلك لم يكن في إنكار الفرق لما قام الدليل على صحته وثبوته دليل على بطلانه وكذب ناقليه فإن قالوا ليس ينكر أحد ممن ذكرتم ظهور هذه الأمور على يدي موسى وعيسى وإنما ينكرون كونها معجزا ويدعون أنها حيل وتخييل ومخاريق فبطل ما قلبتم به الاعتراض علينا قيل لهم ليس الأمر على ما ظننتم لأن أكثر من ذكرناه بل الكل منهم يجحد هذه الأمور أصلا وإن تعاطى المتحذلق منهم أحيانا تسليمه جدلا والطعن فيه بادعائه أنه من ضروب السحر والحيل وغير ذلك فلا معنى لإنكارهم لذلك

وشيء آخر يبطل ما سألتم عنه وهو أنا لا ننكر تكذب الواحد والاثنين وجحد ما شاهدوه وطيه وكتمانه من المسلمين وغيرهم من سائر الملل وإذا كان ذلك كذلك وكنا نعلم أنه لم يحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المشاهد والغزوات من اليهود والنصارى والمجوس عدد ينقطع بهم العذر ولا يجوز عليهم الكذب وطي ما شوهد بل لا نعلم أيضا أنه حضر في أكثرها أحد منهم لما كان من إبعاده إياهم وإخراجهم عن تلك الديار وتحيزهم إلى حيث يمكنهم قتال ونصب راية حرب معه من الحصون." (٢)

"من الملوك والأمم يكذبونهم فما قدروا قط على طي إعلامهم ولا على تحقيق ما زادوا على ذلك لمن يغضب له من لا دين له فصح أن الأمرين سواء فإن قال قائل فلعل هذا الذي ظهرت منه المعجزات قد ظفر بطبيعة وخاصية قد معها على إظهار ما أظهر قيل له وبالله التوفيق إن الخواص قد علمت ووجوه الحيل قد أحكمت وليس في شيء منها عمل يحدث عنه اختراع جسم لم يكن كنحو ما ظهر من اختراع الماء الذي لم يكن ولا في شيء منه إحالة نوع إلى نوع آخر دفعة على الحقيقة ولا جنس إلى جنس آخر دفعة على الحقيقة وهذا كله قد ظهر على أيدي الأنبياء عليهم السلام فصح أنه من عند الله تعالى لا مدخل لعلم انسان ولا حيلته فيه ونحن نبين إن شاء الله الفرق الواضح بين معجزات الأنبياء عليهم السلام وبين ما يقدر عليه بالسحر وبين حيل العجائبيين فنقول وبالله تعالى التوفيق إن العالم كله جوهر وعرض لا سبيل إلى وجود قسم ثالث في العالم دون الله تعالى فأما الجواهر فاختراعها من ليس إلى أنس وهو من العدم إلى الوجود فممتنع غير ممكن البتة لأحد دون الله تعالى مبتدىء العالم ومخترعه فمن ظهر عليه اختراع

---

(١) التوحيد للماتريدي أبو منصور الماتريدي ص/٢٠٩

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل الباقلاني ص/١٦٦

جسم كالماء النابع من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة الجيش فهي معجزة شاهدة من الله تعالى له بصحة نبوته لا يمكن غير ذلك أصلا وكذلك إحالة الأعراض التي هي جوهريات ذاتيات وهي الفصول التي تؤخذ من الأجناس وذلك كقلب العصا حية وحنين الجذع وإحياء الموتى الذين رموا وصاروا عظاما والبقاء في النار ساعات لا تؤذيه وما أشبه ذلك وكذلك الأعراض التي لا تزول إلا بفساد حاملها كالفطس والرزق ونحو ذلك فهذا لا يقدر عليه أحد دون الله تعالى بوجه من الوجوه وأما إحالة الأعراض من الغيرات التي تزول بغير فساد حملها فقد تكون بالسحر ومنه طلمسات كتنفير بعض الحيوان عن مكان ما فلا يقربه أصلا وكإبعاد البرد ببعض الصناعات وما أشبه هذا وقد يزيد الأمر ويفشوا العلم ببعض هذا النوع حتى يحسبه أكثر الناس كالطير والاصباغ وما أشبه هذا وأما **التخييل** بنوع من الخديعة كسكين مثقوبة النصاب تدخل فيها السكين ويظن من رآها أنها دخلت في جسد المضروب بها في حيل غير هذه من حيل أرباب العجائب والحلاج وأشباهه فأمر يقدر عليه من تعلمه وتعلمه ممكن لكل من أراده فالذي يأتي به الأنبياء عليهم السلام هو إحالة الذاتيات ومن ذلك صرف الحواس على طبائعها كمن أراك ما لا يراه غيرك أو مسح يده على مريض فأفاق أو سقاه ما يضر علته فبرىء أو أخبر عن الغيوب في الجزئيات عن غير تعديل ولا فكرة فهذه كلها إحالة الذاتيات وما ثبت إذ ثباتها لا يكون إلا لنبي فإذا قد تكلمنا على مكان النبوة قبل مجيئها ووجوبها حين وجودها فلنتكلم الآن بحول الله وقوته على امتناعها بعد ذلك فنقول وبالله تعالى التوفيق إذ قد صح كل ما ذكرنا من المعجزات الظاهرة من الأنبياء عليهم السلام شهادة من الله تعالى لهم يصدقوا بها أقوالهم فقد وجب علينا الانقياد لما أتوا به ولزمنا تيقن كل ما قالوا وقد صح عن رسول." (١)

"ومسى حق وأن عصاه صارت ثعبانا على الحقيقة بقوله تعالى ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ فصح أنه تبين ذلك لكل من رآه يقينا وأخبر أن الذي عمل السحرة إنما هو إفك **وتخييل** وكيد وهذا هو الحق الذي تشهد به العقول لا ما في الكتاب المبدل المحرف فصح أن فعل السحرة حيلة مموهة لا حقيقة لها وهذا الذي يصححه البرهان إذ لا يحيل الطبائع إلا خالقها شهادة لرسله وأنبيائه وفرقا بين الصدق والكذب لا قولهم عمل السحرة مثل ما عمل موسى في وقت تكليفه برهان على صدق قوله وعند تحديه لهم على أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين وهو كاذب فأتوا بمثله فانظروا النتيجة يرحمكم الله هذه سورة تشهد شهادة قاطعة صادقة بأن صانع ذلك الكتاب الملعون المكذوب الذي يسمونه الحماس ويدعون أنه توراة موسى عليه

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ١/٦٧

السلام إنما كان زنديقا مستخفا بالباري تعالى ورسله وكتبه وحاش لموسى صلى الله عليه وسلم منه وأنهم إلى الآن يزعمون أن إحالة الطبائع وقلب الأجناس عن صفاتها الذاتية إلى أجناس أخر واختراع الأمور في المعجزات البينة يقدر على ذلك بالرقي والصناعات وعلموا أن من صدق بهذا مبطل للنبوة بلا مرية إذ لا فرق بين النبي وغيره إلا في هذا الباب فإذا أمكن لغير النبي فلم يبق إلا دعوى لا برهان عليها ونعوذ بالله من الضلال ولقد شاهدناهم متفقين إلى اليوم على أن رجلا من علمائهم ببغداد دخل من بغداد إلى قريظة في يوم واحد وأنبت قرنين في رأس رجل من بني الإسكندري كان ساكنا بقرب دار اليهود عند فندق الحرقة كان يؤذي يهود تلك الجهة ويسخر منهم وهذه كذبة وفضيحة لا نظير لها والموضع مشهور عندنا بقرطبة داخل المدينة وبنو عبد الواحد بن يزيد الإسكندري من بيته رفيعة مشهورة أدركنا آخرهم كانت فيهم وزارة وعمالة ليس فيهم مغمور ولا خفي إلى أن بادوا ما عرف قط أحد منهم هذه الأحموقة المختلفة والقوم بالجملة أكذب البرية أسلافهم وأخلافهم وعلى كثرة ما شاهدنا منهم ما رأيت فيهم قط متحريا للصدق إلا رجلين فقط

فصل

قال أبو محمد رضي الله عنه وفي قصة قلب الماء دما فضيحة أخرى ظاهرة الكذب وهي أن في نص الكلام الذي يزعمونه التوراة ثم قال السيد لموسى قل لهارون مد يدك بالعصا على مياه مصر وأنهارها وأوديتها ومروجها وجناتها لتعود دما وتصير ماء في آنية التراب والخشب دما ففعل موسى وهارون كما أمرهما السيد إلى قوله وصار الماء في جميع أرض مصر دما ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم واشتد قلب فرعون ولم يسمع لهما على حال ثم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يوجه قلبه إلى هذا أيضا وحفر جميع المصريين حوالي النهر ليصيبوا الماء منها لأنهم لا يقدرون على شرب الماء من النهر

قال أبو محمد رضي الله عنه هذا نص كتابهم فأخبر أن كل ماء كان بمصر في أنهارها وأوديتها ومروجها وجناتها وأواني الخشب والتراب والماء كله في جميع أرض." (١)

"على أنه لا يأمر بالفحشاء فصح قولنا أيضا وقال عز وجل ﴿وأن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ فنص تعالى على أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لو تولوا لا يدل قوما غيرهم لا يكونون أمثالهم وبالضرورة نعلم انه عز وجل إنما أراد خيرا منهم فقد صح أنه عز وجل قادر على أن يخلق

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ١/١٢٠

أصلح منهم وقال تعالى ﴿إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم﴾ وفي هذا كفاية وقال تعالى ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن﴾ فهل في البيان أن الله تعالى قادر على أن يفعل أصلح مما فعل وإن عنده تعالى أصلح مما أعطى خلقه أبين أو أوضح أو أصح من إخباره تعالى أنه قادر على أن يبدل نبيه صلى الله عليه وسلم الذي هو أحب الناس إليه خيرا من الأزواج اللواتي أعطاه واللواتي هن خير الناس بعد الأنبياء عليهم السلام

قال أبو محمد فبطل قول البقر الشاذة أصحاب الأصلح في أنه تعالى لا يقدر على أصلح ما فعل بعباده

قال أبو محمد نسأل الله العافية مما ابتلاهم به ونسأله الهدى الذي حرمهم إياه وكان قادرا على أن يتفضل عليهم به فلم يرد وما توفيقنا إلا بالله عز وجل وهو حسبنا ونعم الوكيل

قال أبو محمد كل من منع قدرة الله عز وجل عن شيء مما ذكرنا فلا شك في كفره لأنه عجز ربه تعالى وخالف جميع أهل الإسلام

قال أبو محمد وقالوا إذا كان عنده أصلح مما فعل بنا ولم يؤتنا إياه وليس بخيلا وخلق أفعال عباده وعذبهم عليها ولم يكن ظالما فلا تنكروا على من قال أنه جسم ولا يشبه خلقه وأنه يقول غير الحق ولا يكون كاذبا قال أبو محمد فجوابنا وبالله تعالى التوفيق إنه تعالى لم يقل أنه جسم ولو قاله لقلناه ولم يكن ذلك تشبيها له بخلقه ولم يقل تعالى أن يقول غير الحق بل قد أبطل ذلك وقطع بأن قوله الحق فمن قال على الله ما لم يقله فهو ملحد كاذب على الله عز وجل وقد قال تعالى أنه خلق كل شيء وخلقنا وما نعمل وأنه لو شاء لهدى كل كافر وأنه غير ظالم ولا بخيل ولا ممسك فقلنا ما قال من كل ذلك ولم نقل ما لم يقل وقلنا ما قام به البرهان العقلي من أنه تعالى خالق كل موجود دونه وأنه تعالى قادر على كل من يسأل عنه وأنه لا يوصف بشيء من صفات العباد لا ظلم ولا بخل ولا غير ذلك ولم نقل ما قد قام البرهان العقلي على أنه باطل من أنه جسم أو أنه يقول غير الحق وقال بعض أصحاب الأصلح وهو ابن بدد الغزال تلميذ محمد بن شبيب تلميذ النظام بلى إن عند الله ألطافا لو أتى بها الكفار لآمنوا إيمانا يستحقون معه الثواب إلا أن الثواب الذي يستحقونه على ما فعل بهم أعظم وأجل فلهذا منعهم تلك الألطاف

قال أبو محمد وهذا تمويه ضعيف لأننا إنما سألناهم هل يقدر الله تعالى على ألطاف إذا أتى بها أهل الكفر آمنوا إيمانا يستحقون به مثل هذا الثواب الذي يؤتيهم على الإيمان اليوم أو أكثر من ذلك الثواب فلا بد له من ترك قوله أو يعجز ربه تعالى

قال أبو محمد ونسأل جميع أصحاب الأصلح فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق أخبرونا عن كل من شاهد

براهين الأنبياء عليهم السلام ممن لم لا يؤمن به وصحت عنده بنقل التواتر هل صح ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها أنها شواهد موجبة صدق نبوتهم أم لم يصح ذلك عندهم إلا بغالب الظن وبصفة أنها مما يمكن أن يكون تخييلا أو سحرا أو نفلا مدخولا ولا بد من أحد الوجهين فإن قالوا بل صح ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها وثبت ذلك في عقولهم بلا شك." (١)

"فهذا عمر رضي الله عنه يبطل إحالة الطبائع وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين كثيرا وقد نص الله عز وجل على ما قلنا فقال تعالى ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ فاخبر تعالى أن عمل أولئك السحرة إنما كان تخييلا لا حقيقة له وقال تعالى ﴿إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ فأخبر تعالى أنه كيد لا حقيقة له فإن قيل قد قال الله عز وحل ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم﴾ قلنا نعم إنها حيل عظيمة وإثم عظيم إذ قصدوا بها معارضة معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم كادوا عيون الناس إذ أوهموهم أن تلك الحبال والعصي تسعي فاتفقت الآيات كلها والحمد لله رب العالمين وكان الذي قدر ممن لا يدري حيلهم أنها تسعى ظنا أصله اليقين وذلك انهم رأوا صفة حيات رقط طوال تضطرب فسارعوا إلى الظن وقدروا أنها ذوات حيات ولو منعوا الظن وفتشوها لوقفوا على الحيلة فيها وأنها ملئت زئبقا ولد فيها تلك الحركات كما يفعل العجائبي الذي يضرب بسكينة في جسم إنسان فيظن من رآه ممن لا يدري حيلته أن السكين غاصت في جسد المضروب وليس كذلك بل كان نصاب السكين مثقوبا فقط فغاصت السكين في النصاب وكاد خاله خيطا في حلقة خاتم يمسك إنسان منهم طرفي الخط بيديه ثم يأخذ العجائبي الخاتم الذي فيه الخيط بفيه وفي ذلك المقام أدخله تحت يده وكان في فيه خاتم أخرى يري من حضر حلقة الخاتم الذي في فيه يوهمهم انه قد أخرجه من الخيط ثم يرد فمه إلى الخيط ويرفع يديه وفمه فينظر الخاتم الذي كان فيه الخيط وكذلك سائر حيلهم وقد وقفنا عليها جميعها فهذا هو معنى قوله تعالى سحروا أعين الناس أو استرهبوهم أي انهم أوهموا الناس فيما رأوا ظنونا متوهمة لا حقيقة لها ولو فتشوها للاح لهم الحق وكذلك قوله تعالى ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ فهذا أمر ممكن يفعله التمام وكذلك ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الأعصم فولد ذلك عليه مرضا حتى كان يظن أنه فعل الشيء وهو لم يفعله فليس في هذا أيضا إحالة طبيعية ولا قلب عين وإنما هو تأثير بقوة لتلك الصناعة كما قلنا في الطلسمات والرقي فلا فرق ونحن نجد الإنسان يسب أو يقابل بحركة يغضب منها فيستحيل من الحلم إلى الطيش ومن السكون إلى

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ١٠٤/٣

الحركة والنزق حتى يقارب حال المجانين أو ربما أمرضه ذلك وقد قال عليه السلام إن من البيان لسحرا لأن من البيان ما يؤثر في النفس فيثيرها أو يسكنها عن ثورانها ويحيلها عن عزماتها وعلى هذا المعنى استعملت الشعراء ذكر سحر العيون لاستمالتها للنفوس فقط قال أبو محمد ويقال لمن قال أن السحر يحيل الأعيان ويقلب الطبائع أخبرونا إذا جاز هذا فأي فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم والساحر ولعل جميع الأنبياء كانوا سحرة كما قال فرعون عن موسى عليه السلام ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ ﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾ وإذا جاز أن يقلب سحرة موسى عليه السلام عصيهم وأحبالهم حيات وقلب موسى عليه السلام عصاه حية وكان كلا الآمرين حقيقة فقد صدق فرعون بلا شك في أنه ساحر مثلهم إلا أنه أعلم به فقط وحاشا لله من هذا بل ما كان فعل السحرة إلا من حيل أبي العجائب فقط فان لجؤا إلى ما ذكره الباقلاني من التحدي قيل لهم هذا باطل من وجوه أحدها إن اشتراط التحدي في كون آية النبي آية دعوى كاذبة سخيفة لا دليل على صحتها لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من إجماع ولا من قول صاحب ولا من حجة عقل ولا قال بهذا أحد قط قبل هذا الفرقة الضعيفة وما كان هكذا فهو في غاية السقوط والهجنة قال الله عز وجل ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ فوجب." (١)

"الله عليه وسلم كان ظاهرا بنفسه وأشياعه مبرزا للقتال مترددا في الأقطار مظهرا للدعوة على ملأ من الناس غير محتجب ولا متسستر ثم كان يظهر المعجزات الخارقة للعادة فانتشرت دعوته لانتشار خروجه ومقاتلته وانتشار وجوده وليس الآن في صاحبكم كذلك نعم تواتر وجوده وترشحه مع آبائه للخلافة ودواعهم انهم اولى بها من غيرهم اما دعواه ودعوى من سبق من آبائه العصمة على المعاصي وعن الخطأ والزلل والسهو ومعرفة الحق في جميع اسرار العقليات والشرعيات فلم يظهر ذلك لنا بل لم تظهر دعواه العلم اصلا بفن من الفنون كالفقه او الكلام او الفلسفة على الوجه الذي يدعيه آحاد العلماء في البلاد فكيف ظهرت دعواه معرفة اسرار النبوة والاطلاع على علوم الدنيا والآخرة وهذا ما تواطأ على اختراعه توصلا الى استدراج المستجيب وخداعه

هذا تمام الرد عليهم فيالمقدمات تفصيلا مع أن في المنهج الأول المنطوي على الرد عيهم جملة كافية ومقنعا ولم يبق الا القول في إفساد أدلتهم المذكورة لابطال النظر ٢

أما الدلالة الأولى وهي قولهم من صدق عقله فقد كذبه اذ صدق عقل خصم ٢ هـ وخصمه يصرح بتكذيبه

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ٥/٥

فنقول هذا تخييل باطل من وجوه الاول المعارضة بمثال وهو أنا نقول نحن صدقنا العقول في نظرياتها وانتم صدقتموها في ضرورياتها وخصومكم من السوفسطائية يكذبونكم فيها فإن إقتضى ذلك لزوم الاعتراف بكذب العلوم الضرورية لزمنا من خلافكم الاعتراف بكذب العلوم النظرية فان العقل إن صدق." (١)

"وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودي وصلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا بتحقيق وبرهان

وكذلك النصراني والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالأول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في ثمار الأشجار ولذلك قال تعالى

﴿فزادتهم إيمانا﴾

وقال تعالى ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾." (٢)

"الكميات مجردة عن المادة، أو كانت مخالطة بعد. فأحدث بعدهم أرسطوطاليس الحكيم علم المنطق، وسماه تعليمات، وإنما هو جرده من كلام القدماء، وإلا فلم تخل الحكمة عن قوانين المنطق قط. وربما عدها آلهة العلوم، لا من جملة العلوم، فقال:

الموضوع في العلم الإلهي: هو الوجود المطلق. ومسائله: البحث عن أحوال الوجود من حيث هو وجود.

والموضوع في العلم الطبيعي: هو الجسم، ومسائله: البحث عن أحوال الجسم من حيث هو جسم.

والموضوع في العلم الرياضي، هو الأبعاد والمقادير، وبالجملة: الكمية من حيث إنها مجردة عن المادة، ومسائله: البحث عن أحوال الكمية من حيث هي كمية.

والموضوع في العلم المنطقي: هو المعاني التي في ذهن الإنسان من حيث يتأدى بها إلى غيرها من العلوم، ومسائله: البحث عن أحوال تلك المعاني من حيث هي كذلك.

قالت الفلاسفة: ولما كانت السعادة هي المطلوبة لذاتها، وإنما يكدح الإنسان لنيلها، و الوصول إليها، وهي لا تنال بالحكمة، فالحكمة تطلب إما ليعمل بها، وإما لتعلم فقط، فانقسمت الحكمة إلى قسمين

---

(١) فضائح الباطنية أبو حامد الغزالي ص/١١٣

(٢) قواعد العقائد أبو حامد الغزالي ص/٢٦٢

عملي، وعلمي.

ثم منهم من قدم العملي على العلمي، ومنهم من أخر، كما سيأتي. فالقسم العملي هو عمل الخير، والقسم العلمي هو علم الحق. قالوا: وهذان القسمان مما يوصل إليه بالعقل الكامل، والرأي الراجح، غير أن الاستعانة في القسم العملي منه بغيره أكثر. والأنبياء عليهم السلام أيدوا بإمداد روحانية تقريرا للقسم العملي، ولطرف ما من القسم العلمي والحكماء تعرضوا لأمداد عقلية تقريرا للقسم العلمي، ولطرف ما من القسم العملي. فغاية الحكيم هو أن يتجلى لعقله كل الكون، ويتشبه بالإله الحق تعالى وتقدس بغاية الإمكان. وغاية النبي أن يتجلى له نظام الكون، فيقدر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم، وتنتظم مصالح العباد، وذلك لا يتأتى إلا بترغيب وترهيب، وتشكيل، **وتخييل**." (١)

"الإيمان بملك الموت وفقء موسى عينه

...

ونؤمن بأن ملك الموت أرسل إلى موسى [عليه السلام] ١ فصكه٢ ففقأ عينه، كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣ لا ينكره

---

١ لا توجد في [ل] .

٢ أي ضربه على عينه.

٣ يشير إلى ما رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكة ففقأ عينه. . الحديث. صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب ((من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها)) ، ح ((١٣٣٩)) ١/٤١٠، وكتاب الأنبياء، باب ((وفاة موسى)) ، ح ((٣٤٠٧)) ٢/٤٧٨، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ((من فضائل موسى)) ح ((٢٣٧٢)) ٤/١٨٤٢، وأحمد في المسند ٢/٢٦٩.

قال الإمام النووي: قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وأنكر تصوره، قالوا: كيف يجوز على موسى فقأ عين ملك الموت؟ قال: وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة، أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم، والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء، ويمتحنهم بما أراد ... أو أن موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك من عند

---

(١) الملل والنحل الشهرستاني ٢/١١٧

الله، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها، فأدت المدافعة إلى فقء عينه، لا أنه قصدها بالفقأ. وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازري والقاضي عياض.

شرح صحيح مسلم للنووي ١٢٩/١٥، وانظر فتح الباري ٤٤٣/٦.

وقال ابن قتيبة: لما تمثل ملك الموت لموسى عليه السلام، وهذا ملك الله، وهذا نبي الله، وجاذبه، لطمه موسى لطمة أذهبت العين التي هي **تخييل** وتمثيل، وليست حقيقة، وعاد ملك الموت عليه السلام إلى حقيقة خلقته الروحانية، كما كان لم ينقص منه شيئ.

تأويل مختلف الحديث ص٢٧٨.." (١)

"وقد تكلمنا على ذلك بما فيه مقنع وكفاية كيف وان ذلك ما يصح استبعاده من الخصم والا لما ساغ له الاعتراف بوجود حادث ما والا فما ذكره من الشبهة تكون إذ ذاك لازمة له من غير محيص

واما الشبهة الثانية

فإنهم ان أرادوا بالمدة معنى زمانيا وامرا وجوديا حقيقا فالتقسيم بذلك انما يصح على ما هو قابل للتقدم والتأخر والمعية الزمانية وأما على ما ليس بقابل فلا والبارى تعالى ليس بقابل للتقدم والتأخر بالزمان لكون وجوده غير زمانى كما أنه غير قابل للتقدم والتأخر المكانى لكون وجوده غير مكانى فإذا قيل إن تقدمه على العالم بمدة زمانية كان محالا كما أنه محال أن يتقدم على العالم بالمكان وعلى ذلك فلا يلزم بنفى المدة والتقدم الزمانى القول بالمعية بينهما كما لا يلزم القول بنفى المكان والتقدم به المعية أيضا فإذا المعنى بكون البارى تعالى متقدما انه كان ولم يكن معه شئ والمعنى بكون العالم حادث ا أو متأخرا أنه كان بعد ما لم يكن وذلك لا يستوجب التقدم بالزمان ولا ولا التأخر به

نعم لا ينكر أن الأوهام قد تنقطع عن الوقوف على مدة لا يرتمى الوهم إلى تقدير مدة قبلها وإلى تقدير مدة بين وجود الواجب بذاته ووجود العالم لكن ذلك كله من تقديرات الاوهام **وتخييلاتها** فلا يقضى بها على العقليات والأمور اليقينيات بل يجب أن يقضى بكل منهما على تقديراتها ومنها تقدير أن العالم إما خلاء أو ملاء إلى غير النهاية كيف وأنه لما أريد بلفظ المدة الزمان كان التقسيم خطأ إذ الزمان من العالم والكلام أيضا." (٢)

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي المقدسي، عبد الغني ص/١٩٣

(٢) غاية المرام في علم الكلام الآمدي، أبو الحسن ص/٢٦٩

"دعاء١، وأحرق إيليا ثلاثة عساكر بنار نزلت من السماء٢ ولم يتقدم منه دعاء ولا طلب فعل ذلك عدة من الأنبياء، فأما المسيح فقد بينا أنه كان في غالب أمره يدعو ويضرع كما قدمناه، ولم ينقل أن واحدا ممن سمينا ضرب ولا غلب، فأما المسيح فالنصارى تزعم أنه قتل وصلب.

والعجب منا ومنهم فإنا نعتقد نبوته وسلامته وهم يعتقدون ربوبيته وعطبه، لقد تباعد ما بيننا وبينهم.

٤- معجز دال على نبوته، قال مى: "جاء رئيس من الرؤساء إلى يسوع فقال: إن ابني قد ماتت فلعل تأتي إلينا فتضع يدك عليها، فمضى معه ووضع يده عليها، فعاشت ابنة الرجل"٣.

فإن أنكر اليهود ذلك مع تواتره وأكذبوا التواتر انعكس عليهم في نبوة أنبيائهم وإن زعموا أنه فعل ذلك **تخييلا**، قيل لهم: ولعل قلب العصا حيوانا يسعى كان أيضا **تخييلا** / (١/٤٠/ب) وشعبذة٤ ودكا، فقد لزمهم القول بنبوة المسيح بالطريق التي لزمهم القول بنبوة موسى وغيره. ولو تطرق التشكيك إلى نبوة المسيح مع ظهورها لم يثبت نبوة نبي ولا استقرت رسالة رسول.

---

١ قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ . [سورة يوسف، الآيات: ٩٣-٩٦] .

٢ سفر الملوك الثاني إصحاح (١) .

٣ متى ٩/١٨-٢٦.

٤ شعوذ الرجل شعوذة ومنهم من يقول: "شعبذة شعبذة"، وليس من كلام أهل البادية. وهي لعب يري الإنسان منه ما ليس له حقيقة كالسحر. (ر: المصباح ص: ٣١٤) .." (١)

"بأصناف كلامهم علم عجز الخلائق عن الإتيان بمثله ضرورة كما يعلم عجز الأطباء عن إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بنفس العلم بهذه الأمور والوقوف عليها وكذلك من شاهد قلب العصى ثعبانا مبينا يتلقف ما جاءوا به من السحر **والتخييلات** حصل له العلم القطعي بأن قلب العصى ثعبانا يعجز عنه الخلائق أجمعون إذ ذاك خارج عن مقدورهم

فإن قيل

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل صالح الجعفري ١٧٨/١

إحياء الموتى وقلب العصى وما ينزل منزلتها جلي لا يشك فيه من شاهده عام بالإضافة إلى كل العقلاء لا يبقى معه ريب لأحدهم بل يحصل لهم العلم القطعي بذلك وليس كذلك ما ادعاه نبيكم من إعجاز القرآن إذ لا يحصل العلم بإعجازه لكل أحد بل إنما يحصل العلم بذلك عندكم وعلى زعمكم للفصحاء من العرب وأما من ليس فصيحا أو أعجميا لا يفقه لسان العرب فلا يحصل له العلم بإعجازه فإن الأعجمي لو كلف أن يتكلم بكلمة واحدة من لسان العرب لم يقدر على ذلك فعدم قدرته على ذلك لا يدل على صدق المتحدى به وكذلك من ليس فصيحا من العرب لو كلف أن يأتي بكلام فصيح لم يقدر عليه فلا يكون ذلك معجزا في حقه

الجواب

أن نقول سنبين إن شاء الله وجوه إعجازه وأنها متعددة وإن منها ما يدركه الجفلا ويشترك في معرفة إعجازه أهل الحضارة والفلا

فيكون هذا النوع كقلب العصى وإحياء الموتى ولو سلمنا جدلا أنه معجز من حيث بلاغته وأسلوبه المخالف لأساليب كلامهم فقط لقلنا إن العلم بإعجازه وإحياء الموتى وقلب العصى لا يحصل لكل العقلاء على حد سواء ولا في زمان واحد بل يحصل ذلك لمن علم وجه إعجاز ذلك الشيء المعجز حين يعرف أنه مما ليس يدرك بجبلة بشرية ولا يتوصل إلى ذلك بالإطلاع على خاصية

وقد لا يبعد أن تقوم شبهة عند جاهل بصناعة الطب والسحر تمنعه من تحصيل العلم بالإعجاز فيقول لعل موسى اطلع من السحر على شيء لم يعلمه السحرة ولا اطلعت عليه وكذلك عيسى لعله وقع على خاصية بعض الأحجار أو بـعض الموجودات فكان يفعل بها ما يظهر على يديه وهذه الشبهة إنما ممكن أن تظهر للجاهل بالطب." (١)

"وهي قوله: ﴿لا يأتون بمثله﴾ (١) [الإسراء: ٨٨]، والكرامة (٢): ما يكرم الله تعالى به أولياءه من أمور يجريها على أيديهم وألسنتهم، وقلوبهم، وأفعالهم من غير أسباب ظاهرة واقعات (٣).

والتخييلات (٤) والوهميات ليست من الكرامات في شيء، والله تعالى يكرم من يشاء بما يشاء ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣].

= ٤١٢).

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام شمس الدين القرطبي ص/٣٢٦

والآيات هي علامات من الله تبارك وتعالى يعلم بها عباده أنه أرسل إليهم هذا الرسول المؤيد بتلك الآية، والأمر بطاعته واتباعه، قال شيخ الإسلام في النبوات (٢/ ٧٧٨): (فآيات الأنبياء هي علامات وبراهين من الله تتضمن إعلام الله لعباده وإخباره).

(١) في (ص) و (ظ) و (ن): "فأتوا بمثله" وهذا خطأ، والصحيح ما أثبته. وفي جميع النسخ الخطية "فاتوا بمثله" وهي ليست في القرآن بمثل هذا اللفظ.

(٢) الكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد من عباده الصالحين إكراما له فيدفع عنه ضرا، أو يحقق له نفعا، أو ينصر به حقا، إذ من أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثير، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٣/ ١٥٦).

وقرر أيضا - رحمه الله - أن كرامات الأولياء من دلائل النبوة حيث قال في النبوات (١/ ٥٠١): (كرامات الأولياء هي من دلائل النبوة، فإنها لا توجد إلا لمن اتبع النبي الصادق، فصار وجودها كوجود ما أخبر النبي من الغيب)، كما بين أنها من جنس آيات الأنبياء، لكنها لا تصل إلى آياتهم الكبرى، حيث قال في النبوات (٢/ ١٠٨٤): (وأما كرامات الصالحين فهي من آيات الأنبياء كما تقدم. ولكن ليست من آياتهم الكبرى، ولا يتوقف إثبات النبوة عليها).

وبالتالي فإن الكرامة قد تكون مقرونة بالتحدي وقد لا تكون، كما أوضح ذلك شيخ الإسلام في النبوات (١/ ٦٠٣ - ٦٠٤).

(٣) في (ظ) و (ن): (وأتعاب).

(٤) في (ظ) و (ن): (والتخيلات).." [١]

"وفي كتب التفسير المسندة قطعة كبيرة من ذلك، مثل تفسير عبد الرزاق، وعبد بن حميد، ودحيم وسنيد، وابن جرير الطبري، وأبي بكر بن المنذر، وتفسير عبد الرحمن ابن أبي حاتم، وغير ذلك من كتب التفسير، التي ينقل فيها ألفاظ الصحابة والتابعين، في معاني القرآن بالأسانيد المعروفة.

فإن معرفة مراد الرسول ومراد الصحابة هو أصل العلم، وينبوع الهدى، وإلا فكثير ممن يذكر مذهب السلف ويحكيه لا يكون له خبرة بشيء من هذا الباب، كما يظنون أن مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها. أنه لا يفهم أحد معانيها؛ لا الرسول ولا غيره، ويظنون أن هذا معنى قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل

---

(١) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ابن العطار ص/٣٠٣

عمران: ٧] مع نصرهم للوقف على ذلك؛ فيجعلون مضمون مذهب السلف أن الرسول بلغ قرآنا لا يفهم معناه، بل تكلم بأحاديث الصفات وهو لا يفهم معناها، وأن جبريل كذلك، وأن الصحابة والتابعين كذلك. وهذا ضلال عظيم، وهو أحد أنواع الضلال في كلام الله والرسول صلى الله عليه وسلم، ظن أهل **التخييل**، وظن أهل التحريف والتبديل، وظن أهل التجهيل. وهذا مما بسط الكلام عليه في مواضع، والله يهدينا وسائر إخواننا إلى صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

والمقصود هنا الكلام على من يقول: ينزل ولا يخلو منه العرش، وإن أهل الحديث في هذا على ثلاثة أقوال:

منهم من ينكر أن يقال: يخلو، أو لا يخلو، كما يقول ذلك الحافظ عبد الغني وغيره.

ومنهم من يقول: بل يخلو منه العرش، وقد صنف عبد الرحمن بن منده مصنفا في الإنكار على من قال: لا يخلو من العرش، أو لا يخلو منه العرش. كما تقدم بعض كلامه.

وكثير من أهل الحديث يتوقف عن أن يقول: يخلو أو لا يخلو. وجمهورهم على أنه لا يخلو منه العرش.

وكثير منهم يتوقف عن أن يقال: يخلو أو لا يخلو؛ لشكهم في ذلك، وأنهم لم يتبين لهم جواب أحد الأمرين، وإما مع كون الواحد منهم قد ترجح عنده أحد الأمرين." (١)

"أنهم كذبوا الرسل فاستحقوا العذاب، ودل على أنهم لم يكونوا يعقلون، وأنهم لو عقلوا لصدقوا الرسل. فلما كان السلف عالمين بحقائق الأدلة العقلية والسمعية وأنها متلازمة، علموا أنه يمتنع أن تكون متعارضة، فإن الأدلة القطعية اليقينية يمتنع تعارضها، لوجوب ثبوت مدلولها، فلو تعارضت لزم إما الجمع بين النفي والإثبات، وإما رفعهما. والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان. لكن جاء بعدهم من أهل الكلام من قصر في معرفة ما جاء به الرسول وما يوجبه النظر المعقول، فظنوا في أقوال الرب وأفعاله في مسألة حدوث العالم وغيرها ظنونا مخطئة، ليست مطابقة لخبر الرسل ولا لموجب العقل، وصار يظن من لا يعرف دين الرسل أن هذا هو دينهم، ورأوا في ذلك ما يناقض صريح العقل.

فكان هذا من أسباب اضطراب الناس في أمر الرسل:

فطائفة تقول: إنما جاءوا في العلوم الإلهية بطريق **التخييل** وخطاب الجمهور.

وطائفة تقول: بل جاءوا بطريق لا يدل على المقصود، بل يشعر بنقيضه، ليعرف الناس الحق بأنفسهم لا من جهة الأنبياء. ثم يتأولون ما قالته الأنبياء على ما عندهم.

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٦٥

وطائفة تقول: فيما جاءت به الأنبياء متشابه لا يعلم معناه لا الأنبياء ولا غيرهم، ظنوا أن الوقف على قوله (وما يعلم تأويله إلا الله) (١) ، وأنه إذا كان الوقف على هذا فالمراد بالتأويل صرف اللفظ

---

(١) سورة آل عمران: ٧.." [١]

"الفلاسفة *) (١) ، ورأوا أن ما تواتر عن الرسل يخالفها فسلكوا طريقتهم الباطنية (٢) فقالوا: إن الرسل لم تبين العلم والحقائق التي يقوم عليها البرهان في الأمور العلمية، ثم منهم من قال: إن الرسل علمت ذلك وما بينته، ومنهم من يقول: إنها لم تعلمه وإنما كانوا بارعين في الحكمة العملية دون الحكمة العلمية، ولكن خاطبوا الجمهور بخطاب **تخييلي**، خيلت لهم في أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما ينفعهم اعتقاده في سياستهم، وإن كان ذلك اعتقادا باطلا لا يطابق الحقائق.

وهؤلاء المتفلسفة (٣) لا يجوزون تأويل ذلك؛ لأن المقصود بذلك عندهم **التخييل**، والتأويل يناقض مقصوده، وهم يقرون بالعبادات، لكن يقولون مقصودها إصلاح أخلاق النفس، وقد يقولون: إنها تسقط عن الخاصة العارفين بالحقائق، فكانت بدعة أولئك المتكلمين مما أعانت إلحاد هؤلاء الملحدين.

وقد بسط الكلام (٤) في كشف أسرارهم وبيان مخالفتهم لصريح المعقول وصحيح المنقول في غير هذا الموضع، وذكر أن المعقولات (٥) الصريحة موافقة لما أخبرت به الرسل لا تناقض ذلك، ونبهنا في مواضع على ما يستوجب الاستغناء عن الطرق الباطلة [المبتدعة] (٦) وما به يعلم

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من (ا) ، (ب) .

(٢) ن: طريقتهم الفاسدة الباطلة؛ م: طريقتهم الباطلة.

(٣) ن، م: الفلاسفة.

(٤) ن: وقد بسط في الكلام.

(٥) ن: المفعولات، وهو تحريف.

(٦) المبتدعة: زيادة في (ا) ، (ب) .." [٢]

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٥/٢٩٠

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٣٢٢

"وأولئك المتفلسفة أبعد عن معرفة الملة من أهل الكلام *) (١) ، فمنهم من ظن أن ذلك من الملة، ومنهم من كان أخبر بالسمعيات من غيره، فجعلوا يردون من كلام المتكلمين ما لم يكن معهم فيه سمع، وما كان معهم فيه سمع كانوا فيه على أحد قولين: إما أن يقروه باطنا وظاهرا إن وافق معقولهم، وإلا ألحقوه بأمثاله وقالوا: إن الرسل تكلمت به (٢) على سبيل التمثيل **والتخييل** للحاجة.

وابن رشد ونحوه يسلكون هذه الطريقة، ولهذا كان هؤلاء أقرب إلى الإسلام من ابن سينا وأمثاله، وكانوا في العمليات أكثر محافظة لحدود الشرع من أولئك الذين يتركون واجبات الإسلام ويستحلون محرماته، وإن كان في كل من هؤلاء من الإلحاد والتحريف بحسب ما خالف به الكتاب والسنة، ولهم من الصواب والحكمة بحسب ما وافقوا فيه ذلك.

ولهذا كان ابن رشد في مسألة حدوث العالم ومعاد الأبدان مظهرا للوقف ومسوغا للقولين، وإن كان باطنه إلى قول سلفه أميل. وقد رد على أبي حامد في " تهافت التهافت " ردا أخطأ في كثير منه، والصواب مع أبي حامد، وبعضه جعله من كلام ابن سينا لا من كلام سلفه، وجعل الخطأ فيه من ابن سينا، وبعضه استطال فيه على أبي حامد ونسبه فيه إلى قلة الإنصاف؛ لكونه بناه على أصول كلامية فاسدة، مثل كون الرب لا يفعل شيئا بسبب ولا لحكمة، وكون القادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح، وبعضه حار فيه جميعا لاشتباه المقام.

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من (م) فقط.

(٢) به: ساقطة من (ا) ، (ب) .." (١)

"أن هذه الأسماء عامة كلية - (١ سواء سميت متواطئة أو مشككة ١) (١) - ليست ألفاظا (٢) مشتركة اشتراكا لفظيا فقط. وهذا مذهب المعتزلة والشيعة والأشعرية والكرامية، وهو مذهب سائر المسلمين: أهل السنة والجماعة والحديث وغيرهم، إلا من شذ (٣) .

وأما الشبه التي أوقعت هؤلاء (٤) ، فجوابها من وجهين: تمثيل **وتخييل** (٥) . أما التمثيل فأن يقال: القول في لفظ " الوجود " كالقول في لفظ " الحقيقة " و " الماهية " و " النفس " و " الذات "، وسائر الألفاظ التي تقال على الواجب والممكن، بل تقال على كل موجود.

فهم إذا قالوا: يشتركان في الوجود، ويمتاز أحدهما عن الآخر بحقيقته.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٥٦/١

(٦ قيل لهم: القول في لفظ " الحقيقة " كالقول في لفظ " الوجود "، فإن هذا له حقيقة وهذا له حقيقة، كما أن لهذا وجودا ولهذا وجودا، وأحدهما يمتاز عن الآخر بوجوده المختص به، كما هو ممتاز عنه بحقيقته ٦) (٦) التي تختص به فقول القائل: إنهما يشتركان (٧) في مسمى الوجود، ويمتاز كل

---

(١) (١ - ١) سقطت " سميت " من (ب) ، (أ) . وفي (ن) : سواء كانت هذه الأسماء متواطئة أو كانت مشكلة.

(٢) ألفاظا: ساقطة من (ع) .

(٣) عبارة " إلا من شذ " ليست في (ع) .

(٤) ب، أ: وأما الشبهة التي وقعت لهؤلاء ؛ ن، م: وأما الشبهة التي أوقعت هؤلاء.

(٥) ب، أ، م: وتحليل.

(٦) : (٦ - ٦) ساقط من (ب) ، (أ) ، وهو في (ع) ، (ن) ، (م) ولكن بعض كلماته في (ن) ، (م) محرفة.

(٧) ن، م، أ: مشتركان.." [١]

"اعلم أن إجراء هذا الحديث ونحوه على ظاهره محال على الله لأدلة عقلية ونقلية تقتضي رده وضعفه أو تأويله لا محالة

فإذا امتنع رده للإتفاق على صحته تعين وجوب تأويله بما يليق بحلال الله تعالى وبصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق الرواة

أما لفظ القدم فقال الحسن القدم ههنا هم الذين تقدم علم الله بأنهم من أهل النار وقال النضر بن شميل الذين قدمهم الله وقدرهم لها من شرار خلقه وقال النضر بن شميل هم الكفار وقال الأزهري القدم الذين تقدم القول عليهم بتخليدهم فيها نعوذ بالله منها فالقدم اسم لما قدم والهدم لما هدم والقبض اسم لما قبض ومنه قوله تعالى ﴿أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ أي ما قدموه من صالح العمل

وقيل القدم جمع قادم كغيب جمع غائب ويؤيد ما قالوه قوله في تمام الحديث وأما الجنة فينشيء الله لها خلقا فاتفق المعنى في الدارين وهو أن كل واحدة منهما تمد بزيادة من أهلها تمتلىء بها وأما رواية رجله فهو إما من تخييل الراوي رواه بالمعنى فأخطأ فيه وإما أن الرجل عبارة عن جمع كثير كقولهم رجل من جراد

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٥٨٧

إذا كان كثيرا منتشرا ومعناه يضع فيها خلقا كثيرا يشبهون الجراد في كثرتهم وأما من جعل القدم والرجل صفة زائدة لا ندرى ما هي فقد تقدم الكلام فيه." (١)

"وأما الكتب فليس لله عندهم كلام أنزله إلى الأرض بواسطة الملك، فإنه ما قال شيئا، ولا يقول، ولا يجوز عليه الكلام. ومن تقرب إليهم ممن ينتسب للمسلمين يقول: الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية، فتصورت تلك المعاني، وتشكلت في نفسه بحيث توهم أصواتا تخاطبه، وربما قوي الوهم حتى يراها أشكالا نورانية تخاطبه، وربما قوي ذلك حتى يخيلها لبعض الحاضرين، فيرونها ويسمعون خطابها، ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج.

وأما الرسل والأنبياء فللنبوة عندهم ثلاث خصائص، من استكملها فهو نبي:

أحدها: قوة الحدس، بحيث يدرك الحد الأوسط بسرعة.

الثانية: قوة التخيل **والتخييل**، بحيث يتخيل في نفسه أشكالا نورانية تخاطبه، ويسمع الخطاب منها، ويخيلها إلى غيره.

الثالثة: قوة التأثير بالتصرف في هيولى العالم. وهذا يكون عنده بتجرد النفس عن العلائق، واتصالها بالمفارقات، من العقول والنفوس المجردة.

وهذه الخصائص تحصل بالاكتساب. ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء كابن سبعين، وابن هود، وأضرابهم. والنبوة عند هؤلاء صنعة من الصنائع، بل من أشرف الصنائع، كالسياسة، بل هي." (٢)

"المطلب الثاني: أهل الكلام

وأما أهل الكلام فقد شاركوا الفلاسفة في بعض أصولهم، وأخذوا عنهم القواعد المنطقية والمناهج الكلامية، وتأثروا بها إلى درجة كبيرة.

وسلكوا في تقرير مسائل الاعتقاد المسلك العقلاني على حد زعمهم، وهم وإن كانوا يخالفون الفلاسفة في قولهم إن هذه الحقائق مجرد وهم وخيال، إلا أنهم شاركوهم في تشويه كثير من الحقائق الغيبية، فلا تجد في كتب أهل الكلام على اختلاف طوائفهم تقريرا لمسائل الاعتقاد كما جاءت بها النصوص الصحيحة، فبدل أن تسمع أو تقرأ "قال الله" أو "قال رسوله صلى الله عليه وسلم" أو "قال الصحابة"، فإنك لا تجد في كتبهم إلا "قال الفضلاء"، "قال العقلاء"، "قال الحكماء"، ويعنون بهم فلاسفة اليونان من الوثنيين،

---

(١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ابن جماعة، بدر الدين ص/١٦٠

(٢) العرش للذهبي الذهبي، شمس الدين ١/٤٥

فكيف جاز لهم ترك كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والأخذ بكلام من لا يعرف الله ولا يؤمن برسوله؟!

والمطلع على كتب أهل الكلام يدرك عظم الضرر الذي جنته على الأمة المسلمة، إذ تسببت تلك الكتب في حجب الناس عن المعرفة الصحيحة لله ورسوله ولدينه، وجعل بدل ذلك مقالات التعطيل والتجهيل **والتخييل**.

وأهل الكلام ليسوا صنفا واحدا بل هم عدة أصناف، وهم:." (١)

"(فيا ذا اعتزال هل شيوخك مثلهم ... تفاخرنا بل أنت عن مثلهم خلي)

(فما حجة الإسلام مع شيخه أبي ... المعالي واستاذ الهدى طب معضل)

(ككعبي ضلالات ونظام بدعة ... وجبائي الزيغ الضليل المضلل)

(ثلاثتكم إن بارزوا كثلاثة ... دعوا لبراز يوم بدر معجل)

(فما لبثوا إذ ذاك إلا هنيهة ... وحان حلول المستحق المؤجل)

(بأيدي ضراغيم ضوارم ثلاثة ... قد انصرفت عن رب قرب مجدل)

(ضراغيمنا في كل أرض شهيرة ... بغاباتها من حولها نشو أشبل)

(وأقمارنا في كل أفق منيرة ... بها يهتدى في كل سهل وأجبل)

(زهت في سما عليا مناهج وافقت ... عقائدها حقا بها لم أطول)

(سوى عشرة من شافعيات منهج ... وبضع منيرات زواهر كمل)

(وبدري هدى في المالكيات رابع ... بتجديد دين والقريشي المفضل)

(وبدرين منها شاهدين لبدرنا ... بمجد وسعد جامع اليمن مقبل)

(بدور كلا النهجين زاه بهاؤها ... بأنوارها ظلما الضلالات تنجلي)

(وفي حنفيات لطيف سحابة ... أتاها من التكوين غير مبدل)

(وفي حشويات كسوفان أظلما ... وعن نهجها حاشي الإمام ابن حنبل)

(هما جهة ما بين شمس وبينها ... تحول وحرف في الكلام المنزل)

(ورامد أصوات وبحة قارئ ... وحرفا كلام الله والعرش يحلل)

(ونهج اعتزال مع سواهم كلامه ... تبارك مخلوق بجسم مقول)

---

(١) العرش للذهبي الذهبي، شمس الدين ٤٨/١

(أرادوا بصوت مع حروف منطقا ... لها بافتراء منهم وتقول)

(فقالوا كلام الجسم ذاك مصرحا ... ولا ينسبوه قط للواحد العلي)

(وليس لكم عن ذا محيص ولا لكم ... خلاص بما جئتم به من تخيل)

(فقلتم كلام في جماد فجئتم ... **بتخييل** فرق موهم ذا تخيل)

(وما روم تدليس علينا بجائز ... فما بينه والحي فرق مفصل)

(فما خلق إدراك وقدرة منطق ... له بمحال لا ولا ذا بمشكل)

(فما الأصل في الأشياء إلا خفية ... فان لا دليل ليس غير مبطل)

(تسبح كل الكائنات بحمده ... ودعوى مجاز فيه قول لمبطل)." (١)

"من ضروب الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله الله تعالى من صورة إلى صورة فيقال إنه قادر على التصوير **والتخييل** على معنى أنه قادر على قول إذا قاله وفعله نقله الله تعالى عن صورته إلى صورة أخرى يجري العادة وأما أنه يصور نفسه فذلك محال لأن انتقالها من صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء وإذا انتقضت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها القول في تشكيل الملائكة مثل ذلك قال والذي روى أن إبليس تصور في صورة سراقة بن مالك وأن جبريل تمثل في صورة دحية وقوله تعالى ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾ محمول على ما ذكرنا وهو أنه أقدره الله تعالى على قول قاله فنقله الله تعالى من صورته إلى صورة أخرى قلت روى أبو بكر بن ابي الدنيا في كتاب مكايد الشيطان فقال حدثنا ابو خيثمة حدثنا هشيم عن الشيباني عن يسير بن عمرو قال ذكرنا الغيلان عند عمر فقال إن أحدا لا يستطيع أن يتغير عن صورته التي خلقه الله تعالى عليه ولكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا رأيتم ذلك فأذنوا

حدثنا محمد بن يزيد الآدمي حدثنا معن بن عيسى عن جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيلان قال هم سحرة الجن ورواه ابراهيم بن هراثة عن جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد عن جابر ووصله

حدثنا محمد بن إدريس حدثنا أحمد بن يونس حدثنا أبو شهاب عن يونس عن الحسن عن سعد بن أبي وقاص قال أمرنا إذا رأينا الغول أن ننادي بالصلاة

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي حدثنا أحمد ابن بكار بن أبي ميمونة حدثنا غياث

---

(١) مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة اليافعي ص/٣٧

عن خصيف عن مجاهد قال كان الشيطان لا يزال يتزين لي إذا قمت إلى الصلاة في صورة ابن عباس قال." (١)

"فذكرت قول ابن عباس فجعلت عندي سكينا فتزين لي فحملت عليه فطعنته فوقع وله وجبة فلم أره بعد ذلك وذكر العتبي أن ابن الزبير رأى رجلا طوله شبران على بردعة رحله فقال ما أنت قال إزب قال وما إزب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود السوط حتى ناص أي هرب (إزب بكسر الهمزة وإسكان الزاي وقد قال كثير من الناس إن الملائكة والجن إنما توصف بأنها قادرة على التمثل والتصور على معنى أنها تقدر على تخييل وفعل ما يتوهم عنده انتقالها عن صورها فيدرك الراؤون ذلك تخييلا ويظنون أن المرائي ملك أو شيطان وإنما ذلك خيالات واعتقادات يفعلها الله تعالى عند فعل البشر للناظرين فأما أن ينتقل أحد من صورته على الحقيقة إلى غيرها فذلك محال

فصل قد قدمنا أن مذهب المعتزلة أن الجن أجسام رقاق ولرقتها لا نراها وعندهم يجوز أن يكثف الله اجسام الجن في زمان الانبياء دون غيره من الازمنة وأن يقويهم بخلاف ما هم عليه في غير أزمانهم قال القاضي عبد الجبار ويدل على ذلك ما في القرآن الكريم من قوله تعالى في قصة سليمان بن داود عليهما السلام إنه كثفهم له حتى كان الناس يرونهم وقواهم حتى كانوا يعملون له الاعمال الشاقة من المحاريب والتماثيل والجفان والقدور الراسيات والمقرن في الاصفاد لا يكون إلا جسما كثيفا ثم قال بعد ذلك وأما أقداره إياهم وتكثيف أجسامهم في غير أزمان الانبياء فإنه غير جائز لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون نقضا للعادة قال أبو القاسم بن عساكر في كتاب سبب الزهادة في الشهادة وممن ترد شهادته ولا تسلم له عدالته من يزعم أنه يرى الجن عيانا ويدعي أن له منهم." (٢)

"تشتمل على شرك وكفر لا تجوز العزيمة به والقسم فهم كثيرا يعجزون عن دفع الجني وكثيرا ما تسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل الجني الصارع للإنسي أو حبسه فيخيلون إليهم أنهم قتلوه أو حبسوه ويكون ذلك تخييلا وكذبا هذا إذا كان يرى ما يخيلونه صادقا الرؤية فإن عامة ما يعرفونه لمن يريدون تعريفه إما بالمكاشفة والمخاطبة إن كان من جنس عباد المشركين وأهل الكتاب ومبتدعة المسلمين الذين تصلهم الجن والشياطين وإما بما يظهرونه لأهل العزائم والإقسام أنهم يمثلون ما يريدون تعزيمه فإذا أراه المثال أخبر عن ذلك وقد يعرف أنه مثال وقد يوهمونه أنه نفس المرئي وإذا أرادوا سماع كلام من يناديه من مكان بعيد

---

(١) آكام المرجان في أحكام الجان الشبلي ص/٤١

(٢) آكام المرجان في أحكام الجان الشبلي ص/٤٢

مثل من يستغيث ببعض العباد الصالحين من المشركين وأهل الكتاب وأهل الجهل من عباد المسلمين إذا استغاث به بعض محبيه فقال يا سيدي فلان فإن الجني يخاطبه بمثل صوت ذلك الإنسي فإن رد الشيخ عليه الخطاب أجاب ذلك الإنسي بمثل ذلك الصوت قال الشيخ أبو العباس وهذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادي المستغاث به إذا كان ميتا وكذلك قد يكون حيا ولا يشعر بالذي ناداه بل يتصور الشيطان بصورته فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه وإنما هو الشيطان وهذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون به الظن من الأموات والأحياء كالنصارى المستغيثين بجرجس وغيره من قداديسهم ويقع لأهل الشرك والضلال الذين يستغيثون بالموتى والغائبين يتصور لهم الشيطان في صورة ذلك المستغاث به وهو لا يشعر قال أبو العباس وأعرف عددا كثيرا وقع لهم في عدة أشخاص يقول لي كل من الأشخاص إني لم أعرف أن هذا المستغاث به والمستغيث قد رأى ذلك الذي هو على صورة هذا وما اعتقد أنه إلا هذا وذكر لي غير واحد أنهم استغاثوا بي كل يذكر قصة غير قصة صاحبه فأخبرت كلا منهم أني لم أجب أحدا منهم ولا علمت باستغاثته فقيل فيكون ملكا فقلت الملك لا يغيث مشركا إنما هو شيطان اراد ان يضله وكذلك يتصور بصورته ويقف بعرفات ليظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات وكثير منهم يحمله الشيطان إلى." (١)

"وقوة **التخييل**، ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة، وهي الملائكة عندهم! وليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وترى وتخاطب الرسول، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان.

وأما اليوم الآخر، فهم أشد الناس تكذيبا به وإنكارا له، وعندهم أن هذا العالم لا يخرب، ولا تنشق السماوات ولا تنفطر، ولا تنكدر النجوم، ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم ويبعثون إلى جنة ونار! كل هذا عندهم أمثال مضروبة لتفهيم العوام، لا حقيقة لها في الخارج، كما يفهم منها أتباع الرسل. فهذا إيمان هذه الطائفة - الذليلة الحقيرة - بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وهذه هي أصول الدين الخمسة.

[أصول المعتزلة الخمسة]

وقد أبدلتها المعتزلة بأصولهم الخمسة التي هدموا بها كثيرا من الدين: فإنهم بنوا أصل دينهم على الجسم

---

(١) آكام المرجان في أحكام الجان الشبلي ص/١٥٤

والعرض، الذي هو الموصوف والصفة عندهم، واحتجوا بالصفات التي هي الأعراض، على حدوث الموصوف الذي هو الجسم، وتكلموا في التوحيد على هذا الأصل، فنفوا عن الله كل صفة، تشبيها بالصفات الموجودة في الموصوفات التي هي الأجسام، ثم تكلموا بعد ذلك في أفعاله التي هي القدر، وسموا ذلك العدل، ثم تكلموا في النبوة والشرائع والأمر والنهي والوعد والوعيد، وهي مسائل الأسماء والأحكام، التي هي المنزلة بين المنزلتين، ومسألة إنفاذ الوعيد، ثم تكلموا في إلزام الغير بذلك، الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه جواز الخروج على الأئمة بالقتال. فهذه أصولهم الخمسة، التي وضعوها بإزاء أصول الدين الخمسة التي بعث بها الرسول.." (١)

"لهم في أنه من باب **التخييل** والخطاب الجمهوري.

والقرآن بين معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع. وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد صلى الله عليه وسلم على طريق **التخييل**! وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام.

وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم، فقال تعالى: ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين - قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ [الأعراف: ٢٤ - ٢٥]

[الأعراف: ٢٤ - ٢٥] . ولما قال إبليس اللعين: ﴿رب فأنظرني إلى يوم يبعثون - قال فإنك من المنظرين - إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [ص: ٧٩ - ٨١]

[ص: ٧٩ - ٨١] .

وأما نوح عليه السلام فقال: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا - ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾ [نوح: ١٧ - ١٨]

[نوح: ١٧ - ١٨] .

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء: ٨٢] . إلى آخر القصة. وقال: ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ [إبراهيم: ٤١] . وقال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ [البقرة: ٢٦٠] الآية، [البقرة: ٢٦٠] .

وأما موسى عليه السلام، فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٢/٤٠٣

تسعى - فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ [طه: ١٥ - ١٦]
[طه: ١٥ - ١٦] .

بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وإنما آمن بموسى، قال." (١)

"الجن له، أو يدعي الحال من أهل المحال، من المشايخ النصابين، والفقراء الكذابين، والطرقية المكارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس. وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات، أو يطلب تغيير شيء من الشريعة، ونحو ذلك. ونوع يتكلم في هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة، بأنواع السحر. وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر، كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثور عن الصحابة، كعمر وابنه وعثمان وغيرهم. ثم اختلف هؤلاء: هل يستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسحر؟ أم يقتل لسعيه في الأرض بالفساد؟ وقال طائفة: إن قتل بالسحر قتل، وإلا عوقب بدون القتل، إذا لم يكن في قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعي، وهو قول في مذهب أحمد رحمهما الله.

[التنازع في حقيقة السحر وأنواعه]

وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه: والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد **تخييل**.

واتفقوا كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة، أو غيرها، أو خطابها، أو السجود لها، والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك - فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب." (٢)

"قال طائفة من السلف: من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى. فلهذا تجد أكثر المنحرفين من أهل الكلام، من المعتزلة ونحوهم - فيه شبه من اليهود، حتى أن علماء اليهود يقرءون كتب شيوخ المعتزلة، ويستحسنون طريقتهم، وكذا شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود ويرجحونهم على النصارى. وأكثر المنحرفين من العباد، من المتصوفة ونحوهم - فيهم شبه من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد ونحو ذلك. وشيوخ هؤلاء يذمون الكلام وأهله، وشيوخ أولئك يعيبون طريقة هؤلاء ويصنفون في ذم السماع والوجد وكثير من الزهد والعبادة التي

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٢/٥٩٠

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٢/٧٦٤

أحدثها هؤلاء.

[لفرق الضلال طريقتان في الوحي]

ولفرق الضلال في الوحي طريقتان: طريقة التبديل، وطريقة التجهيل. أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل.

فأهل الوهم والتخييل، هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن." (١)

"وأخرجا من حديث ابن عمر: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى " (١). وهذا مثل الآية على التمثيل والتخييل. انتهى.

وقال قبل هذا: وقال ابن عباس: الأرض والسماوات كلها بيمينه.

وقال سعيد بن جبير: السماوات قبضة، والأرض قبضة. انتهى بحروفه. وفيه التصريح بتصحيح البخاري ومسلم، إذ لا طريق له إلى تصحيح هذه الأخبار إلا ذلك، لتصريحه (٢) بتعذر معرفة (٣) ذلك في عصره، وفيه الرواية عن أبي هريرة، وتصحيحه حديثه، وفيه تصحيح مثل هذا من المتشابه، وقد وهم في إيهامه أن الرواية " يطوي السماء " من دون جمع، فإن الرواية " السماوات " رواه البخاري في التفسير، وفي التوحيد (٤)، ذكره المزي في ترجمة عبد الرحمان بن خالد، عن الزهري،

= الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

وأخرجه البخاري (٦٥١٩) من طريق محمد بن مقاتل، عن عبد الله بن المبارك، عن يونس، عن أبي سلمة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة.

ونقل ابن خزيمة في " التوحيد " ص ٧١ عن محمد بن يحيى الذهلي أن الحديثين محفوظان يعني عن سعيد وأبي سلمة.

قال الحافظ في " الفتح " ١٣/ ٣٦٧: وصنيع البخاري يقتضي ذلك، وإن كان الذي تقتضيه القواعد ترجيح رواية شعيب لكثرة من تابعه، لكن يونس كان من خواص الزهري الملازمين له.

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (٣٧٨٨)، وأبو داود (٤٧٣٢)، وابن أبي عاصم (٥٤٧) من طرق عن عمر بن حمزة، عن سالم بن عبد الله، عن ابن عمر.

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٢/٨٠١

وأخرجه البخاري (٧٤١٢) من طريق عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، بلفظ: " إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه " وانظر " الفتح " ١٣/ ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٢) في (ش): للتصريح.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) في الأصول: " ومالك في التوحيد "، وهو خطأ، فالحديث لم يروه مالك، =." (١)

"تفسير سورة الزمر في تفسير قوله تعالى منها: ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] ما لفظه: وجاء في الحديث الصحيح ما يوافق الآية، من ذلك ما خرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة:

" يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ " (١).

وأخرجاه من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى " (٢) وهذا مثل الآية على التمثيل **والتخييل**. انتهى بحروفه.

فإذا جاز عنده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، المبين للقرآن، يأتي بمثل هذا المتشابه عند نزول المتشابه، فيزيده إشتباها، ويسمعه عامة أمته، ولا يشمهم رائحة التأويل، فأي شيء أنكر روايته بعد تصحيح مثل هذا على المحدثين؟! فالله المستعان.

المقدمة الثانية: أن التأويل المتعسف مردود متى علم باليقين أنه تأويل متعسف، ولم يكن مما يحتمل، وفي هذه المقدمة نكتة لطيفة، وذلك أنه قد يأتي بعض البلداء، فيطلب التأويل، فيقع ذهنه على تأويل ضعيف متعسف، فيحسب أنه لا تأويل للحديث إلا ذلك، ويستدل على بطلان الحديث بأن ذلك التأويل متعسف، وما كان تأويله متعسفا، فهو مردود، ولم يشعر المسكين أن حكمه بأن ذلك التأويل متعسف صحيح، ولكن لا يلزم منه أنه لا تأويل للحديث سواه، فإنه يمكن أن للحديث تأويلا صحيحا، وأنه (٣) لم يعرفه، فإن منتهى الأمر أنه طلب، فلم يجد، لكن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود.

وكذلك إذا وجد بعض شراح الحديث من الأشاعرة وغيرهم، قد يؤول

---

(١) تقدم تخريجه ٣/ ١١٣.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ١١٤/٣

(٢) تقدم تخريجه ٣/ ١١٤.

(٣) في (ش): " وإن ".." [(١)]

"تسعى﴾ [طه: ٦٦]، وهذا -مع نص القرآن عليه- معلوم من أحوال السحرة وخواص السحر، وفيه ما يدل على جواز وجود الشيء في قوة البصر على سبيل التخيل، وإن لم يكن له وجود حقيقي في حال الصحة واليقظة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾، فإن فيه أنه من (١) رآها يخيل إليه أنها تسعى، وفيه أنها غير ساعية في الحقيقة، ولهذا سماه **تخييلا**، ومنه قوله تعالى: ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾ [مريم: ١٧]، ومنه تصور الملائكة لقوم لوط على صور شباب حسان، وتمثل جبريل للنبي - صلى الله عليه وسلم - على صورة دحية الكلبي مرة (٢)، وعلى صورة أعرابي مرة (٣)، وإلى ذلك أشار ابن الفارض في قوله (٤):

يرى ملكا يوحى إليه، وغيره ... يرى رجلا يوحى إليه بصحبة

وفي الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر ... ولم أعد عن حكمي كتاب وسنة

والصحيح: أن صورة جبريل العظيمة لم تحول عما هي عليه.

الحجة الثانية: قوله عليه السلام: " تنام عيناي ولا ينام قلبي " (٥). فإذا ثبت أن قلبه لا ينام، فإنه يتخيل له في النوم ما لا حقيقة له، كما يخيل له عليه السلام أن في سيفه ثلمة في وقعة أحد، وتمثلت له بقر مذبحة (٦)، ونحو ذلك مما لا

---

(١) " من " ساقطة من (د) و (ف).

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ١٠٧، والنسائي في العلم من " الكبرى " كما في " التحفة " ٥/ ٤٤٤ من حديث ابن عمر، وصحح إسناده الحافظ في " الإصابة " ١/ ٤٦٣.

وأخرجه النسائي ٨/ ٤٠٣ من حديث أبي ذر وأبي هريرة بإسناد صحيح. وأخرجه أحمد ٦/ ١٤٨ و١٥٢، والطبراني في " الكبير " ٢٣/ (٨٥) من حديث عائشة، وفيه عبد الله بن عمر العمري، وهو ضعيف.

(٣) انظر ٥/ ٥٠٥.

(٤) " ديوانه " ص ٦٠.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٢٦٢/٨

(٥) تقدم تخريجه ١/ ١٧٦.

(٦) أخرج البخاري (٣٠٤١) و (٣٦٢٢) و (٤٠٨١) و (٧٠٣٥)، ومسلم (٢٢٧٢)، =." [1]

"المطلع؟ فإنه عند العلماء بجلال الله أعظم من اندكاك جبل، وهذا الاحتمال أيضا يمكن فيه حالان:

أحدهما: أن يكون الملك أتاه وقد تغير عقله من غمرات الألم، وسكرات النزاع (١).

وثانيهما: أن يكون إنما تغير عقله حين فاجأه على غفلة وصرح له بالنقلة من دار العمل والخروج إلى دار الجزاء.

وأما ما ورد من أنه فقأ عين الملك عليه السلام، فقال ابن قتيبة (٢): أذهب موسى العين التي هي **تخييل** وتمثيل، وليست على حقيقة خلقته، وعاد ملك الموت إلى حقيقة خلقته الروحانية كما كان (٣) لم ينقص (٤) منه شيء.

وذكر ابن كثير في الأول من " البداية والنهاية " (٥) في ذكر وفاة موسى عن أحمد بن حنبل أنه قال (٦): [حدثنا الحسن]، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو يونس يعني سليم بن جبير، عن أبي هريرة. قال أحمد: لم يرفعه، وساق الحديث أن الله رد عين الملك ثم رواه أحمد من طريق أخرى، فقال (٧): حدثنا يونس، حدثنا حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - هكذا رفعه يونس بنحو ذلك، ورواه مع يونس أمية بن خالد، فلم يرفعه، ولا (٨) ذكر أن الله رد عينه، وإسنادهما إلى أبي هريرة واحد.

قال أحمد: رواه عنهما معا عن حماد بالسند، وقد وافق يونس على رفعه أبو كريب، عن مصعب بن المقدام. رواه ابن جرير (٩).

---

(١) في (ش): " النزاع ".

(٢) في " تأويل مختلف الحديث " ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٣) "كان " ساقطة من (ف).

(٤) في (ف): " ينتقص ".

(٥) ١/ ٢٩٥ و٢٩٧.

(٦) في " المسند " ٢/ ٣٥١.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٨/٢٩٣

(٧) ٢/ ٥٣٣.

(٨) " لا " ساقطة من (ف).

(٩) في " تاريخ الأمم والملوك " ١/ ٤٣٤.." [1]

"ومنه ما رواة الترمذي (١) من حديث عبد الرحمن بت عائش – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((أتاني ربي في هذه الليلة فقال لي: أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى)) ، فقد جاء في الحديث ما يدل على أن هذا كان في المنام، فهذا كله متعلق بالمنام.

وأما ما ورد من ذلك عن النبي صريحا في اليقظة، وهو على سبيل التخيل؛ فلا أعلم أهل الحديث ذكروا من ذلك شيئا، إلا ما ذكره ابن قتيبة في حديث موسى – عليه السلام – وأنه فقأ عين ملك الموت – عليه السلام – كما سيأتي تحقيقه. قال ابن قتيبة (٢): ((أذهب موسى العين التي هي **تخييل** وتمثيل وليست حقيقة خلقته، (٢وعاد ملك الموت إلى حقيقة خلقته (٣) الروحانية كما كان لم ينقص منه شيء)) فهذا أكثر ما وجدت لأهل الحديث من التأويل بهذا الوجه، مع أنه لم يجعله من صريح هذا الوجه ولو جعله منه لقال: إن موسى في الحقيقة ما فقأ عينا قط، وإنما خيل إليه ذلك، فإن كان قصد هذا فقصرت عبارته عن مراده.

وقد جاء في الأحاديث ما هو صريح في جواز وقوع هذا الوجه، ولكنه ورد على جهة التصريح من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا على جهة التأويل

---

(١) ((الجامع)): (٥/ ٣٤٣) ، وقال عقبه: ((هذا حديث حسن صحيح. سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن صحيح ....)) اهـ.

(٢) ((تأويل مختلف الحديث)): (ص/١٨٧).

(٣) ما بينهما ساقط من (س).." [2]

"الخدمة لله تعالى، وبلوغ أقصى المراتب في ذلك، والآخرة دار انقطاع من ذلك، فارتاع موسى – عليه السلام – لذلك، ويحتمل غير ذلك مما يحتاج إلى تأويل بعض ألفاظ الحديث فتركته اختصارا.

وأما ما ورد من أنه فقأ عين الملك فقال ابن قتيبة (١): ((أذهب موسى العين التي هي **تخييل** وتمثيل

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٨/٣٧١

(٢) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم – صلى الله عليه وسلم – ابن الوزير ٢/٤٢٩

وليست على حقيقة خلقته، وعاد ملك الموت إلى حقيقة خلقته الروحانية كما كان لم ينقص منه شيء)).
والوجه في الحديث عندي هو الأول، وإنما ذكرت الوجه الثاني لبيان سعة المحامل لمن طلبها، وتعريف المعترض ببطلان ما توهم من عدم إمكان تأويل هذا الحديث.

* * *

---

(١) ((تأويل مختلف الحديث)): (ص/١٨٧).." [(١)]

"ابن زرارة١ الأنصاري رضي الله عنه فإنهم شرعوا يقولون **تخييلا** لبعض الضعفاء: لو كان نبيا ما مات صاحبه. فكان النبي -صلى الله عليه وسلم-[يقول] : "بئس الميت أبو أمامة ليهود، يقولون: كذا، والله ما أملك لنفسي ولا لصاحبي شيئا٢" وتسنن٣ بالكفرة في قولهم ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين [هم] أراذلنا﴾ [هود: ٧٧] ، ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا، وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا، قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾ [مريم: ٧٣-٧٥] ونحو ذلك من الآيات، ومتى مال الإنسان نحو **تخييلهم**، كان كمن قال الله تعالى فيه: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به [وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين] ﴾ [السجدة: ١١] .

من آيات ثبات الإيمان في القلب

مع أن الكتاب والسنة ناطقان بأن علامة صحة الإسلام في القلب المصائب٤ قال الله تعالى: ﴿الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت: ١، ٢] الآيتين، وقال الله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء،

---

١ من أول الأنصار إسلاما، ويقال: إنه أول من بايع ليلة العقبة، وكان نقيب قبيلته بني النجار، وأول من صلى الجمعة بالمدينة في هزمة من حرة بني بياض، يقال له: نقيع الخضمات، وكانوا أربعين رجلا. مات أسعد رضي الله عنه -والمسجد يبنى- في السنة الأولى من الهجرة في شوال قبل بدر "أسد الغابة، والإصابة".

٢ هذا لفظه في سيرة ابن هشام. أما في أسد الغابة "بئس الميتة ليهود!! يقولون: أفلا دفع عن صاحبه؟ وما

---

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم - ابن الوزير ٢/٤٨٠

أملك له، ولا لنفسي شيئا".

٣ معطوفة على قوله قبل: تشبه باليهود.

٤ يعني الصبر عليها.." (١)

"ولم تأمر الملائكة ولده بإعادة غسله، وبأن سعدا لما مات أسرع عليه السلام في المشي إليه فقيل له، فقال:) خشيت أن تسبقنا الملائكة إلى غسله كما سبقتنا إلى غسل حنظلة (قال: فيدل أنها لو لم تغسل حنظلة لغسله، ولكن غسلها قام مقام غسله وأنها لو سبقت إلى سعد سقط فرض الغسل، وإلا لم يبادر لأنه كان يمكنه غسله بعد غسلهم له وكذا ذكره بمعناه صاحب المحرر وغيره.

مسألة:

قال القاضي أبو يعلى الحنبلي: لا قدرة للجن على تغيير خلقهم والإنتقال في الصور، وإنما يجوز أن يعلمهم الله كلمات وضربا من ضروب الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله الله من صورة إلى صورة، فيقال: إنه قادر على التصوير **والتخييل** على معنى أنه قادر على قول إذا قاله وفعله نقله الله عن صورة إلى صورة إنما يكون بنقص البنية وتفريق الأجزاء وإذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها قال: والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك، والذي ورد أن إبليس تصور في صورة سراقة وأن جبريل تمثل في صورة دحية محمول على ما ذكرنا، وهو أنه أقدره الله على قول قاله فنقله الله من صورة إلى صورة أخرى. انتهى.

وقال إمام الحرمين: نزول جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم في هيئة رجل معناه: أن الله تعالى أفنى الزائد من خلقه أو أزاله عنه ثم يعيده إليه بعد.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: فإن قيل إذا أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية أين تكون روحه أم في الجسد الذي." (٢)

"فجد كل الجد في تصحيح سؤاله الذي هو محض تعنت وعناد وتمويه **وتخييل** ومغلطة على ما هو دأب هذه الطائفة كما ترى كلام هذا الملبس وإلا فرب العالمين أظهر من أن يخفى فيسأل عنه بماهيته أو غيرها

ثم استطرد إلى الشروع في قاعدته الخبيثة التي هي جل مقعده ومطمح نظره فقال وهنا سر كبير فإنه أجاب

---

(١) مصرع التصوف = تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد برهان الدين البقاعي ١٩٨/١

(٢) الحبائك في أخبار الملائك السيوطي ٢٦١/١

بالفعل لمن سأل عن الحد الذاتي فجعل الحد الذاتي عين إضافته إلى ما ظهر عنه من صور العالم أو ما ظهر فيه من صور العالم

فكأنه قال له في جواب قوله وما رب العالمين قال الذي يظهر فيه صور العالمين من علو وهو السماء وسفل وهو الأرض ﴿إن كنتم موقنين﴾ أو يظهر هو بها

أقول انظر إلى هذا التلبيس والإلحاد في آيات الله تعالى وهل يفهم أحد له أدنى لب من إضافة الرب إلى شيء ظهوره بصورة ذلك الشيء أو ظهور الشيء بصورته غاية ما يقال إنه ظهر وعرف بإضافته إلى الشيء وعرف الشيء بإضافته إليه

وكذلك سائر الاضافات فإنها من أسباب التعريف لا أن أحدهما صار عين الآخر

ثم قال فلما قال فرعون لأصحابه إنه لمجنون كما قلنا." (١)

"قال: وتعلمه وتعليمه عند مالك كفر.

وقالت الحنفية: إن اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر، وإن اعتقد أنه **تخييل** وتمويه لم يكفر. وقالت الشافعية: يصفه فإن وجدنا فيه كفرا كالتقرب للكواكب ويعتقد أنها تفعل فيلتمس منها فهو كفر، وإن لم نجد فيه كفرا، فإن اعتقد إباحته فهو كفر.

قال الطرطوشي: وهذا متفق عليه؛ لأن القرآن نطق بتحريمه، واحتج من لا يقول: إن تعلمه كفر، بأن تعلم الكفر ليس بكفر، فإن الأصولي يتعلم جميع أنواع الكفر ليحذر منه ولا يقدح في شهادته ومأخذه، فالسحر أولى أن لا يكون كفرا، ولو قال الإنسان: أنا تعلمت كيف يكفر بالله لأجتنبه، أو كيف الزنا أو أنواع الفواحش لأجتنبها لم يأثم.

قال القرافي: هذه المسألة في غاية الإشكال على أصولنا، فإن السحرة يعتمدون أشياء تأبى قواعد الشريعة أن نكفرهم بها كفعل الحجارة المتقدم ذكرها قبل هذه المسألة كذلك يجمعون عقاقير ويجعلونها في الأنهار والآبار أو في قبور الموتى أو في باب يفتح إلى الشرق، ويعتقدون أن الآثار تحدث عن تلك الأمور بخواص نفوسهم التي طبعها الله تعالى على الربط بينها وبين تلك الآثار عند صدق العزم، فلا يمكننا تكفيرهم بجمع العقاقير ولا بوضعها في الآبار ولا باعتقادهم حصول تلك الآثار عند ذلك للفعل؛ لأنهم جربوا ذلك فوجدوه لا يخرم عليهم لأجل خواص نفوسهم، فصار ذلك الاعتقاد كاعتقاد الأطباء عند شرب الأدوية وخواص النفوس، ولا يمكن التكفير بها لأنها ليست من كسبهم، ولا كفر بغير مكتسب.

---

(١) نعمة الذريعة في نصرة الشريعة إبراهيم الحلبي ص/١٩٠

وأما اعتقادهم أن الكواكب تفعل ذلك بقدرة الله فهذا خطأ؛ لأنها لا تفعل ذلك، وإنما جاءت الآثار من خواص نفوسهم التي ربط الله تعالى بها تلك الآثار." (١)

"انتهى باختصار وهو مجمل ما قدمنا فيما قررناه وتفصيله يعلم مما شرحناه فيما حررناه وقد سبق عن هذه المنكرات في كلام ابن عربي لا سبيل إلى صحته تأويلها فلا يستقيم اعتقاد أنه من أولياء الله مع اعتقاد صدور هذه الكلمات منه إلا باعتقاد أنها خلاف ما صدر عنه مما تقدم هنالك أو رجوعه إلى ما يعتقده أهل الإسلام في ذلك ولم يجيء بذلك عنه خبر ولا روي عنه أثر فذمه جماعة من أعيان العلماء وأكابر الأولياء لأجل كلامه المنكر وأما من أثنى عليه فلظاهر فضله وزهده وإيثاره واجتهاده في العبادة واشتهر عنه ذلك حتى عرفه جماعة من الصالحين عصرا بعد عصر فأثنوا عليه بهذا الاعتبار ثناءا إجماليا لا مدحا تفصيليا يشمل كلامه ويحوي مرامه وسبب ذلك أنهم لم يعرفوا ما في كلامه من المنكرات لاشتغالهم عنها بالعبادات والنظر في غير ذلك من كتب القوم لكونها أقرب لفهمهم مع ما وفقهم الله سبحانه لهم من حسن الظن ب المسلمين وظنوا أنه وأصحابه التابعين له من المؤمنين وأما ما يحكى في المنام من نهي ابن عربي عن ذمه وكذا ما يروى من صورة عذاب لمنكره فهو من تخييل النفوس أو تخويف الشياطين هذا وقد عاب تصوف ابن عربي بعض الصوفية الموافقين له في الطريقة الوجودية كعبد الحق بن سبعين وغيره ويا ويح من بالت عليه الثعالب وقد روى عن." (٢)

"نعمته عليه وقال بعضهم الضحك استعارة في حق الرب سبحانه لأنه لا يجوز عليه تغير الحالات والتعجب انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر خفي سببه وخرج عن نظائره ولهذا يقال إذا ظهر السبب بطل العجب فلا يطلق على الله أنه متعجب لأنه لا يخفى عليه شيء ولهذا قال شريح لما قرئ عنده ﴿بل عجبت﴾ بضم التاء إن الله لا يعجب من شيء إنما يعجب من لا يعلم قال الأعمش فذكرت ذلك لإبراهيم فقال إن شريحا كان يعجبه رأيه إن عبد الله يعني ابن مسعود كان أعلم من شريح وكان يقرؤها عبد الله ﴿بل عجبت﴾ يعني بضم التاء وكذلك قرأ الكوفيون إلا عاصما قالوا فالعجب من الله تعالى إما على الفرض والتخييل أو هو مصروف للمخاطب بمعنى أنه يجب أن يتعجب منه أو هو على معنى الإستعظام اللازم له فإنه روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء

وقيل إنه مقدر بالقول أي قل يا محمد بل عجبت وحينئذ فمعنى القراءتين واحد

---

(١) الإعلام بقواطع الإسلام ابن حجر الهيتمي ص/٢٢٤

(٢) الرد على القائلين بوحدة الوجود الملا على القاري ص/١٥٣

وقال المهدوي يجوز أن يكون إخبار الله عن نفسه بالعجب محمولا على أنه ظهر من أمره وسخطه على من كفر به ما يقوم مقام العجب من المخلوقين كما يخبر عنه تعالى بالضحك عمن رضي عنه بمعنى أنه أظهر له من رضاه عنه ما يقوم مقام الضحك من." (١)

"قال البيهقي المتقدمون من هذه الأمة لم يفسروا ما ورد من الآي والأخبار في هذا الباب مع اعتقادهم بأجمعهم أن الله واحد لا يجوز عليه التبعيض

قال وذهب بعض أهل النظر إلى أن اليمين يراد به اليد واليد لله صفة بلا جارحة فكل موضع ذكرت فيه من الكتاب أو السنة فالمراد بذكرها تعلقها بالمكان المذكور معها من الطي والأخذ والقبض والبسط والقبول والإنفاق وغير ذلك تعلق الصفة الذاتية بمقتضاه من غير مباشرة ولا مماسة وليس في ذلك تشبيه بحال وهذا مذهب الحنابلة

قال الخطابي وليس معنى اليد عندنا الجارحة وإنما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي إلى حيث انتهى بها الكتاب والأخبار الصحيحة وهو مذهب أهل السنة والجماعة

وقال بعض أهل التأويل كما في البيضاوي وغيره في الآية هو تنبيه على عظمته وكمال قدرته على الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل **والتخييل** من غير اعتبار القبضة واليمين لا حقيقة ولا مجازا." (٢)

"قال الزمخشري ولهذا أكده تأكيدا على طريق **التخييل** فقال ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ يرد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو يدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجرام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ النساء ٨٠ انتهى

قال ابن تيمية وكما في الصحيح ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث فأخبر سبحانه بمحبة العبد على هذا الوجه

قال وقد غلط من زعم أن هذا قرب النوافل وأن قرب الفرائض أن يكون هو إياه تعالى الله عن ذلك وعن قول القائلين إن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق تعالى الله عن ذلك

ومن المتشابه النفس في قوله تعالى ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ الأنعام ٥٤ وقوله ﴿واصطنعتك

---

(١) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات مرعي الكرمي ص/٧٣

(٢) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات مرعي الكرمي ص/١٥٥

لنفسي﴾ طه ٤١ وقوله ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ آل عمران ٢٨ وقوله عليه السلام عن الله فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي

قال أهل التأويل كما ذكره البيهقي النفس في كلام." (١)

"قال والمنحرفون عن طريقة السلف ثلاث طوائف أهل **التخييل** وأهل التأويل وأهل التجهيل

فأهل **التخييل** هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه فإنهم يقولون إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو **تخييل** للحقائق لينفع به الجمهور لا أنه يبين به الحق ولا هدى به الخلق ولا أوضح الحقائق

ثم هم على قسمين

منهم من يقول إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه ويقولون إن من الفلاسفة الإلهية من علمها وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة الباطنية باطنية الشيعة وباطنية الصوفية

ومنهم من يقول بل الرسول علمها لكن لم يبينها وإنما تكلم بما يناقضها وأراد من الخلق فهم ما يناقضها لأن مصلحة الخلق في هذه الإعتقادات التي لا تطابق الحق

ويقول هؤلاء يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى إعتقاد التجسيم مع أنه باطل وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل ويخبرهم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد." (٢)

"ظهير له في صنعه، ولا معين له في ملكه.

[صفاته تعالى ومن أطلق أنها قديمة ومن فصل]

(صفاته) – سبحانه وتعالى – الذاتية والفعلية والخبرية، (كذاته) – عز شأنه – (قديمة) ، لا ابتداء لوجودها، ولا انتهاء، إذ لو كانت حادثة لاحتاجت إلى محدث، تعالت ذاته المقدسة وصفاته المعظمة عن ذلك، فإن حقيقة ذاته مخالفة لسائر الحقائق، وكذلك صفاته – تعالى.

---

(١) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات مرعي الكرمي ص/١٨٦

(٢) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات مرعي الكرمي ص/٢٣٦

قال المحققون: ليست حقيقته معلومة الآن في الدنيا للناس، وإنما يعلم – تعالى – بصفاته، وهل يمكن علم حقيقته في الآخرة؟ قال بعضهم: نعم، لحصول الرؤية فيها كما سيأتي، وبعضهم: " لا "، والرؤية لا تفيد الحقيقة كما يأتي، ومذهب السلف من الفرقة الناجية بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثلون صفات الله – تعالى – بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذوات خلقه، ولا ينفون ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العلى، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله – تعالى – وآياته، وليس في العقل الصريح، ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا، فالنبي المعصوم – صلوات الله عليه وسلامه – مع كمال علمه، وقدرته وإرادته، وشدة حرصه على هداية أمته، وبلاغ نصحه وشفقته عليهم أرشدهم إلى هذا السبيل، وكذا الصحابة والتابعون لهم بإحسان، فالسلف في إثبات الصفات كالذات على الاستقامة.

[طوائف المنحرفيين وأنهم أهل تخييل وتجهيل]

وأما المنحرفون عن طريقهم، فثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل، فأما (أهل التخييل) وهم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف، فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول – صلى الله عليه وسلم – من أمر الإيمان واليوم الآخر، إنما هو تخييل للحقائق ؛ لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح الحقائق. وليس فوق هذا الكفر كفر.

(وأهل التأويل) هم الذين يقولون: إن النصوص الواردة في الصفات، لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني، ولم يبين لهم ذلك، ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا، فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوه عن مدلوله ومقتضاه." (١)

"وكذا» .

قال القاضي أبو الحسين وغيره: ومثل هذا لا يقوله ابن مسعود – رضي الله عنه – إلا توقيفا ؛ لأنه إثبات صفة للذات. انتهى. وقد روي في إثبات الحرف والصوت أحاديث تزيد على أربعين حديثا، بعضها صحاح وبعضها حسان ويحتج بها، أخرجها الإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره. وأخرج سيدنا الإمام أحمد غالبها واحتج به، وأخرج الحافظ ابن حجر غالبها أيضا في شرح البخاري، واحتج بها البخاري وغيره من

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ١/١١٦

أئمة الحديث على أن الحق - جل شأنه - يتكلم بحرف وصوت، وقد صححوا هذا الأصل واعتقدوه، واعتمدوا على ذلك منزهين الله - تعالى - عما لا يليق بجلاله من شبهات الحدوث وسمات النقص، كما قالوا في سائر الصفات، فإذا رأينا أحدا من الناس مما لا يقدر عشر معشار هؤلاء يقول: لم يصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث واحد أنه تكلم بحرف وصوت، ورأيت هؤلاء الأئمة قد دونوا هذه الأخبار وعملوا بها، ودانوا الله - سبحانه وتعالى - بها، وصرحوا بأن الله - تعالى - تكلم بحرف وصوت لا يشبهان صوت مخلوق ولا حرفه بوجه ألبتة، معتمدين على ما صح عندهم عن صاحب الشريعة المعصوم في أقواله وأفعاله، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، مع اعتقادهم الجازم الذي لا يعتريه شك ولا وهم ولا خيال - نفي التشبيه والتمثيل، والتحريف والتعطيل، بل يقولون في صفة الكلام كما يقولون في سائر الصفات، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، كما عليه سلف الأمة وفحول الأئمة، فهو حق اليقين بلا محال، وهل بعد الحق إلا الضلال.

(تنبيه) : ممن ذهب إلى مذهب السلف والحنابلة من قدم كلامه - تعالى - وأنه بحرف وصوت من متأخري محققي الأشاعرة صاحب المواقف، وإن رد عليه جمع منهم من متحذلق ومجازف، وسيأتي لذلك تتمة عند ذكر القرآن الكريم والفرقان القديم، وبالله التوفيق

[صفة البصر والسمع]

(الصفة الثالثة والرابعة) ما أشار إليهما بقوله (و) يجب له - سبحانه وتعالى - (البصر) ، وهو صفة قديمة قائمة بذاته - تعالى - تتعلق بالمبصرات، فيدرك بها إدراكا تماما، لا على سبيل **التخييل** والتوهم، ولا على طريق تأثر حاسة، كما يأتي الكلام على ذلك مع السمع قريبا، (سمع) بإسقاط حرف العطف، أي ويجب له - سبحانه وتعالى - سمع، قال العلامة ابن." (١)

"قال الحافظ البيهقي: المتقدمون من هذه الأمة لم يفسروا ما ورد من الآي والأخبار في هذا الباب مع اعتقادهم بأجمعهم بأن الله واحد، لا يجوز عليه التبعيض، قال: وذهب بعض أهل النظر إلى أن اليمين يراد به اليد، واليد لله صفة بلا جارحة، فكل موضع ذكرت فيه من الكتاب أو السنة فالمراد بذكرها تعلقها بالمكان المذكور معها من الطي والأخذ والقبض والبسط والقبول والإنفاق، وغير ذلك تعلق الصفة الذاتية بمقتضاها من غير مباشرة ولا مماسة، وليس في ذلك تشبيه بحال، وهذا مذهب السلف والحنابلة ومن

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ١٤٣/١

وافقهم.

قال الخطابي: وليس معنى اليد عندي الجارحة، وإنما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت، ولا نكيفها، وننتهي إلى حيث انتهى بها الكتاب والأخبار الصحيحة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، انتهى.

وقال أهل التأويل ما في تفسير البيضاوي وغيره في الآية هو تنبيه على عظمته، وكمال قدرته على الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام، ودلت على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل **والتخييل**، من غير اعتبار القبضة واليمين لا حقيقة ولا مجازا.

وقال بعضهم: هو لبيان تصوير عظمة الله وجلاله وقدرته، وإن الملكوتات كلها منقادة لإرادته ومسخرات بأمره.

وذهب بعضهم إلى أن القبض قد يكون بمعنى الملك والقدرة كقولهم: ما فلان إلا في قبضتي أي قدرتي، ويقولون: الأشياء في قبضة الله أي في ملكه وقدرته، قالوا: وعلى هذا التأويل تخرج الآية والأحاديث، كحديث مسلم وغيره " «إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» " ورواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -.

قال النووي: هو من أحاديث الصفات، إما نؤمن بها ولا نتكلم بتأويل، ونعتقد أن ظاهرها غير مراد، وأن لها معنى يليق بالله، أو تؤول على أن المراد بكونهم على اليمين على الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة، وقوله " «وكلتا يديه يمين» " فيه تنبيه على أنه ليس المراد باليمين الجارحة وأن يديه تعالى بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما لأن الشمال تنقص على اليمين، وقال بعضهم وقد تكون اليمين." (١)

"جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه» - الحديث.

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن الذي معه من صورة الجنة والنار ونحوها على طريق **التخييل** لا الحقيقة

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ١/٢٣٣

منهم ابن حبان في صحيحه واستدل بحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين وغيرهما أنه قال «كنت أكثر من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن آية الدجال فقال لي وما يضرك؟ قلت إنهم يقولون إن معه جبل خبز؟ قال " هو أهون من ذلك " قال فمعناه أنه أهون على الله من أن يكون معه ذلك حقيقة بل يري ذلك وليس بحقيقة، ويدل له أيضا الرواية السابقة أحدهما في رأي العين أبيض» - الحديث.

وقال جماعة منهم ابن العربي: بل هي على ظاهرها امتحانا من الله تعالى لعباده. وحملوا قوله هو أهون إلخ أي من أن يخاف منه أو أن يضل الله به من يحبه.

قال في الإشاعة كالعلامة الشيخ مرعي، والتحقيق الأول، ويدل له ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم " «فمن أدرك ذلك منكم فليقع بالذي يراه أنها نار فإنه عذب بارد» " وبما في رواية: فالنار روضة خضراء.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال " «يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه، فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون لا، قال فيقتله ثم يحييه، فيقول الرجل حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن، قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه» " وأخرج مسلم عنه أيضا في هذا الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين." (١)

"مسلم عن أم المؤمنين عائشة الصديقة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» ".

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد عن مجاهد في قوله: ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ [الرحمن: ١٥] قال: اللهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت.

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما: خلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن دينار قال: خلق الجان والشياطين من نار الشمس. انتهى.

وقال أبو الوفا بن عقيل في الفنون: سأل سائل عن الجن، فقال أخبر الله عنهم أنهم من نار، وأخبر أن الشهب تضرهم وتحرقهم، فكيف تحرق النار النار؟ قال: والجواب أن الله تعالى أضاف الشياطين والجان إلى النار حسب ما أضاف الإنسان إلى التراب والطين والفخار، والمراد به في حق الإنسان أن أصله الطين،

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ٩٢/٢

وليس الآدمي طينا حقيقة ولكنه كان طينا، كذلك الجان كان نارا في الأصل.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: الدليل على أن أصل الجن النار السمع دون العقل.

وقال الإمام القاضي أبو يعلى بن الفراء: الجن أجسام مؤلفة، وأشخاص ممثلة، ويجوز أن تكون رقيقة وأن تكون كثيفة، خلافا للمعتزلة في قولهم: إنهم أجسام رقيقة، ولرقتها لا تراها. قال القاضي أبو يعلى: ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور، وإنما يجوز أن يعلمهم الله كلمات ضربا من ضروب الأفعال إذا فعلها وتكلم بها نقله الله من صورة إلى صورة، فيقال إنه قادر على التصوير **والتخييل** على معنى أنه قادر على قول إذا قاله وفعله نقله الله عن صورة إلى أخرى لجري العادة، وأما أن يصور نفسه في ذلك فذلك محال؛ لأن انتقالها عن صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء، وإذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة، وكيف تنقل نفسها؟ قال: والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك، والذي روي أن إبليس تصور في صورة سراقة، وأن جبريل تمثل في صورة دحية محمول على ما ذكرنا، وهو أنه أقدره الله على قول قاله فنقله الله عن صورة إلى صورة أخرى، قال القاضي: الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون كما يفعل الإنس.." (١)

"[١٨- باب ما جاء في السحر]

ش: السحر في اللغة: عبارة عما خفي ولطف سببه، ولهذا جاء في الحديث: "إن من البيان لسحرا". وسمي السحور سحورا، لأنه يقع خفيا آخر الليل. وقال تعالى: ﴿سحروا أعين الناس﴾ ١، أي أخفوا عنهم علمهم. ولما كان السحر من أنواع الشرك إذ لا يأتي السحر بدونه، ولهذا جاء في الحديث: "ومن سحر فقد أشرك" ٢. أدخله "المصنف" في كتاب "التوحيد" ليبين ذلك تحذيرا منه كما ذكر غيره من أنواع الشرك.

قال أبو محمد المقدسي في "الكافي": السحر: عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل، ويفرق ... المرء وزوجته، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه. قال الله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ ٣، وقال سبحانه: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ إلى قوله: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ ٤. يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه.

وروت عائشة: "أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وأنه قال لها ذات يوم: أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي. فقال: ما وجع الرجل؟ قال:

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ٢/٢٢١

مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن أعصم في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر في بئر ذي أروان" ٥.
رواه البخاري. انتهى.

وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر تخييل لا حقيقة له، وهذا ليس بصحيح على إطلاقه، بل منه ما هو تخييل، ومنه ما له حقيقة كما يفهم مما تقدم.

---

١ سورة الأعراف آية: ١١٦.

٢ النسائي: تحريم الدم (٤٠٧٩) .

٣ سورة الفلق آية: ١.

٤ سورة الفلق آية: ٤.

٥ البخاري: الدعوات (٦٣٩١) ، ومسلم: السلام (٢١٨٩) ، وابن ماجه: الطب (٣٥٤٥) ، وأحمد (٦/٥٧، ٦/٦٣، ٦/٩٦).. " (١)

"الجن" أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل، ومنه الحديث: "إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان" ١. أي: ادفعوا شرها بذكر الله، وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عدمها، ومنه حديث أبي أيوب: كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذ.

[كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل]

قال: ولهما عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة" ٢.

ش قوله: "ويعجبني الفأل". قال أبو السعادات: الفأل مهموز فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر، يقال: تفاءلت بكذا، وتفألت على التخفيف والقلب. وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفا، وإنما أحب الفأل، لأن الناس إذا أملوا فائدة الله، ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي، فهم على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء، فإن الرجاء لهم خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر.

وأما الطيرة، فإن فيها سوء الظن بالله، وتوقع البلاء. ومعنى التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض، فيتفاءل بما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة، فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٣٢٥

ظنه أنه برئ من مرضه ويجد ضالته ومنه الحديث قيل: "يا رسول الله ما الفأل؟ فقال: الكلمة الصالحة" ٣.

قوله: "قالوا وما الفأل؟ قال الكلمة الطيبة" ٤. بين لهم صلى الله عليه وسلم أن الفأل يعجبه فدل أنه ليس من الطيرة المنهي عنها.

قال ابن القيم:"ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، ومن حب الفطرة الإنسانية التي

---

١ أحمد (٣/٣٨١) .

٢ البخاري: الطب (٥٧٧٦) ، ومسلم: السلام (٢٢٢٤) ، والترمذي: السير (١٦١٥) ، وأبو داود: الطب (٣٩١٦) ، وابن ماجه: الطب (٣٥٣٧) ، وأحمد (٣/١١٨، ٣/١٣٠، ٣/١٥٤، ٣/١٧٣، ٣/١٧٨، ٣/٢٥١، ٣/٢٦٥، ٣/٢٧٧) .

٣ البخاري: الطب (٥٧٥٤) ، ومسلم: السلام (٢٢٢٣) ، وأحمد (٢/٢٦٦، ٢/٣٨٧، ٢/٤٠٦، ٢/٤٥٣، ٢/٥٠٧، ٢/٥٢٤) .

٤ البخاري: الطب (٥٧٥٤) ، ومسلم: السلام (٢٢٢٣) ، وابن ماجه: الطب (٣٥٣٦) ، وأحمد (٢/٢٦٦، ٢/٣٨٧، ٢/٤٠٦، ٢/٤٥٣، ٢/٥٢٤) .." [(١)]

"باب ما جاء في السحر

﴿باب ما جاء في السحر﴾

سمي السحر سحرا لخفاء سببه لأنه يفعل خفية.١

اختلفوا فيه هل هو تخييل، أو له حقيقة:

فذهب قوم إلى أنه تخييل لا حقيقة له لقوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ ٢ ولقوله: ﴿سحروا أعين الناس﴾ ٣ ٤.

وذهب قوم إلى أنه حق وله حقيقة، ويكون بالقول والفعل، ويؤلم ويمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه كما جاء نصه في القرآن.٥

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٣٧٢

---

١ انظر:"لسان العرب": (٤/ ٣٤٨) ، مادة: (سحر) ، و"القاموس المحيط": (ص ٥١٩) ، و"مختار الصحاح": (ص ٢٨٨) .

٢ سورة طه، الآية: ٦٦.

٣ سورة الأعراف، الآية: ١١٦.

٤ انظر:"لسان العرب": (٤/ ٣٤٨) ، مادة: (سحر) ، و"القاموس المحيط": (ص ٥١٩) ، و"مختار الصحاح": (ص ٢٨٨) .

٥ انظر: المصادر السابقة، وانظر:"تأويل مختلف الحديث"لابن قتيبة: (ص ١٢٦) ، و"شرح صحيح مسلم"للنووي: (١٤/ ٤٢٤- ٤٢٥) ، و"شرحه"للمازري: (٣/ ٩٣) حيث قال فيه: (مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة إثبات السحر وأن له حقيقة) ، و"نيل الأوطار": (٧/ ٢٠١) . قال ابن قتيبة: (وهذا شيء لم نؤمن به من جهة القياس ولا من جهة حجة العقل، إنما آمنا به من جهة الكتب وأخبار الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، وتواطؤ الأمم في كل زمان عليه خلا هذه العصابة التي لا تؤمن إلا بما أوجبه النظر ودل عليه القياس فيما شاهدوا ورأوا) . ومن الأقوال المنقولة في ذلك: (أن تأثير السحر لا يزيد على ما ذكر الله من التفريق بين المرء وزوجه، وإنه لو جاز أن يقع أكثر من ذلك لذكره) . انظر:"المعلم بفوائد مسلم"للمازري: (٣/ ٩٣- ٩٤) ، و"فتح الباري": (١٠/ ٢٢٣) .." [1]

"وقول الله تعالى: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾

وقوله تعالى: ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ قال عمر: (الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان) .

وقيل: الجمع ممكن بأن يكون منه ما هو **تخييل**، ومنه ما يكون له حقيقة.١

﴿وقول الله تعالى: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه﴾ أي: اختار السحر ﴿ولقد علموا لمن اشتراه﴾ ٢ يعني: ما له [من] ٣ نصيب في الجنة، وقوله تعالى: ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ ٤ قال الشيخ -رحمه الله تعالى- : ﴿وقال عمر﴾ بن الخطاب رضي الله عنه ﴿الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان٥﴾ .

---

١ أقول هنا: إن قول من قال بأن السحر **تخييل** يلزم أصحابه بأن للسحر حقيقة، فإن حصول **التخييل**

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ٢/٢٦٨

وشعور الإنسان بأنه يفعل الشيء ولا يفعله كل ذلك من آثار تأثيره وحقيقته. فالاختلاف يكون لفظيا ما لم ينف القائلون بأنه **تخييل** حقيقته وتأثيره.

٢ سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

٣ زيادة: (من) من غير"الأصل".

٤ سورة النساء، الآية: ٥١.

٥"صحيح البخاري مع الفتح": (٨/ ٢٥١) ، كتاب التفسير، باب وإن كنتم مرضى أو على سفر أو ... إلخ.." (١)

"وقال آخرون: المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهو قول مالك.

وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: أن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شهر مشئوم؛ فأبطل النبي صلي الله عليه وسلم ذلك. قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء، وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة. قوله: "ولا نوء" النوء واحد الأنواء، وسيأتي الكلام عليه في بابه إن شاء الله تعالى.

قوله: "ولا غول" هو بالضم اسم، وجمعه أغوال وغيلان، وهو المراد هنا.

قال أبو السعادات: الغول واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس، تتلون تلونا في صور شتى وتغولهم، أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي صلي الله عليه وسلم وأبطله. فإن قيل: ما معنى النفي وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم: ١ " إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان " ٢؟ أجيب عنه: بأن ذلك كان في الابتداء، ثم دفعها الله عن عباده. أو يقال: المنفي ليس وجود الغول، بل ما يزعمه العرب من تصرفه في نفسه، أو يكون المعنى بقوله: "لا غول " أنها لا تستطيع أن تضل أحدا مع ذكر الله والتوكل عليه. ويشهد له الحديث الآخر: " لا غول ولكن السعالي سحرة الجن " أي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس **وتخييل**. ومنه الحديث: " إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان ". أي ادفعوا شرها بذكر الله. وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها أو عدمها. ومنه حديث أبي أيوب: "كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذ".

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ٢/٢٦٩

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة " ٣.

---

١ ضعيف. أخرجه أحمد (٣/٣٠٥,٣٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه. وسنده ضعيف كما أشار إلى ذلك الحافظ في تخريج الأذكار. ورواه الطبراني في الأوسط كما في الجامع الصغير عن أبي هريرة، وضعفه الألباني أيضا في ضعيف الجامع (٥٣٥) . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٣٤) : ((فيه عدي بن الفضل متروك)) اهـ.

٢ قال السيوطي في الجامع الصغير: ((رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة وهو ضعيف)) .

٣ البخاري: الطب (٥٧٥٧) ، مسلم: السلام (٢٢٢٤) ، والترمذي: السير (١٦١٥) ، وأبو داود: الطب (٣٩١١) ، وأحمد (٢/٤٢٠، ٢/٤٣٤) ، (٣/١٧٣) .." [(١)]

"أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار "١ وفي رواية: " لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله " ٢ إلخ".

قوله: "ثلاث" أي ثلاث خصال. قوله: "من كن فيه" أي وجدت فيه تامة.

قوله: "وجد بهن حلاوة الإيمان" الحلاوة هنا هي التي يعبر عنها بالذوق لما يحصل به من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه، وهي شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم.

قال السيوطي -رحمه الله- في التوشيح: "وجد حلاوة الإيمان" فيه استعارة **تخييلية**، شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضافه إليه".

وقال النووي: " معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق، وإيثار ذلك على أغراض الدنيا، ومحبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك الرسول صلي الله عليه وسلم".

قال يحيى بن معاذ: " حقيقة الحب في الله: أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء". قوله: "أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما" يعني بالسوي: ما يحبه الإنسان بطبعه، كمحبة الولد والمال والأزواج ونحوها، فتكون "أحب" هنا على بابها. وقال الخطابي: " المراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع كذا قال. وأما المحبة الشركية التي قد تقدم بيانها، فقليلها وكثيرها ينافي محبة الله ورسوله". وفي بعض

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣١٠

الأحاديث.

" أحبوا الله بكل قلوبكم " ٣. فمن علامات محبة الله ورسوله: أن يحب ما يحبه الله ويكره ما يكرهه الله، ويؤثر مرضاته على ما سواه، ويسعى في

وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ".

مرضاته ما استطاع؛ ويبعد عما حرمه الله ويكرهه أشد الكراهة، ويتابع رسوله ويمتثل أمره ويترك نهيه، كما قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ٤، فمن آثر أمر غيره على أمره وخالف ما نهى عنه، فذلك علم على عدم محبته لله ورسوله؛ فإن محبة الرسول من لوازم محبة الله، فمن أحب الله وأطاعه أحب الرسول وأطاعه. ومن لا فلا؛ كما في آية المحنة ونظائرها. والله المستعان.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: " أخبر النبي صلي الله عليه وسلم أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له. فمن أحب شيئا

---

١ البخاري: الإيمان (١٦) ، ومسلم: الإيمان (٤٣) ، والترمذي: الإيمان (٢٦٢٤) ، والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٨٧، ٤٩٨٨، ٤٩٨٩) ، وابن ماجه: الفتن (٤٠٣٣) ، وأحمد (١٠٣/٣، ١١٣/٣، ١٧٢/٣، ١٧٤/٣، ١٧٦/٣، ٢٠٦/٣، ٢٣٠/٣، ٢٤٨/٣، ٢٥١/٣، ٢٧٢/٣، ٢٧٥/٣، ٢٧٨/٣، ٢٨٨/٣) .

٢ البخاري: الأدب (٦٠٤١) .

٣ ضعيف: رواه البيهقي في الدلائل كما في الدر المنثور (٣/ ٦٧) . عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلا فهو ضعيف لإرساله. أفاده الدوسري في النهج السديد (٣٥٦) .

٤ سورة النساء آية: ٨٠.." [1]

"قال تعالى: ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد *يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ . [الحج:١٢-١٣] . (لأنه في الحقيقة إنما عبد الشيطان، ودعاه، وأطاعه فيما يأمر به، ولذلك تتبرأ الملائكة والصالحون ممن١ دعاهم، وصرف لهم شيئا من العبادة) ٢.

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٣٨

وأيضا فليس كل سبب يباح، بل من الأسباب ما هو محرم، وما هو كفر، كالسحر، والتكهن.

والغبي يظن أن الدليل يسلم له إذا أراد السبب لا الاستقلال. وعباد الكواكب، وأصحاب النيرنجيات[3] ومخاطبات النجوم، يرون أنها أسباب ووسائل نافعة، ويظنونها كالأسباب العادية، وعباد القبور والأنفس المفارقة، يرون أن تعلق قلب الزائر وروحه بروح المزور سبب لنيل مقصوده، وتحصيل نصيب مما يفيض على روح ذلك

---

١ في طبعة آل ثاني:"ومن"والتصويب من نسخة "الدرر السنية في الأجوبة النجدية":ج ٩/ ٢٩٢.

٢ ما بين القوسين سقط من النسخ الخطية.

٣ في النسخ الخطية:"التمريخات".

قال في مفتاح السعادة ومصباح السيادة"لطاش كبري زاده: النيرنجات معرب نيرنك، وهو التمويه **والتخييل**، وهو إظهار غرائب الامتزاجات بين القوى الفاعلة والمنفعلة ... إلخ (١/ ٣٣٩) ، طبعة المعارف العثمانية.

وقال صاحب"الكشكول":النيرنجيات: إظهار خواص الامتزاجات ونحوها. ونيرنج فارسي معرب، وأصله: نورنك، أي: لون جديد. والنيرنجيات ألحقها بعضهم بالسحر ... إلخ.." [1]

"الحياة يستمد به بعد الوفاة، فالجواب: أن هذا من جنس ما قبله نقل غير صحيح عن قائل غير معصوم لا يحتج به بإجماع المسلمين، وقول الناقل قال حجة الإسلام مجرد تمويه **وتخييل**، وحجة الإسلام في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وما عدا ذلك فيؤخذ منه ويترك كما قال مالك وبقوله يقول علماء الإسلام: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو حامد قد دخل في الفلسفة واعتنى بكتب الفلاسفة ودخل عليه من الشر بسبب ذلك مالا يحصيه إلا الله ومن تأمل كتبه وكلامه في الإحياء وفي غيره عرف ذلك إن كان ممن له ممارسة في العلوم الشرعية قال الفقيه ابن العربي المالكي: دخل شيخنا أبو حامد في جوف الفلسفة ثم أراد أن يخرج فلم يحسن الخروج، هذا كلام تلميذه (١) وهو من أعرف الناس به، هذا إن صح النقل وما أظن هذا ثبت عنه.

وأما قوله: قال بعض من المشايخ ارعظام: رأيت أربعة أشخاص من الأولياء يتصرفون في قبورهم كما تصرفوا في حياتهم أو أزيد الشيخ عبد القادر وعن اثنين آخرين إلى آخره ...

فالجواب أن مشايخ الضلال وجهلة الصوفية الذين لا دراية لهم بدين الله وشرعه قد يصدر منهم هذا ونحوه

---

(١) تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس عبد اللطيف آل الشيخ ص/٤٥

بل قد حكي عن بعضهم القول باتحاد

=أخرى فهو في آخر أمره يبالغ في ذمهم ويبين أن طريقتهم متضمنة من الجهل والكفر ما يوجب ذمها وفسادها أعظم من طريقة المتكلمين، ومات الغزالي سنة٥٠٥هـ خمس وخمسمائة هجرية وهو مشتغل بالبخاري ومسلم اهـ كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٩٤-١٩٨.

(١) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي من حفاظ الحديث رحل إلى المشرق وصحب ببغداد أبا حامد الغزالي صنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ من كتبه (أحكام القرآن) وكتاب المسالك في شرح موطأ مالك وكتاب القبس على شرح موطأ بن أنس وعارضة الأحوذي على كتاب الترمذي وغير ذلك من الكتب النافعة، وأبوه من فقهاء أشبيلة ورؤسائها وولد سنة ٤٦٨هـ وتوفي رحمه الله سنة ٥٤٣هـ أنظر هامش كتاب الرد على المنطقيين ص٤٨٢ التفسير والمفسرين ج٢ ص٤٤٨-٤٤٩.." [1]

"فإنه وإن كان القول تكذيبا لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر يوجب تأويلها، وإن كان مخطئا.

وكنت دائما أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال لأهله: "إذا أنا مت فأحرقوني . الحديث" فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذرى، بل اعتقد أنه لا يعاد. وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك، وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك.

والمتأول من أهل الأجتهاد، الحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من مثل هذا ". انتهى.

والجواب: إن شيخنا رحمه الله قال في مثل هذه الشبه التي يوردها المبطلون من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بمثل ما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية سواء. وإن من تأمل كلامه رحمه الله وجده يصله بما يفصل النزاع، ويبين المراد. وقد بين في هذا النقل بيانا يقطع النزاع بقوله: إلا إذا علم أنه قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة، وفاسقا أخرى. وهذا البيان كاف.

فإن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لا يكفر أحدا قبل قيام الحجة. وهذا يأتي على جميع ما ساقه العراقي بالرد والدفع، فسياق هذه العبارات المتحدة المعاني والتشبيه بها وكثرة عددها مجرد **تخييل**

---

(١) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية عبد اللطيف آل الشيخ ص/١٠٣

وهوس، يكفي في ردها ما تقدم بيانه من اشتراط قيام الحجة، وإن فرض كلام الشيخ في كل ما نقل العراقي في غير ما يعلم من الدين بالضرورة، وفي غير المفرط في طلب العلم والهدى، كما تقدم فيما نقلناه من طبقات المكلفين، وتقدم نص الشيخ أن فرض كلامه في غير المسائل الخفية، وكل جملة من هذه الجمل تكفي المؤمن في رد جميع ما نقله ابن جرجيس عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وينبغي أن يعلم الفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة، فإن من بلغته دعوة الرسل فقد قامت عليه الحجة؛ إذا كان على وجه يمكن معه العلم، ولا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الإيمان والقبول والانقياد لما جاء." (١)

"العرب تزعم أن كل نوء مطر ينسبونه إليه فيقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا وإنما سمي نوءا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب فالطالع بالمشرق ينوء أي ينهض ويطلع، وقيل: أراد بالنوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع وإنما غلظ النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الأنواء لأن العرب تنسب المطر إليها "ولا غول" ١. الغول واحد الغيلان وهي جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فيتغول تغولا أو يتلون تلونا في صور شتى وتغولهم أي تضلهم عن الطريق ويهلكهم فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم وأبطله، وقيل: قوله غول ليس نفيا لعين الغول ووجوده وإنما إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله ويشهد له الحديث الآخر ولكن السعالي والسعالى سحرة الجن أي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل ومنه الحديث: "إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان" ٢ أي ادفعوا شرها بذكر الله تعالى وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عدمها ومنه حديث أبي أيوب: كان لي نمرة في سهوة وكانت الغول تجيء فتأخذه. قال الطحاوي: ويحتمل أن الغول قد كان ثم دفعه الله تعالى عن عباده، وعن بعضهم: هذا ليس ببعيد لأنه يحتمل أنه من خصائص بعثه صلى الله عليه وسلم كما منع الشياطين من استراق السمع بالشهاب الثاقب، واعلم أن (لا) التي لنفي الجنس دخلت على المذكورات ونفت ذواتها وهي غير منفية فتوجه النفي إلى أوصافها وأحوالها التي هي مخالفة للشرع قال العدوي: والصفر والهامة والنوء موجود والمنفي ما زعمت الجاهلية

---

١ أخرجه مسلم (٢٢٢٠) بزيادة: لا نوء، من حديث أبي هريرة ومن حديث جابر (٢٢٢٠/١٠٧) بزيادة: لا غول.

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس عبد اللطيف آل الشيخ ص/٢٥١

٢ رواه ابن عدي في "الكامل" (١٠٧/٥) من حديث سعد بن مالك مرفوعا وفي سنده عمرو بن عبيد بن باب البصري المعتزلي القدري، متهم.." (١)

"قال الناظم رحمه اله تعالى

فصل

في مقالات الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب جل جلاله

... وأتى ابن سينا القرمطي مصانعا ... للمسلمين بافك ذي بهتان

فرآه فيضا فاض من عقل هو الفعال علة هذه الأكوان ... حتى تلقاه زكي فاضل

حسن التخيل جيد التبيان ... فأتى به للعالمين خطابة

مواعظا عريت عن البرهان ... ما صرحت أخباره بالحق بل

رمزت إليه إشارة لمعان ... وخطاب هذا الحق والجمهور بالحق الصريح فغير ذي إمكان

لا يقبلون حقائق المعقول إلا في مثال الحس والأعيان ... ومشارب العقلاء لا يردونها

إلا إذا وضعت لهم بأوان ... من جنس ما ألفت طباعهم من المحسوس في ذا العالم الجثمان

فأتوا بتشبيه وتمثيل وتجسيم وتخييل إلى الأذهان ... ولذاك يحرم عندهم تأويله

لكنه حل لذي العرفان ... فإذا تأولناه كان جناية

منا وخرق سياج ذا البستان ...." (٢)

"ولا له مثال مطابق في الوجود بل هو مجرد تخييل لا حقيقة له وأما تقدم الواحد على الأثنين فإن عني به أن الواحد المطلق قبل الأثنين المطلق فيكون مقدما في التصور تقدما زمنيا وإن لم يعن به هذا فلا تقدم بل الواحد شرط في الأثنين مع كون الشرط لا يتأخر عن المشروط بل قد يقارنه وقد يكون معه فليس هنا تقدم واجب غير التقدم الزماني وأما التقدم بالمكان فذاك نوع آخر وأصله من التقدم بالزمان فإن مقدم المسجد تكون فيه الأفعال المتقدمة بالزمان على مؤخره فالإمام يتقدم فعله بالزمان لفعل المأموم فسمي محل الفعل المتقدم متقدما وأصله هذا وكذلك التقدم بالرتبة فإن أهل الفضائل مقدمون في الأفعال الشريفة والأمكنة وغير ذلك على من دونهم فسمي ذلك تقدما وأصله هذا

وحينئذ فإذا كان الرب هو الأول المتقدم على كل ما سواه كان كل شيئ متأخرا عنه وإن قدر أنه لم يزل

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد حامد بن محسن ص/٣٣٧

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٣٣٣/١

فاعلا فكل فعل معين فهو متأخر عنه وإذا قيل الزمان مقدار الحركة فليس هو مقدار حركة معينة كحركة الشمس أو الفلك بل الزمان المطلق مقدار الحركة المطلقة وقد كان قبل أن تخلق السموات والأرض والشمس والقمر حركات وأزمنة وبعد أن يقيم الله القيامة ت فتذهب الشمس والقمر ويكون في الجنة حركات كما قال تعالى ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ مريم ٦٢ وجاء في الآثار أنهم يعرفون الليل والنهار بأنوار تظهر من جهة العرش وكذلك لهم في الآخرة يوم المزيد يوم الجمعة يعرف بما يظهر فيه من الأنوار الجديدة القوية وإن كانت الجنة كلها نورا يزهر ونهرا يطرد لكن يظهر (في) بعض الأوقات نورا آخر يتميز به الليل عن النهار فالرب سبحانه إذا لم يزل متكلما بمشيئته كان مقدار كلامه وفعاله الذي لم يزل هو الوقت الذي يحدث ما يحدث فيه من مفعولاته وهو سبحانه متقدم على كل ما سواه التقدم الحقي." (١)

"ولا يتبعض وإذا رؤي بلا مواجهة ولا معاينة وإنه لم يسمع ولم ير الأشياء حتى وجدت لم يقم به أنه موجود بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك إلى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح والمنقول الصحيح فلما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء وأن هذا هو الإسلام الذي عليه هؤلاء وعلموا فساد هذا أظهروا قولهم بقدم العالم واحتجوا بأن تجدد الفعل بعد أن لم يكن ممتنع بل لا بد لكل متجدد من سبب حادث فيكون الفعل دائما ثم ادعوا دعوى كاذبة لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها وهو انه إذا كان الفعل دائما لزم قدم الأفلاك والعناصر ثم لما أرادوا تقرير النبوة جعلوها فيضا فاض من العقل الفعال أو غيره من غير أن يكون رب العالمين يعلم ان له رسولا معينا ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا يعلم الجزئيات ولا نزل من عنده ملك بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وهو العقل الفعال وأنكروا ان تكون السماوات تنشق وتنفطر وغير ذلك مما أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم وزعموا أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إنما أراد به خطاب الجمهور بما يخيل إليهم بما ينتفعون به من غير أن يكون الامر في نفسه كذلك ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق وعلمت الناس ما الأمر عليه وهذا معنى قول الناظم حكاية عن ابن سينا قال المراد حقائق الألفاظ تخييلا وتقريبا إلى الأذهان لأن الجمهور لا يمكنهم إدراك المعقول إلا في مثال محسوس فأبرزت الرسل المعقول في المحسوس حتى تقبله أذهان الجمهور فيقول الناظم هذا هو الذي قد قاله ابن سينا مع نفيه لحقائق الألفاظ في." (٢)

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٣٥٧/١

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ١٩/٢

"هي روض ونعم مرعى ومنهل ... لأمير النحل الإمام المفضل

دار فيها كأس الرحيق المسلسل ... كورة لليعوب مازج صرف الـ

ـشهد منها أطالب الزنجبيل

فلك دائر منير بشهب ... نورها ظاهر بشرق وغرب

هونت في تدبيرها كل صعب ... كرة مستديرة فوق قطب

دبر الكائنات بالتعديل

صاغها الله من محاسن تعجب ... وطلاها من نوره المتلهب

فهي أسنى سبيكة لمذهب ... أفرغتها يمنى المفاخر من تبر

المعالي في قالب التبجيل

صبغة الله زينت بالتحلى ... وعليها الأملاك للوحي تملى

مذ دنا الروح نحوها بالتدلي ... صبغتها بالنور أيدي التجلي

بقدامى من خافقي جبرئيل

لا يحيط الخيال وقتا فوقتا ... بحلاها ولا يخيل نعتا

جمعت ذاتها فضائل شتى ... فغشاها النور الإلهي حتى

بخيال جلت عن **التخييل**

أحرزت من أزاهر الشرف الغض ... وأحاطت بالمجد في الطول والعرض

كل فضل من فضلهما يتبعض ... قد حوى فصل بابها جمل الفضـ

ـل التي قد غنين عن تفصيل

جليت تزدهي بجسم صقيل ... فهي زهراء ما لها من مثيل

منذ زفت لخير مولى جليل ... كعروس بدت بوجه جميل

تسبي شمس الضحى بخد أسيل

هي بدر الدجى بغير سرار ... هي شمس ضاءت بغير استتار." (١)

"باب الرجاء وقطب الأولياء وفخر ... الأتقياء ومأوى كل مذلول

عين الكمال وسلطان الرجاء وممـ ... ـدوح الفعال وحامي كل مخذول

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ١/١٥٤

ملجا المريدين منجى اللائذين به ... كنز المقلين مذخوري ومأمولي
فخري وفيه غنى فقري ومدحته ... فخري أنال بحشري منه تنويلي
إلى موائده اللاتي حوت مددا ... مددت باعا به علقت كشكولي
تفصيل إجمال جزء من خوارقه ... عن حصرها كل إجمالي وتفصيلي
نلت البقا بغنائي في محبته ... فشاغلي فيه أضحى عين مشغولي
وبان صحوي بمحوي في هواه وعن ... وهمي بأني سواه بان **تخييلي**
أتى من العلم في مثل الذي أتيا ... موسى وعيسى بتوراة وإنجيل
ندب إذا عم خطب أو دجا حزن ... جلاه في سيف حزم غير مفلول
تهديك بهجته الغرا وغنيته ... تغنيك عن كل مقصود ومأمول
فناده عند نادية لفادحة ... وسله ما شئت تلقى خير مسئول
وقبل الترب من أعاب سدته ... وابد الخشوع بدمع منك مسبول
فسدرة المنتهى لا شك حضرته ... لقد تناهى إليها علم جبريل
ترى المحبين صرعى تحت قبته ... وقلبهم عن هواه غير مشغول
أما تراهم وفي أطمارهم ربضوا ... ببابه كأسود الغيل بالغيل
إليه من موصل قد جئت منقطعا ... فيا لقطع بحبل الله موصول
كم ظن قوم قبولا منه تم لهم ... وحققوا الظن أني غير مقبول
فدع رجالا على جهل تعنفني ... فهل سمعت بصب غير معذول
وابغ رضا الله في مدح تقدمه ... لفارق بين مفضال ومفضول
عليه أزكى سلام الله تتبعه ... تحية الملأ الأعلى بتبجيل
ما دوخت ديمة الرضوان مرقده ... وجللته وغشته بمنديل

إلى غير ذلك من الشعر الكثير في هذا الباب، ولو استوعبناه لطال به الكتاب. وهذا حال خواصهم، وقد سمعت غلوهم فكيف حال عوامهم؟.

وقد حكى العراقيون أن قبر عبد القادر قد غدا اليوم قبلة يطوفون عليه طواف." (١)

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ١/ ١٦٠

"هذا هو البحث الأول في حقيقته وتأثيره:

"والسحر حق" يعني: متحقق وقوعه ووجوده، ولو لم يكن موجودا حقيقة لم ترد النواهي عنه في الشرع والوعيد على فاعله والعقوبات الدينية والأخروية على متعاطيه والاستعاذة منه أمرا وخبرا. وقد أخبر الله تعالى أنه كان موجودا في زمن فرعون وأنه أراد أن يعارض به معجزات نبي الله موسى -عليه السلام- في العصا، بعد أن رماه هو وقومه به بقولهم: ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ إلى قوله: ﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ [الشعراء: ٣٤-٣٧] وقال تعالى عن السحرة: ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف: ١١٦] وقال تعالى فيهم: ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، فأوجس في نفسه خيفة موسى، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى، وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [طه: ٦٦-٦٩] يقال: إنهم كانوا سبعين ألفا، مع كل واحد منهم حبل وعصا فأخذوا بأبصار الناس بسحرهم، وألقوا تلك الحبال والعصي فرآها الناس حيات عظاما ضخاما، وذلك قوله تعالى: ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ وقوله: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ قال الله تعالى: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى، وألق ما في يمينك﴾ [طه: ٦٧-٦٩] يعني العصا ﴿تلقف﴾ تبتلع ﴿ما صنعوا﴾ أي: السحرة، أي: ما اختلقوا وائتفكوا من الزور والتخييل؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ [الأعراف: ١١٧] وهون الله أمرهم على نبيه موسى عليه السلام، بقوله سبحانه: ﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾ مكره وخداعه ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ ﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ [الأعراف: ١١٩] إلى أخر الآيات، وقد أخبر الله تعالى عن قوم صالح وكانوا قبل إبراهيم عليه السلام، أنهم قالوا لنبيهم عليه السلام: ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ [الشعراء: ١٥٣] وكذا قال قوم شعيب له عليه السلام: ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ وقالت قريش لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم في." (١)

"إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد قيل: إنه إنما كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له، وقيل: إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله، ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد. قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٥٤٤/٢

عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، ويروى يخيل إليه أي: يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور. وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لا كالخلل تطرق إلى العقل وليس في ذلك ما يدخل لبسا على الرسالة ولا طعنا لأهل الضلالة والله أعلم ا. هـ.١. قلت: قول المازري خلافا لمن أنكر ذلك، قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى: أجمعوا على أن السحر له حقيقة، إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده. ثم ذكر الاختلاف في حكم الساحر٢، وقال القرطبي رحمه الله تعالى: وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء، خلافا للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفراييني حيث قالوا: إنه تمويه وتخييل ا. هـ.٣.

قلت: قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية، فأما القتل به والأمراض والتفرقة بين المرء وزوجه وأخذه بالأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها، وأما قلب الأعيان كقلب الجماد حيوانا وقلب الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في قدرة الله عز وجل ولا غير ممكن، فإنه هو الفاعل في

---

١ شرح النووي "١٤/ ١٧٤، ١٧٥". وقول القاضي عياض ٥و في الشفا بتعريف حقوق المصطفى "٢/ ١٨٢".

٢ الإفصاح لابن هبيرة "٢/ ٢٢٦".

٣ الجامع لأحكام القرآن "٢/ ٤٦"." (١)

"الحقيقة وهو الفعال لما يريد، فلا مانع من أن يحول الله ذلك عندما يلقي الساحر ما ألقى امتحانا وابتلاء وفتنة لعباده، ولكن الذي أخبرنا الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو التخييل والأخذ بالأبصار حتى رأوا الحبال والعصي حيات، فنؤمن بالخبر ونصدقه ولا نتعداه ولا نبدل قولا غير الذي قيل لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم، وبالله التوفيق.

واحكم على الساحر بالتكفير ... وحده القتل بلا نكير

كما أتى في السنة المصرحه ... مما رواه الترمذي وصححه

عن جندب وهكذا في أثر ... أمر بقتلهم روي عن عمر

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٢/٥٤٨

وصح عن حفصة عند مالك ... ما فيه أقوى مرشد للسالك

هذا هو البحث الثاني وهو حكم الساحر:

"واحكم على الساحر" تعلمه أو علمه، عمل به أو لم يعمل "بالتكفير" أي بأنه كفر بهذا الذنب الذي هو السحر، وذلك واضح صريح في آية البقرة بأمور:

منها سبب عدول اليهود إليه وهو نبذهم الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾ [البقرة: ١٠١] سواء أريد بالكتاب التوراة التي بأيديهم أو القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، كل ذلك نبذه كفر، وقد علم أن السحر لا يعمل إلا مع من كفر بالله وهذا معلوم من سبب نزول الآية، كما قال الربيع بن أنس وغيره: إن اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك، إلا أنزل الله سبحانه وتعالى ما سألوه عنه فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا، وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله عز وجل: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ [البقرة: ١٠٢] الآيات١.

---

١ ابن كثير "١/ ١٤٠" وهو من قول الربيع بن أنس.." (١)

"انحلت عقدة١. وقال النسائي رحمه الله تعالى في كتاب تحريم الدم من سننه "الحكم في السحرة": أخبرنا عمرو بن علي قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئا وكل إليه"٢. وقد أطلق السحر على ما فيه التخييل في قلب الأعيان وإن لم يكن السحر الحقيقي، كما في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله قال: "إن من البيان لسحرا" ٣ يعني: لتضمنه التخييل فيخيل الباطل في صورة الحق، وإنما عني به البيان في المفاخرة والخصومات بالباطل ونحوها كما يدل عليه أصل القصة في التميميين اللذين تفاخرا عنده بأحسابهما وطعن أحدهما في حسب الآخر ونسبه، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: "إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحكم له على نحو ما أسمع، فمن حكمت له من حق أخيه بشيء فإنما هو قطعة من النار" ٤ أو كما قال: وهو في الصحيح، وأما البيان بالحق لنصرة الحق فهو فريضة على كل مسلم ما استطاع إلى ذلك

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٢/٥٤٩

سبيلا، وهو من الجهاد في سبيل الله عز وجل، وقد سمى صلى الله عليه وسلم ما يعمل عمل السحر سحرا، وإن لم يكن سحرا كقوله صلى الله عليه وسلم: "ألا أنبئكم ما العضه، هي النميمة القالة بين الناس" رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه٥. والعضه في لغة قريش السحر ويقولون للساحر: عاضه، فسمى النميمة سحرا؛ لأنها تعمل عمل السحر في التفرقة بين المرء وزوجه وغيرها من المتحابين، بل هي أعظم في الوشاية لأنها

---

١ تقدم ذكره.

٢ النسائي "٧/ ١١٢" في تحريم الدم، باب الحكم في السحرة، وسنده ضعيف فيه عباد بن ميسرة المنقري، وهو ضعيف وعنعنه الحسن.

٣ البخاري "٩/ ٢٠١" في النكاح، باب الخطبة، وفي الطب، باب إن من البيان سحرا "١٠/ ٢٣٧".

ومسلم لم يخرجه من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- وإنما من حديث عمار -رضي الله عنه- في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة "٢، ٥٩٤/ ح٨٦٩".

٤ البخاري "١٣/ ١٥٧" في الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم وغيره، ومسلم "٣/ ١٣٣٧، ١٣٣٨/ ح١٧١٣" في الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة.

٥ مسلم "٤/ ٢٠١٢/ ح٢٦٠٦" في البر والصلة، باب تحريم النميمة.." [1]

"زاد مسلم: " ولا نوء ولا غول (١) "١.

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل (٢) .

---

(١) النوء واحد الأنواء يزعمون أنهم يمطرون به، وسيأتي في بابه إن شاء الله تعالى، والغول بالضم اسم وجمعه أغوال وغيلان، قال الجمهور: كانت العرب تزعم أن الغول، وهي جنس من الشياطين في الفلاة، تتراءى للناس وتتلون تلونا في صور شتى، فتضلهم عن الطريق فتهلكهم، فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم وأبطله، ويقال: ليس المراد نفي وجود الغول، بل ما تزعمه العرب من تصرفه في نفسه أو أنها لا تستطيع أن تضل أحدا مع ذكر الله، لحديث: " لا غول ولكن السعالي سحرة الجن "، أي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس **وتخييل**، ومنه الحديث: " إذا تغولت الغيلان، فبادروا بالأذان "، أي ادفعوا شرها بذكر الله، فدل أنه

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٢/٥٦٤

لم يرد بنفيها عدمها.

(٢) الفأل مهموز فيما يسوء ويسر، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وإنما أعجبه الفأل لأنه حسن ظن بالله، والعبد مأمور بحسن الظن بالله، وإذا أمل الفائدة منه ورجا العائدة من كل سبب ضعيف أو قوي فهو على خير، والتشاؤم سوء ظن بالله، وإذا قطع الإنسان ظنه بالله كان عمله من الشر، والطيرة فيها سوء ظن بالله، وتوقع للبلاء، والتفاؤل نحو أن يكون الرجل مريضا فيسمع من يقول: يا سالم، أو يا مفلح، أو يكون طالبا ضالة فيسمع من يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته، وتفرح نفسه وتنشط من غير اعتماد عليه، وإنما هو حسن ظن بالله، وإن أوجب مضيا أو ردا صار من الطيرة. ولما طلع سهيل بن عمرو عام الحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سهل أمركم ".

---

١ مسلم: السلام (٢٢٢٠) .." (١)

"فقولهم ظاهر التناقض والاختلاف: يعني وأهل السنة أثبتوا كل ما جاء به الرسول وأولئك جعلوا الجميع تخييلا وتوهيما ومعلوم بالأدلة الكثيرة السمعية والعقلية فساد مذهب هؤلاء، ومذهب الملاحدة. فتعين أن يكون الحق مذهب السلف أهل السنة والجماعة.." (٢)

"المبحث الخامس

٥ - تنوع المعجزة مع بيان الحكمة في ذلك

آيات الأنبياء التي أيد الله بها رسله قد اختلفت أنواعها، وتباينت مظاهرها وأشكالها إلا أنها تجتمع في أن كلا منها قد عجز البشر عن أن يأتوا بمثله منفردين أو مجتمعين، فكانت بذلك شاهد صدق على الرسالة وحجة قاطعة تخرس الألسنة وينقطع عندها الخصوم، ويجب لها التسليم والقبول.

ويغلب أن تكون معجزة كل رسول مناسبة لما انتشر في عصره وبرز فيه قومه، وعرفوا بالمهارة فيه؛ ليكون ذلك أدعى إلى فهمها، وأعظم في دلالتها على المطلوب، وأمكن في الإلزام بمقتضاها.

ففي عهد موسى انتشر السحر، ومهر فيه قومه حتى أثروا به على النفوس، وسحروا أعين الناظرين، وأوجس في نفسه خيفة منه من شهده وإن كان عالي الهمة قوي العزيمة، فكان ما آتاه الله نبيه موسى فوق ما تبلغه القوى والقدرة، وما يدرك بالأسباب والوسائل، وقد أوضح الله ذلك في كثير من الآيات، قال تعالى: ﴿وما

---

(١) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/٢١٧

(٢) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية فالح بن مهدي آل مهدي ٣١/٢

تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها ياموسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى﴾ ، ولهذا بهت السحرة وبطل ما جاءوا به من التمويه **والتخييل** وامتاز الحق من الباطل، قال تعالى في بيان ذلك في المباراة التي كانت بين موسى عليه السلام والسحرة ﴿فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ .." (١)

"وقول الله تعالى: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ١.

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غير الله.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم **وتخييل**؛ فأي رابطة بين هذا الأمر، وبين ما يحصل له، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة، قال تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ٢ وقال تعالى: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ ٣.

فالطيرة محرمة، وهي منافية للتوحيد كما سبق، والمتطير لا يخلو من حالين:

الأول: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل، وهذا من أعظم التطير والتشاؤم.

الثاني: أن يمضي لكن في قلق وهم وغم يخشى من تأثير هذا المتطير به، وهذا أهون.

وكلا الأمرين نقص في التوحيد وضرر على العبيد، بل انطلق إلى ما تريد بانشراح صدر وتيسير واعتماد على الله عزوجل ولا تسئ الظن بالله عزوجل

وقد ذكر المؤلف رحمه الله في هذا الباب آيتين:

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ ٤ هذه الآية نزلت في قوم موسى كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه﴾ قال الله تعالى: ﴿ألا إنما

---

١ سورة الأعراف آية: ١٣١.

٢ سورة الفاتحة آية: ٥.

---

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي – قسم العقيدة عبد الرزاق عفيفي ص/١٨٥

٣ سورة هود آية: ١٢٣.

٤ سورة الأعراف آية: ١٣١.." (١)

"..

الغيب لغير الله، قال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾ ، [النمل: من الآية٦٥]

.

فإن قيل: لماذا لا يجعل السحر هنا عاما ليشمل التنجيم وغير التنجيم؟

أجيب: أن المصدق بما يخبره به السحرة من علم الغيب يشمله الوعيد هنا، وأما المصدق بأن للسحر تأثيرا؛ فلا يلحقه هذا الوعيد؛ إذ لا شك أن للسحر تأثيرا، لكن تأثيره **تخييل**، مثل ما وقع من سحرة فرعون حيث سحروا أعين الناس حتى رأوا الحبال والعصي كأنها حيات تسعى، وإن كان لا حقيقة لذلك، وقد يسحر الساحر شخصا فيجعله يحب فلانا ويبغض فلانا؛ فهو مؤثر، قال تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ ، [البقرة: من الآية١٠٢] ، فالتصديق بأثر السحر على هذا الوجه لا يدخله الوعيد لأنه تصديق بأمر واقع.

أما من صدق بأن السحر يؤثر في قلب الأعيان بحيث يجعل الخشب ذهبا أو نحو ذلك؛ فلا شك في دخوله في الوعيد؛ لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.

وقوله: " ثلاثة لا يدخلون الجنة " هل المراد الحصر وأن غيرهم يدخل الجنة؟

الجواب: لا؛ لأن هناك من لا يدخلون الجنة سوى هؤلاء؛ فهذا الحديث لا يدل على الحصر.

وهل هؤلاء كفار لأن من لا يدخل الجنة كافر؟ اختلف أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من أحاديث الوعيد على أقوال:." (٢)

"..

جسم الدب مثل جسم النملة؟ فبينهما تباين عظيم في الحجم والرقة واللين وغير ذلك. فإذا بطلت هذه الحجة بطلت النتيجة، وهي استلزام مماثلة الله لخلقه. ونحن نشاهد البشر لا يتفقون في الوجوه؛ فلا تجد

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٥٦٠/١

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ١٤/٢

اثنين متماثلين من كل وجه ولو كانا توأمين، بل قالوا: إن عروق الرجل واليد غير متماثلة من شخص إلى آخر.

ويلاحظ أن التعبير بنفي المماثلة أولى من التعبير بنفي المشابهة؛ لأنه اللفظ الذي جاء به القرآن، ولأنه ما من شيئين موجودين إلا ويشتبهان من وجه ويفترقان من وجه آخر؛ فنفي مطلق المشابهة لا يصح، وقد تقدم.

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله خلق آدم على صورته "١ ووجه الله لا يماثل أوجه المخلوقين، فيجاب عنه: بأنه لا يراد به صورة تماثل صورة الرب عز وجل بإجماع المسلمين والعقلاء، لأن الله عز وجل وسع كرسيه السماوات والأرض، والسماوات والأرضون كلها بالنسبة للكرسي -موضع القدمين- كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة؛ فما ظنك برب العالمين؟ فلا أحد يحيط به وصفا ولا **تخييلا**، ومن هذا وصفه لا يمكن أن يكون على صورة آدم ستون ذراعا، وإنما يراد به أحد معنيين:

الأول: أن الله خلق آدم على صورة، اختارها وجعلها أحسن صورة في الوجه، وعلى هذا؛ فلا ينبغي أن يقبح أو يضرب لأنه لما أضافه إلى نفسه اقتضى من الإكرام ما لا ينبغي معه أن يقبح أو أن يضرب.

الثاني: أن الله خلق آدم على صورة الله عز وجل، ولا يلزم من

---

١ أخرجه: البخاري في (الاستئذان، باب بدء السلام، ٤/١٣٥) ، ومسلم في (البر، باب النهي عن ضرب الوجه، ٤/٢٠١٧) .." (١)

"الباب الثالث والعشرون في أقسام المنحرفين عن الاستقامة في باب الإيمان بالله واليوم الآخر

طريقة النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان على الصراط المستقيم علما، وعملا، يعرف ذلك من تتبعها بعلم وعدل، فقد حققوا الإيمان بالله واليوم الآخر، وأقروا بأن ذلك حق على حقيقته، وهم في عملهم مخلصون لله، متبعون لشرعه، فلا شرك، ولا ابتداع، ولا تحريف، ولا تكذيب.

وأما المنحرفون عن طريقتهم فهم ثلاث طوائف:

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٢/٣٥٩

أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

١ – فأما أهل التخييل: فهم الفلاسفة، والباطنية، ومن سلك سبيلهم من المتكلمين وغيرهم. وحقيقة مذهبهم: أن ما جاءت به الأنبياء مما يتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر أمثال وتخييلات لا حقيقة لها في الواقع، وإنما المقصود بها انتفاع العامة وجمهور الناس؛ لأن الناس إذا قيل لهم: إن لكم ربا عظيما، قادرا رحيما، قاهرا، وإن أمامكم يوما عظيما تبعثون فيه، وتجازون." (١)

"بأعمالكم، ونحو ذلك استقاموا على الطريقة المطلوبة منهم، وإن كان هذا لا حقيقة له على زعم هؤلاء.

ثم إن هؤلاء على قسمين: غلاة، وغير غلاة.

فأما الغلاة فيزعمون: أن الأنبياء لا يعلمون حقائق هذه الأمور، وأن من المتفلسفة الإلهية – ومن يزعمونهم أولياء – من يعلم هذه الحقائق، فزعموا أن من الفلاسفة من هو أعلم بالله واليوم الآخر من النبيين الذين هم أعلم الناس بذلك.

وأما غير الغلاة فيزعمون أن الأنبياء يعلمون حقائق هذه الأمور، ولكنهم ذكروا للناس أمورا تخييلية لا تطابق الحق؛ لتقوم مصلحة الناس، فزعموا أن مصلحة العباد لا تقوم إلا بهذه الطريقة التي تتضمن كذب الأنبياء في أعظم الأمور وأهمها.

فالطائفة الأولى حكمت على الرسل بالجهل. والطائفة الثانية حكمت عليهم بالخيانة والكذب.

هذا هو قول أهل التخييل فيما يتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر.

أما في الأعمال فمنهم من يجعلها حقائق يؤمر بها كل أحد، ومنهم من يجعلها تخييلات ورموزا يؤمر بها العامة دون الخاصة، فيؤولون الصلاة بمعرفة أسرارهم، والصيام بكتمانها، والحج." (٢)

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ابن عثيمين ص/٩٧

(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ابن عثيمين ص/٩٨

"بالسفر إلى شيوخهم ونحو ذلك. وهؤلاء هم الملاحدة من الإسماعيلية والباطنية ونحوهم.

وفساد قول هؤلاء معلوم بضرورة الحس، والعقل، والشرع فإننا نشاهد من الآيات الدالة على وجود الله وكمال صفاته ما لا يمكن حصره:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد فإن هذه الحوادث المنتظمة لا يمكن أن تحدث إلا بمدبر حكيم قادر على كل شيء.

والإيمان باليوم الآخر دلت عليه جميع الشرائع، واقتضته حكمة الله البالغة، ولا ينكره إلا مكابر، أو مجنون.

وأهل **التخييل** لا يحتاجون في الرد عليهم إلى شيء كثير؛ لأن نفور الناس عنهم معلوم ظاهر.

٢ - وأما أهل التأويل فهم: المتكلمون من الجهمية والمعتزلة وأتباعهم.

وحقيقة مذهبهم أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، من نصوص الصفات مجاز لم يقصد به ظاهره، وإنما المقصود به معان تخالفه، يعلمها النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه تركها للناس يستنتجونها بعقولهم، ثم." (١)

"يحاولون صرف ظواهر النصوص إليها، وغرضه بذلك امتحان عقولهم، وكثرة الثواب بما يعانونه من محاولة صرف الكلام عن ظاهره، وتنزيله على شواذ اللغة وغرائب الكلام.

وهؤلاء هم أكثر الناس اضطرابا وتناقضا؛ لأنهم ليس لهم قدم ثابت فيما يمكن تأويله وما لا يمكن، ولا في تعيين المعنى المراد.

ثم إن غالب ما يزعمونه من المعاني يعلم من حال المتكلم وسياق كلامه أنه لم يرده في ذلك الخطاب المعين الذي أولوه.

وهؤلاء كانوا يتظاهرون بنصر السنة، ويتسترون بالتنزيه، ولكن الله تعالى هتك أستارهم برد شبهاتهم ودحض

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ابن عثيمين ص/٩٩

حججهم، فلقد تصدى شيخ الإسلام وغيره للرد عليهم أكثر من غيرهم (١) ؛ لأن الاغترار بهم أكثر من الاغترار بغيرهم؛ لما يتظاهرون به من نصر السنة.

فصل

مذهب أهل التأويل في نصوص المعاد: الإيمان بها على حقيقتها من غير تأويل، ولما كان مذهبهم في نصوص الصفات صرفها عن حقائقها إلى معان مجازية تخالف ظاهرها، استطال عليهم أهل **التخييل** فألزموهم القول بتأويل نصوص المعاد كما

(١) -انظر: الرد عليهم (ص٦٩) في الباب العشرين.." (١)

"فعلوا في نصوص الصفات. فقال أهل التأويل لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم، جاء بإثبات المعاد، وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه، فلزم القول بثبوته. اهـ.

وهذا جواب صحيح، وحجة قاطعة، تتضمن الدفاع عنهم في عدم تأويلهم نصوص المعاد وإلزام أهل **التخييل** أن يقولوا بإثبات المعاد، وإجراء نصوصه على حقائقها؛ لأنه إذا قام الدليل، وانتفى المانع وجب ثبوت المدلول.

وقد احتج أهل السنة على أهل التأويل بهذه الحجة نفسها؛ ليقولوا بثبوت الصفات وإجراء نصوصها على حقيقتها، فقالوا لأهل التأويل: "نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم، جاء بإثبات الصفات لله، وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه، فلزم القول بثبوتها". وهذا إلزام صحيح وحجة قائمة لا محيد لأهل التأويل عنها؛ فإن من منع صرف الكلام عن حقيقته في نصوص المعاد يلزمه أن يمنعه في نصوص الصفات التي هي أعظم وأكثر إثباتا في الكتب الإلهية من إثبات المعاد، وإن لم يفعل فقد تبين تناقضه وفساد عقله.." (٢)

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ابن عثيمين ص/١٠٠

(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ابن عثيمين ص/١٠١

"عن نفسه، ولا عن اليوم الآخر، بل ينكرون حقائق هذا وهذا.

فمذهبهم فيما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر أنه **تخييل** لا حقيقة له.

وأما في الأمر والنهي فكثير منهم يجعلون للمأمورات والمنهيات تأويلات باطنة تخالف ما يعرفه المسلمون منها، فيقولون: المراد بالصلوات معرفة أسرارهم، وبالصيام كتمان أسرارهم، وبالحج السفر إلى شيوخهم ... ونحو ذلك مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام أنه كذب وافتراء وكفر وإلحاد.

وقد يقولون: إن الشرائع تلزم العامة دون الخاصة، فإذا وصل الرجل إلى درجة العارفين والمحققين عندهم ارتفعت عنه التكاليف، فسقطت عنه الواجبات وحلت له المحظورات.

وقد يوجد في المنتسبين إلى التصوف والسلوك من يدخل في بعض هذه المذاهب.

وهؤلاء الباطنية هم الملاحدة، الذين أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى لعظم إلحادهم ومخالفتهم لجميع الشرائع الإلهية.

* المثل الثاني: الروح التي بها الحياة: وهي أقرب شيء إلى الإنسان، بل هي قوام الإنسان، وقد وصفت في النصوص بأنها تقبض من البدن، ويصعد بها إلى السماء، وتعاد إلى البدن، ولا ينكر أحد وجودها حقيقة.

وقد عجز الناس عن إدراك كنهها وحقيقتها، إلا ما علموه عن طريق الوحي، واضطربوا فيها اضطرابا كثيرا لكونهم لا يشاهدون لها نظيرا:

- فمنهم طوائف من أهل الكلام: جعلوها البدن، أو جزءا منه، أو صفة." (١)

"فيقول له القوم الآخرون: نفي جميع الصفات لأن العقل لا يدل عليها، أو لأن العقل دل على نفيها.

فلا يستطيع الأول أن يرد على هؤلاء لأنه إذا رد عليهم بأن العقل يثبت ذا وينكر ذا أو لا يثبته قال: أنا عقلي لا يثبت ما تثبت وما دام المرجع هو العقل فإن ما أنكرته أنت بحجة العقل فأنا أنكر ما أنكر بحجة العقل

ولكن الأمر لا ينتهي عند موضوع الصفات. بل يأتينا أهل **التخييل** الذين أنكروا اليوم الآخر، وأنكروا رسالة الرسل بل أنكروا وجود الله رأسا – والعياذ بالله – فيقولون: عقولنا لا تقبل أن تحيا العظام وهي رميم، لا تقبل وجود جنة ولا نار، فيحتجون بالعقل كما احتج هؤلاء بالعقل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -:

---

(١) تقريب التدمرية ابن عثيمين ص/٤٣

وإثبات الصفات في القرآن والسنة أكثر من إثبات المعاد، فأي إنسان ينكر الصفات فإنه لا يمكن أن يدفع إنكار من أنكر المعاد، ولا ريب أن إنكار المعاد، وإنكار الشرائع إبطال للدين كله، والخلاص من هذا هو إتباع طريق السلامة أن نثبت ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، وننفي ما نفاه الله عن نفسه." [١]

"أبو بكر من أفصح الناس وأخطبهم

ليست الفصاحة التشدق بالكلام، ولا سجع الكلام، ولا كان في خطباء العرب من الصحابة وغيرهم تكلف الأسجاع، ولا تكلف التحسين الذي يعود إلى مجرد اللفظ الذي سمي «علم البديع» كما يفعله المتأخرون من أصحاب الخطب والرسائل والشعر، وإنما البلاغة المأمور بها في مثل قوله تعالى: ﴿وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾ (١) هي «علم المعاني والبيان» فيجمع صاحبها بين تكميل المعاني المقصود وبين تبيينها بأحسن وجه (٢) .

وأكثر الخطب التي ينقلها صاحب «نهج البلاغة» كذب على علي، وعلي أجل وأعلا قدرا من أن يتكلم بذلك الكلام؛ ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح، فلا هي صدق، ولا هي مدح.

لا ريب أن عليا كان من أخطب الناس، وكان أبو بكر خطيبا، وعمر خطيبا، وكان ثابت بن قيس بن شماس خطيبا معروفا بأنه خطيب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ... كما كان حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة شعراءه.

ولكن كان أبو بكر رضي الله عنه يخطب عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في

---

(١) سورة النساء: ٦٣.

(٢) وأما تكلف الأسجاع والأوزان والجناس والتطبيق ونحو ذلك مما يتكلفه متأخرو الشعراء والخطباء والمرسلين والوعاظ فهذا لم يكن من دأب خطباء الصحابة والتابعين والفصحاء منهم، ولا كان ذلك مما يهتم به العرب، وغالب من يعتمد ذلك يزخرف اللفظ بغير فائدة مطلوبة من المعاني، كالمجاهد الذي يزخرف السلاح وهو جبان، ولهذا يوجد الشاعر كلما أمعن في المدح والهجو خرج في ذلك إلى الإفراط في الكذب، يستعين بالتخييلات أو التمثيلات. (منهاج جـ٤/ ١٥٨، ١٥٩) .." [٢]

---

(١) أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها ابن عثيمين ص/٢٩

(٢) أبو بكر الصديق أفضل الصحابة، وأحقهم بالخلافة محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ص/٦٢

"في كتابه المعروف بدرء تعارض العقل والنقل، وذكر الأدلة على ذلك، وقال هذا الذي فتح علينا باب الفلاسفة (١) ، وهذا الذي جعل أهل **التخييل** ينكرون اليوم الآخر والجنة والنار، وقالوا: إذا كنتم لا تعلمون معاني هذه الصفات فنحن نعلمها، وإذا كنتم لا تعرفون ما يتعلق بالرب فنحن نعرف ما يتعلق بالرب؛ فقالوا: الرب كله ليس له أصل، وإنما هو تخويف من عباقرة من البشر من اجل أن يستقيم الناس على ما طلب منهم.

وصدق شيخ الإسلام رحمه الله فيما قال: إذ كيف ينزل الله علينا كتابا، ورسوله عليه الصلاة والسلام يخبرنا بأخبار فيما يتعلق بذات الرب عز وجل وصفاته، ويقال: كل هذا ليس له معنى، ولا يجوز أن نتكلم في معناه؟ .

هذا من أعظم ما يكون من الإلحاد والكفر، وفيه من الاستهانة بالقرآن الكريم والذم له ما لا يعلمه ألا من تأمل هذا القول الفاسد الباطل.

القسم الخامس: قالوا: نحن لا نتكلم بل علينا أن نمسك. فيجوز أن يكون المراد بها الظاهر اللائق بالله ويجوز أن المراد بها الظاهر المماثل للمخلوقين ويجوز أن يكون المراد بها خلاف الظاهر ويجوز أن لا يكون المراد بها شيء، كل هذا ممكن وجائز، وما دامت الاحتمالات قائمة فالواجب الإمساك.

والفرق بينهم وبين المفوضة أن المفوضة يقولون: لا نقول شيئا أبدا، وهؤلاء يقولون: يحتمل كذا، وكذا، وكذا، وكذا، ونكف عن القول لان

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ١/٢٠٥.." (١)

"ولا سيما أن تركه فيه ما يعرضه لمصاعب نفسية واجتماعية لا يقوى على تحملها فسوف يكون في تحملها انتحاره.

وعلى الرغم من أن المقدس تكتنفه تلك الصعوبات أو كما وصفه القرآن بقوله١: ﴿إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾ .

وقوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ ٢.

نقول: على الرغم من تلك التبعات وجد بجانب الأديان الصادقة والنبوءات الصادقة أديان كاذبة؛ أي: وجد

---

(١) شرح العقيدة السفارينية ابن عثيمين ص/٢٨

بجانب المقدس الحقيقي مقدس غير حقيقي.

معنى ذلك -كما يفيدنا التاريخ- أن في الإنسان جانبا يحب الالتزام ببعض المبادئ وعليه أن يرعاه بالاعتقاد المقدس، فطلبا لحاجات الإنسان الروحية تبني متنبئون كثيرون هذا الجانب وأثروه بما شاءوا له من ثروات وبما طاب لهم من قول.

فالنبوءات الكاذبة توسع **وتخييل** في مفهوم المقدس، وقلنا: "توسع"؛ لأنها في حقيقة الأمر ليست من عند الله، لا وحيا ولا تكليفا، وتبين لنا في وضوح أن وجود الشيء المقدس الذي حمل الإنسان نفسه عليه كان لا يرى فيه أنه يلغي حريته؛ لأن عدم وجوده دعاه إلى طلبه وأعانه عليه شعوره بالحاجة إليه.

كذلك النبوءات الكاذبة: هي التي شلت العقل الشرقي عن أن يتابع وظيفته، وكان دور العقل معها شاقا وعسيرا حينما عزلته عن مناقشتها أو حتى عن فهم رمزها كما عرضت الأنبياء الصادقين لمحن القتل والاضطهاد وهم بصدد تحرير الفكر البشري والتشريع الإلهي من زيف المزيفين، وقد لبست النبوءات الكاذبة ثوب الصادقين؛ لتلبي حاجة الإنسان الضرورية إلى المقدس الحقيقي، وفي ذلك كله ما يؤكد أن في الإنسان حبا وميلا طبعيا يدفعانه إلى الالتزام بمبادئ مقدسة إن غابت يبحث عنها في نفسه ويصاب بالقلق إن لم يجدها، ويبحث عنها المجتمع إن غابت عنه؛ فهي عامل أساسي في بنائه وتوجيه علاقاته.

---

١ الآية ٥ من سورة المزمل.

٢ الآية ٧٢ من سورة الأحزاب.." (١)

"١- الآلة التي يسحر بها.

٢- ويطلق ويراد به: فعل السحر.

الآلة التي يسحر بها قد تكون معنى من المعاني: كالرقى والنفث في العقد، وقد تكون من المحسوسات؛ كتصوير الصورة على المسحور وتارة بجمع الأمرين وهو أبلغ.

والسحر: **تخييل** فقط ولا حقيقة له.

٣- فاطمة بنت النعمان النجارية: كان لها تابع من الجن ويزعمون أن تابعها كان إذا جاءها اقتحم عليها بيتها، وفي أول البعث جاءها وقعد على حائط الدار فقالت له: لم لا تدخل؟ قال: قد بعث نبي بتحريم الزنا.

---

(١) تاريخ الفكر الديني الجاهلي محمد إبراهيم الفيومي ص/١٨

٤- أخطر بن مالك من أعلم الكهان وعنده علم النجوم ينسبون إليه:

يا معشر أعني بني قحطان ... أخبركم بالحق والبيان

أقسمت بالكعبة والأركان ... والبلد المؤتمن السدان

قد منع السمع عتاة الجان ... بثاقب بكف ذي سلطان

من أجل مبعوث عظيم الشأن ... يبعث بالتنزيل والقرآن

وبالهدى وفواصل القرآن ... تبطل به عبادة الأوثان

فقالوا: وماذا ترى لقومك؟ فقال:

أرى ـلقومي ما أرى لنفسي ... أن يتبعوا خير نبي الإنس

برهانه مثل شعاع الشمس ... يبعث في مكة دار الحمس

بمحكم التنزيل غير اللبس

فقلنا: يا أخطر من هو؟

فقال: والحياة والعيش، وإنه لمن قريش، ما في حلمه طيش، وما في خلقه طيش.. أخبرني به رئيس الجان.

---

١ سيرة ابن هشام "١٤: ١٢٥".." (١)

"١- ويقال أن جنيا من بطن اليمن كان لقومه كاهن في الجاهلية سألوه عن الرسول عندما انتشر أمره بين العرب فقال:

أيها الناس إن الله أكرم محمدا واصطفاه.

وجنى مذحج وهم: عبد الله، وأنس الله، وزيد الله، وأوس الله.

قال ابن إسحاق: وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى، وكلها من العرب قد تحدثوا بأمر الرسول قبل مبعثه لما تقارب من زمانه.

- أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى، فمما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم فيه.

وقال النووي: إن له حقيقة١.

والذي قال تخييل جعله انقلاب عين، والذي جعله حقيقة جعل له تأثيرا على المزاج فيكون نوعا من

---

(١) تاريخ الفكر الديني الجاهلي محمد إبراهيم الفيومي ص/٥٢٩

الأمراض أو تأثيرا بحالة الجماد الحيوان.

ونحن نرى أن ما يقع منه لا يخرج عن كونه خيالات باطلة، ولما كان السحر يشبه خوارق العادات رأى العلماء أن يفرقوا بينه وبين غير من الكرامة والمعجزة.

١- السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد، وقال الجويني نقلا بالإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق، وقال القرطبي: كذلك "السحر" حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، وحده الوقوف على ظواهر الأشياء وأكثرها **تخييلات** بغير حقيقة، وإيهامات بغير ثبوت.

الكرامة: لا تحتاج إلى ذلك من أقوال الناس أو أفعالهم، أوتعلم إنما تقع غالبا اتفاقا وأنها لا تظهر، على فاسق.

المعجزة: مثل الكرامة غير أنها تمتاز عنها بالتحدي.

---

١ فتح الباري "١٠: ١٨٠".." [1]

"قال: قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين؟ قلت: لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال إظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه ".

* * *

(الرد على الزمخشري)

وقد رد عليه أبو حيان في البحر هذا الفهم السقيم فقال: " وفي هذا السؤال والجواب غض من منصب النبوة وسوء أدب على الأنبياء ونسبته إليه مما لا يليق بهم، وإذا كان - صلى الله عليه وسلم - يقول: " لم يكن لنبي خائنة الأعين " أو كما قال وهي الإشارة فكيف يكون له النطق بشيء على سبيل **التخييل** حاشا منصب الأنبياء عن ذلك ولكن هذا الرجل مسرح الألفاظ في حق الأنبياء بما لا يليق بحالهم ".

ومما يتصل بهذا البحث في قوله تعالى: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) الآية، البحث في قوله تعالى: (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٨٤)).

وذلك أن المراد بها المنافقون الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للجهاد

---

(١) تاريخ الفكر الديني الجاهلي محمد إبراهيم الفيومي ص/٥٣٠

الذين أشير إليهم بقوله: تعالى: (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله." (١)

"وغضبه بعد رضاه ورضاه بعد غضبه: حوادث، وعلى تسمية الغاية التي يفعل ويتكلم لأجلها: غرضا، واستقر ذلك في قلوب المتلقين عنهم، فلما صرحوا لهم بنفي ذلك بقي السامع متحيرا أعظم حيرة بين نفي هذه الحقائق التي أثبتها الله لنفسه، وأثبتها

له جميع رسله وسلف الأمة بعدهم، وبين إثباتها، وقد قام معه شاهد نفيها بما تلقاه عنهم؛ فمن الناس من فر إلى **التخييل**، ومنهم من فر إلى التعطيل، ومنهم من فر إلى التجهيل، ومنهم من فر إلى التمثيل، ومنهم من فر إلى الله ورسوله وكشف زيف هذه الألفاظ وبين زخرفها وزغلها وأنها ألفاظ مموهة بمنزلة طعام طيب الرائحة إنا حسن اللون والشكل، ولكن الطعام مسموم، فقالوا ما قاله إمام أهل السنة –باتفاق أهل السنة – أحمد بن حنبل: ((لا نزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين)) .

ولما أراد المتأولون المعطلون تمام هذا الغرض اخترعوا لأهل السنة الألقاب القبيحة فسموهم: حشوية، ونوابت، ونواصب، ومجبرة، ومجسمة، ومشبهة، ونحو ذلك، فتولد من تسميتهم لصفات الرب تعالى وأفعاله ووجهه ويديه وحكمته بتلك الأسماء، وتلقيب من أثبتها له بهذه الألقاب: لعنة أهل الإثبات والسنة وتبديعهم وتضليلهم وتكفيرهم وعقوبتهم ولقوا منهم ما لقي الأنبياء وأتباعهم من أعدائهم، وهذا الأمر لا يزال في الأرض إلى أن يرثها الله ومن عليها) انتهى.

إمام المتقين: (١)

يروى عن عبد الله بن عكيم الجهني، مرفوعا: ((إن الله أوحى إلي في: علي، ثلاثة أشياء ليلة أسري بي: أنه سيد المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين)) . رواه الطبراني في ((المعجم الصغير)) ، وقال: ((تفرد به مجاشع)) .

---

(١) (إمام المتقين: المنتقى من منهاج السنة للذهبي / ٤٧٣. المعجم الصغير للطبراني ص/٢١٠. ومجمع الزاوائد ١٢١/٩، وعنهما في: السلسلة الضعيفة برقم /٣٥٣.." (٢)

---

(١) آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والإجتهاد عويد المطرفي ص/١٩٣

(٢) معجم المناهي اللفظية بكر أبو زيد ص/١٤٦

"حقيقة إيمان الفلاسفة بأركان الإيمان

قال المصنف رحمه الله: [قوله: (ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين) .

هذه الأمور من أركان الإيمان.

قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ [البقرة:٢٨٥] الآيات.

وقال تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة:١٧٧] الآية.

فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ [النساء:١٣٦] ، وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته حديث جبريل وسؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) .

فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع، فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس لها إنكارا الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر، فإن مذهبهم أن الله سبحانه موجود لا ماهية له ولا حقيقة، فلا يعلم الجزئيات بأعيانها، وكل موجود في الخارج فهو جزئي، ولا يفعل عندهم بقدرته ومشيئته، وإنما العالم عندهم لازم له أزلا وأبدا، وإن سموه مفعولا له، فمصانعة ومصالحة للمسلمين في اللفظ، وليس عندهم بمفعول ولا مخلوق ولا مقدور عليه، وينفون عنه سمعه وبصره وسائر صفاته! فهذا إيمانهم بالله.

وأما كتبه عندهم، فإنهم لا يصفونه بالكلام، فلا يكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر، متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: قوة الإدراك وسرعته، لينال من العلم أعظم ما يناله غيره، وقوة النفس، ليؤثر بها في هيولى العالم يقلب صورة إلى صورة، وقوة **التخييل**، ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة، وهي الملائكة عندهم، وليس في

الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وترى وتخاطب الرسول، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان.

وأما اليوم الآخر، فهم أشد الناس تكذيبا وإنكارا له في الأعيان، وعندهم أن هذا العالم لا يخرب، ولا تنشق السماوات ولا تنفطر، ولا تنكدر النجوم، ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم ويبعثون إلى جنة ونار، كل هذا عندهم أمثال مضروبة لتفهيم العوام، لا حقيقة لها في الخارج كما يفهم منها أتباع الرسل، فهذا إيمان هذه الطائفة – الذليلة الحقيرة – بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وهذه هي أصول الدين الخمسة] .

قد ذكرنا أن الإيمان له أركان ستة، وأنها ذكرت في القرآن، قال تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة:١٧٧] هذه بعض أركان الإيمان، وقال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ [البقرة:٢٨٥] وهذه أيضا من أركان الإيمان، ولقد مدح الله المؤمنين بها، وقال تعالى في ذم الذين يكذبون بها في قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ [النساء:١٣٧] والمراد بإيمانهم هو تصديقهم بشيء ثم تكذيبهم به، وإيمانهم بشيء آخر أو نحو ذلك، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ [النساء:١٣٦] أمرنا أن نؤمن بالله، وأن نؤمن برسله، ونؤمن بالكتب المنزلة على الأنبياء قبلنا، وبالكتاب المنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام، وأخبر بسوء وعاقبة من كذب بهذه الأركان الخمسة.

ولا شك أن الإيمان بها يستلزم اعتقادها واعتقاد صحتها، وإذا كنا نؤمن بالله تعالى، فمن أي شيء نأخذ صفات ربنا؟ نأخذها من كلامه ومن كلام رسوله، فنؤمن بما جاء في صفاته سبحانه من صفات الكمال، وننزهه عما نزه نفسه عنه من صفات النقص، هذا كمال الإيمان بالله تعالى.." (١)

"الإيمان بالرسل عند الفلاسفة

الرسل عند الفلاسفة لم ينزل عليهم الوحي، ولكن الرسل عندهم أناس أذكياء لهم فطنة استطاعوا بفطنتهم وبذكائهم أن يلبسوا على الناس وأن يقولوا: إنما أنزل علينا، وإننا مشرعون، وجاءنا الشرع، وإننا رسل من الله، ولم يكن هناك رسالة، ولم يكن هناك شرع، وإنما أرادوا أن يكون لهم أتباع، فصار لهم أتباع بهذه

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٢/٣٦

الفكرة، هذه عقيدتهم في الرسل، ويسمون ذلك: **تخييلا**، ولا شك أنهم ما آمنوا بالرسل حقيقة الإيمان.." (١)

"الإيمان بالبعث

قال المؤلف رحمه الله: [قوله: (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب والثواب والعقاب، والصراط والميزان) الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه في غالب سور القرآن.

وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالآخرة، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون، ومحمد صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفي؛ بين تفصيل الآخرة بيانا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء؛ ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد صلى الله عليه وسلم، وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب **التخييل** والخطاب الجمهوري.

والقرآن بين معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد صلى الله عليه وسلم على طريق **التخييل**، وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام.

وقد أخبر الله بها من حين أن أهبط آدم، فقال تعالى: ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ [الأعراف:٢٤-٢٥] ، ولما قال إبليس اللعين: ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [الحجر:٣٦-٣٨] .

وأما نوح عليه السلام فقال: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾ [نوح:١٧-١٨] .

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء:٨٢] إلى آخر القصة، وقال: ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ [إبراهيم:٤١] ، وقال ﴿رب أرني كيف تحي

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٤/٣٦

الموتى﴾ [البقرة:٢٦٠] .
وأما موسى عليه السلام فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ [طه:١٥-١٦] بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وإنما آمن بموسى قال تعالى حكاية عنه: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ [غافر:٣٢-٣٣] إلى قوله تعالى: ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار﴾ [غافر:٣٩] إلى قوله: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [غافر:٤٦] .
وقال موسى: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك﴾ [الأعراف:١٥٦] ، وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ [البقرة:٧٣]] .
هذا الكلام وما بعده يتعلق بالبعث بعد الموت، الذي هو بعث الأجساد وحشرها، ونشرها، وإعادة الأرواح إلى الأجساد، وجمع الأجساد بعد أن بليت وبعد أن صارت ترابا، وبعد أن تمزقت وتفرقت، فيبعثها الله، ويعيد إليها الحياة، وتتصل بها أرواحها اتصالا أبديا محكما ليس بعده انفصال، ليس كاتصالها بها في الدنيا الذي يعتريه شيء من الانفصالات، هذا هو البعث بعد الموت، فمتى يكون؟ يكون يوم القيامة عندما ينفخ في الصور، وقيل: إن الصور هو قرن واسع كبير، فيه ثقوب بعدد أرواح بني آدم، ينفخ فيه إسرافيل فتخرج كل روح من ثقب وتصل إلى جسدها، وقبل النفخ في الصور ينزل الله مطرا فتنبت منه أجسادهم، والله قادر على أن ينبتها بدون مطر وغيره، كما في هذه الآية: ﴿والله أنبتكم من الأرض﴾ [نوح:١٧] (أنبتكم) يعني: أخرجكم إلى هذا الوجود.." (١)
"المؤمنون بعضهم أولياء بعض
المؤمنون بعضهم يتولى بعضا، يقول تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ [الأنفال:٧٢] ، هكذا أخبر (بعضهم أولياء بعض) كما أن الكفار يتولى بعضهم بعضا، كما أخبر الله في قوله تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ [الأنفال:٧٣] يعني: لا تتولوا أعداء الله، بل يكفيكم أن تكونوا جميعا أولياء لله وأولياء لبعضكم، يكفيكم أن يتولاكم الله وأن تكونوا من أولياء الله.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٢/٦٣

هذه عقيدتنا، ونرجو إن شاء الله أن نتوفى على هذه العقيدة، وهي أن المسلمين والمؤمنين بعضهم أولياء بعض، وأن من تولى الله فإنه من أوليائنا، وأن جميع من آمن واتقى فهو من أولياء الله.

وقد ذهبت الصوفية إلى أن هناك أولياء خصيصون، فهم يسمون الأولياء، وأما بقية المؤمنين فلا يصلون إلى درجة الولاية، وجعلوا الذي سموه وليا أرفع رتبة من النبي، وجعلوا النبي أرفع رتبة من الرسول، وهذا مخالفة لشرع الله، ومر بنا في الشرح البيت الذي يستشهدون به، وهو قولهم: مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي فجعلوا النبوة منزلة وسطى، وجعلوا الرسول المنزلة الدنيا، والولي المنزلة الرفيعة، فقالوا: إن الولي هو الأعلى، ويليه النبي، وأنزل منه الرسول، فمقام النبوة جعلوه في الوسط: فويق الرسول ودون الولي هكذا مثلوا، وفضلوا كثيرا ممن سموهم أولياء على جميع الرسل، وفضلوهم على الأنبياء، وقالوا: إن الولي غني عن الشرع، وغني عن القرآن، وغني عن هذا الدين، لماذا؟ لأن له ولاية رقته إلى رتبة عالية، فأصبح يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي ينزل على الأنبياء والرسل، وروح هذا الولي عندهم تتصل بالملأ الأعلى، وتطلع على اللوح المحفوظ، وتأخذ منه المعلومات، وتنال منه مرادها، ويستغني الولي عن هذا الشرع، وعن هذا القرآن، وعن هذه العبادات كلها؛ ولأجل ذلك جعلوه في رتبة عالية، وقالوا: إنه يأخذ بسره أو بسريرته، وأنه يحدثه قلبه عن ربه، يقول بعض الأولياء: حدثني قلبي عن ربي، ويسمون ذلك مكاشفة أو باطنا من البواطن التي لا يطلعون عليها غيرهم.

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان: إن قلت قال الله قال رسوله همزوك همز المنكر المتغالي أو قلت قد قال الصحابة والأولى تبعوهم في القول والأفعال أو قلت قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة والإمام العالي أو قلت قال صحابهم من بعدهم فالكل عندهم كشبه خيال لا يعتبرون بذلك كله، ويقول: قلبي قال لي عن سره عن سر سري عن صفا أحوالي عن حضرتي عن فطرتي عن خلوتي عن شاهدي عن وافدي عن حالي عن صفو وقتي عن حقيقة مشهدي عن سر ذاتي عن صفات فعالي دعوى إذا حققتها ألفيتها ألقاب زور لفقت بمحال نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم نبذ المسافر فضلة الآكال هذه الاصطلاحات التي اتفقوا عليها يدعون أنهم تفوقوا بها على المسلمين وعلى الإسلام وعلى أولياء الله المؤمنين من الصحابة والتابعين ونحوهم، ويستغنون بها في زعمهم عن الشرع الشريف وعن أهله، وقد حدث من آثار ذلك أنهم عظموا هؤلاء الذين ادعوا أنهم أولياء أو ادعوا لهم الولاية، وعبدوهم من دون الله، فما عبدت القبور إلا بالغلو في الصالحين، فإن الشيطان صار يزين لهم أن هذا ولي، وقد سقطت عنه التكاليف، وأنه لا حرج عليه فيما يفعل، وأنه قد ارتقى قلبه إلى ربه، وأنه مستغن عن الشرع وعن أهل الشرع، ف السيد البدوي المشهور بطنطا

في مصر إلى الآن يعتقدون أنه لا يدخل مصر أحد إلا من بعد أن يأذن له السيد البدوي، فهو الذي يتصرف في الكون كله، وعندهم أنه مالك الملك، تعالى الله عن قولهم، فلأجل ذلك لا ينكرون عليه ترك العبادة، سمعت من بعض المشايخ يقول: إنه عرف أنه دخل مرة المسجد، والناس في الصلاة. فبال في المسجد وخرج ولم يصل، فسمعوه وقالوا: مجذوب مجذوب، قلبه عند ربه، وجعلوا يتمسحون به! وأمثاله كثير، ولا يكون عليهم أي حرج، ويسمونهم الأولياء، وأنهم لا حرج عليهم في أي شيء، كما قال الصنعاني رحمه الله: كقوم عراة في ذرى مصر ما ترى على عورة منهم هناك ثياب يعدونهم في مصرهم من خيارهم دعاؤهم فيما يرون مجاب يمشون عراة، ويقولون: لا حرج عليهم، قلوبهم في الملأ الأعلى، يشتغلون عن الشرع! هكذا وصلت الحال بهم إلى أن أسقطوا عنهم -بزعمهم- التكاليف، وإذا رأوا مجنونا من هؤلاء المجانين الذين رفع القلم عنهم لفقد عقله، أخذوا يتمسحون به، وقالوا: هذا ولي من أولياء الله، وإذا مات أحدهم فشيع، يزعمون أن الملائكة تحمله، وإذا جعلوه فوق السرير على النعش، يخيل إليهم أنه قد ارتفع عن المناكب، وأنه يطير في الهواء على نعشه، وكل هذا تخييل من الشيطان، وهكذا كل الذين عبدوا من دون الله، فإنهم ما عبدوا إلا بسبب أن الجهلة غلوا فيهم، واعتقدوا فيهم أنهم أولياء لله من دون الناس.." (١)

"أنواع السحرة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع: نوع منهم: أهل تلبيس وكذب وخداع، الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له، أو يدعي الحال من أهل المحال، من المشايخ النصابين، والفقراء الكاذبين، والطرقية المكارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات، أو يطلب تغيير شيء من الشريعة، ونحو ذلك.

ونوع: يتكلم في هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة بأنواع السحر.

وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر، كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثور عن الصحابة كـ عمر وابنه وعثمان وغيرهم.

ثم اختلف هؤلاء: هل يستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسحر أو يقتل لسعيه في الأرض بالفساد؟ وقال طائفة: إن قتل بالسحر يقتل، وإلا عوقب بدون القتل إذا لم يكن في قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعي، وهو قول في مذهب أحمد.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٣/٩١

وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه: والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه.

وزعم بعضهم أنه مجرد **تخييل.**

واتفقوا كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة، أو غيرها، أو خطابها، أو السجود لها، والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك؛ فيجب غلقه، بل سده، وهو من جنس فعل قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا قال ما حكى الله عنه بقوله: ﴿فنظر نظرة في النجوم * فقال إني سقيم﴾ [الصافات:٨٨-٨٩] ، وقال تعالى: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا﴾ [الأنعام:٧٦] الآيات إلى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام:٨٢] .

واتفقوا كلهم أيضا على أن كل رقىة وتعزيم أو قسم فيه شرك بالله فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به؛ لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا) .

ولا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك فقال تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ [الجن:٦] قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح: (فزادوهم رهقا) يعني: الإنس للجن باستعاذتهم بهم، (رهقا) أي: إثما وطغيانا وجراءة وشرا؛ وذلك أنهم قالوا: قد سدنا الجن والإنس! فالجن تعاظم في أنفسها وتزداد كفرا إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة، وقد قال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ [سبأ:٤٠-٤١] ، فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم وأنها تنزل عليهم ضالون، وإنما تنزل عليهم الشياطين، وقد قال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم﴾ [الأنعام:١٢٨] ، فاستمتاع الإنسي بالجني: في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات ونحو ذلك، واستمتاع الجن بالإنس: تعظيمه إياه، واستعانته به، واستغاثته، وخضوعه له.

ونوع منهم: يتكلم بالأحوال الشيطانية والكشوف، ومخاطبة رجال الغيب، وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله، وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين! ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين؛ لكون المسلمين قد عصوا!! وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين] .." (١)

"قلب الساحر لحقائق الإنس

Q هل الساحر يستطيع تحويل صورة الإنسان إلى بهيمة أم أن هذا **تخييل** فقط؟

A يذكر الذين شاهدوا الوقائع أنه واقع، وأشار إلى ذلك ابن جرير في تفسيره، وكذلك أيضا بعض الوقائع، وصفة ذلك أن الشيطان يلابس ذلك الإنسان، فمعلوم أن الجن والشياطين لهم قدرة على التشكل الجني، ونحن لا نراه ولكن قد نسمع كلامه ولا نرى شخصه، ولكن له قدرة على التشكل، فتارة يظهر بصفة كلب، وتارة بصورة قط، وتارة بصورة وعل، وتارة بصورة إنسان، وتارة بصورة حية كما ورد ذلك في الحديث الذي فيه قوله (إن في هذه الدور جنا مسلمين يتمثلون بصورة حيات) ، فإذا كان كذلك فلا مانع من أنه إذا لابسه قلب هيكله بإذن الله تعالى إلى صورة حيوان أو نحوه على ما يريد الذي سلطه.." (٢)

"والورود والتعظيم، وكلما زار البلاد التي فيها مثل هذه النصب زعيم، جاء هذا النصب وقدم له هدية، وكل هذا من عبادة الأنصاب، التي هي من عمل الشيطان.

الاستقسام بالأزلام:

الأمور المستقبلية من مكنون علم الله، ولذلك شرع لنا الرسول صلى الله عليه وسلم الاستخارة، إذا أردنا سفرا أو زواجا أو غير ذلك، نرجو من الله أن يختار لنا خير الأمور.

وأبطل الاستقسام بالأزلام، فإن السهام والقداح لا تعلم أين الخير ولا تدريه، فاستشارتها خلل في العقل، وقصور في العلم.

ومثل ذلك زجر الطير: كان من يريد سفرا، إذا خرج من بيته، ومر بطائر زجره، فإن تيامن، كان سفرا ميمونا، وإن مر عن شماله، كان سفرا مشؤوما ... ، وكل ذلك من الضلال.

١٥- السحر (١) :

ومما يضل به الشيطان أبناء آدم السحر، فهم يعلمونهم هذا العلم، الذي يضر ولا ينفع، ويكون هذا العلم

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٦/٩٥

(٢) اعتقاد أهل السنة ابن جبرين ١٥/١٨

سبيلا للتفريق بين المرء وزوجه، والتفريق بين الزوجين: يعده الشيطان من أعظم الأعمال التي يقوم بها جنوده كما سبق أن ذكرنا.

قال تعالى: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضآرين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) [البقرة: ١٠٢] .

هل للسحر حقيقة؟

اختلف العلماء في ذلك فمن قائل: إنه تخييل لا حقيقة له: (فإذا حبالهم

---

(١) بسط القول في السحر في مؤلف مستقل أ. د. عمر الأشقر عنون له بعنوان: عالم السحر والشعوذة.."

(١)

"وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) [طه: ٦٦] ، ومن قائل: إن له حقيقة كما دلت عليه آية البقرة، والصحيح أنه نوعان: نوع هو تخييل، يعتمد على الحيل العلمية وخفة الحركة، ونوع له حقيقة، يفرق به بين المرء وزوجه، ويؤذى به ...

سحر اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم:

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت:

" سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يخيل إليه أنه يفعل الشي وما فعله.

حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة – وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: (يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه (١) ؟ أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي.

فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب (٢) . قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة (٣) وجف طلع نخلة ذكر (٤) .

---

(١) أي أجابني فيما طلبته.

---

(١) عالم الجن والشياطين سليمان الأشقر، عمر ص/٨٣

(٢) أي مسحور.

(٣) المشاطة: شعر سقط من الرأس بعد تسريحه.

(٤) جف طلع نخلة، أي: غشاء الطلع.." [١]

"المخرج للجني ضعيفا، فتتقصد الجن إيذاءه، فعليه بكثرة الدعاء والاستعانة عليهم بالله، وقراءة القرآن، خاصة آية الكرسي.

الرقى والتعاويذ:

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى (١) : " وأما معالجة الموضوع بالرقى، والتعويذات فهذا من وجهين:

فإن كانت الرقى والتعاويذ مما يعرف معناها، ومما يجوز في دين الإسلام أن يتكلم به الرجل، داعيا الله، ذاكرا له، ومخاطبا لخلقه، ونحو ذلك، فإنه يجوز أن يرقي بها المصروع، ويعوذه، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى: ما لم يكن فيه شرك) (٢) ، وقال: (من استطاع منكم أن ينفع أخيه فلينفعه) (٣) .

وإن كان في ذلك كلمات محرمة، مثل أن يكون فيها شرك، أو كانت مجهولة المعنى، يحتمل أن يكون فيها كفر، فليس لأحد أن يرقي بها ولا يعزم، ولا يقسم، وإن كان الجني قد ينصرف عن المصروع بها، فإن ما حرمه الله ورسوله ضرره أكثر من نفعه.

وذكر في موضع آخر (٤) : " أن أرباب العزائم الشركية كثيرا ما يعجزون عن دفع الجني، وكثيرا ما تسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل الجني الصارع للإنس أو حبسه، فيخيلوا إليهم أنهم قتلوه أو حبسوه، ويكون ذلك **تخييلا** وكذبا.

استرضاء الجن:

وبعض الناس يحاولون استرضاء الجني الذي يصرع الإنسان بالذبح له، وهذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وروي أنه نهى عن ذبائح الجن.

وقد يزعم بعض الناس أن هذا من باب التداوي بالحرام، وهذا خطأ

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢٧٧/٢٤.

(٢) صحيح مسلم: ١٧٢٧/٤. ورقمه: ٢٢٠٠.

---

(١) عالم الجن والشياطين سليمان الأشقر، عمر ص/٨٤

(٣) صحيح مسلم: ٤/١٧٢٧. ورقمه: ٢١٩٩.

(٤) مجموع الفتاوى: ١٩/٤٦.." [1]

"الناس به في الآخرة بأمثال مضروبة لتفهيم ما يقوم بالنفس بعد الموت من اللذة والألم، لا بإثبات حقائق منفصلة يتنعم بها، ويتألم بها " (١) .

وحقيقة قول هؤلاء أن الله لم يكن صادقا في إخباره عن حقائق ما في المعاد، وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم، ولذلك سمى شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الصنف من المتفلسفة المخالف لما عليه المسلمون في أمر المعاد (بأهل التخييل) ، وقال فيهم: " فأهل التخييل " هم المتفلسفة ومن سلك سبلهم، من متكلم ومتصوف ومتفقه، فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى الخلق، ولا أوضح الحقائق " (٢) .

ويمكننا أن نصنف المكذبين بالبعث والنشور إلى ثلاثة أصناف:

الأول: الملاحدة الذين أنكروا وجود الخالق، ومن هؤلاء كثير من الفلاسفة الدهرية الطبائعية، ومنهم الشيوعيون في عصرنا. وهؤلاء ينكرون صدور الخلق عن خالق، فهم منكرون للنشأة الأولى والثانية، ومنكرون لوجود الخالص أصلا.

ولا يحسن مناقشة هؤلاء في أمر المعاد، بل يناقشون في وجود الخالق ووحدانيته أولا ثم يأتي إثبات المعاد بعد ذلك، لأن الإيمان بالمعاد فرع الإيمان بالله.

الثاني: الذين يعترفون بوجود الخالق، ولكنهم يكذبون بالبعث والنشور، ومن هؤلاء العرب الذين قال الله فيهم: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) [لقمان: ٢٥] وهم القائلون فيما حكاه الله عنهم: (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون - لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) [النمل: ٦٧-٦٨] .

وهؤلاء يدعون أنهم يؤمنون بالله، ولكنهم يدعون أن قدرة الله عاجزة عن إحيائهم بعد إماتتهم، وهؤلاء هم الذين ضرب الله لهم الأمثال، وساق لهم الحجج والبراهين لبيان قدرته على البعث والنشور، وأنه لا يعجزه شيء. ومن هؤلاء طائفة من اليهود يسمون بالصادوقيين، يزعمون أنهم لا يؤمنون إلا بتوراة موسى، وهم يكذبون بالبعث والنشور والجنة والنار.

الثالث: الذين يؤمنون بالمعاد على غير الصفة التي جاءت بها الشرائع السماوية.

---

(١) عالم الجن والشياطين سليمان الأشقر، عمر ص/١٥٥

(١) مجموع الفتاوي: ٢٣٨/١٣.

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام: ٣١/٥.." (١)

"وعبد، ومن يجعلون النبي محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو علة الأكوان، والمستوي على عرش الرحمن، ومبدع الأرض والسماوات إلى آخر هذا الكفر والهذيان مما يأباه من عنده أدنى إسلام وإيمان. . . هذه هي الولاية الصوفية في زعمهم جعلوها لهؤلاء كما جعلوها أيضا للمجانين والصبيان ولأهل التخاريف والهذيان حتى عدوا في أوليائهم من يأتي الحمارة في وضح النهار، وأمام الأسماع والأبصار وسلكوا في سلك الولاية الشيطانية هذه من يشرب الخمر جهارا نهارا، ويزني ويلوط عيانا بيانا، ويزعمون في كل ذلك أن هذا مظاهر غير مراد، وأنه نوع من **التخييل** للعباد، وأن الولي الصادق لا تضره معصية أبدا، أو أن الأعيان ينقلب له فالخمر التي يشاهدها الناس خمرا ينقلب في بطن الولي لبنا خالصا، والزانية الفاجرة التي يرى الناس الولي بصحبتها تكون زوجته، ولم يكتفوا بهذا أيضا في تعريف الولاية عندهم بل قالوا في الفكر الصوفي إن الولي يتصرف في الأكوان ويقول للشيء كن فيكون، وكل ولي عندهم قد وكله الله بتصريف جانب من جوانب الخلق فأربعة أولياء يمسكون العالم من جوانبه الأربعة، ويسمون الأقطاب، وسبعة أولياء آخرون كل منهم في قارة من قارات الأرض السبع ويسمون البدلاء. وعدد آخر من الأولياء في كل إقليم في مصر ثلاثون أو أربعون وفي الشام كذلك، والعراق وهكذا، وكل واحد من هؤلاء قد أوكل إليه التصريف في شيء ما، حتى عدو منهم من صرفه الله في رعاية الكلاب، ومنهم من له التصريف في رعاية الحيات، وفوق هؤلاء الأولياء جميعا ولي واحد مراد يسمى القطب الأكبر أو الغوث وهو الذي يدبر شأن الملك كله سمواته وأرضه والأولياء جميعا في بقاع الأرض تحت أمره.

فالأرض والسماوات تدار حسب الولاية الصوفية وأما الملائكة جميعا فإنهم في خدمة هؤلاء الأولياء ينفذون أوامرهم ويخضعون لمشيئتهم. . هذه هي الولاية الصوفية وهي لا تمت من قريب أو بعيد للولاية الإسلامية القرآنية قط. . فالولي في الإسلام عبد هداه الله ووفقه وسار في مرضاة ربه حسب شريعته، وهو يخشى على نفسه دائما من الكفر والنفاق وسوء العاقبة ولا يعلم هل يقبل." (٢)

(١) القيامة الكبرى سليمان الأشقر، عمر ص/٧١

(٢) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٢٢٣

"مناسبة الآية للباب:

حيث دلت الآية على أن السحر كفر.

مناسبة الآية للتوحيد:

حيث حذرت الآية من السحر الذي لا يتم إلا بالشرك، والشرك مناف للتوحيد.

ملاحظة:

أ. تعريف السحر لغة واصطلاحا. لغة: هوما خفي ولطف سببه. واصطلاحا: السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله١.

ب. حكم تعليم السحر وتعلمه: كفر عند أحمد ومالك وأبي حنيفة.

المناقشة:

أ. اشرح الكلمات الآتية: واتبعوا، ما تتلو الشياطين، على ملك سليمان، وما كفر سليمان، ولكن الشياطين كفروا، بابل، هاروت، ماروت، فتنة، فلا تكفر، ولقد علموا لمن اشتراه، خلاق.

---

١ قال الراغب: ((السحر يطلق على معان: أحدها: ما لطف ودق. الثاني: ما يقع بخداع **وتخييلات** لا حقيقة لها. الثالث: ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم. الرابع: ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها بزعمهم)) . قال المازري: ((جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة)) .." (١)

"إختلاف الناس في حقيقة كلام الله تعالى:

قد تنازع الناس في حقيقة كلام الرب وتفرقوا واختلفوا بالأهواء بعد مضي خير القرون من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

قال عز من قائل: ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾ . (٢: ١٧٦) .

١. وأبعد ما قيل في كلام الله سبحانه: "إنه فيض من المعاني يفيض من الملأ الأعلى على النفوس الشريفة بواسطة العقل أو غيره فيكسبها أنواعا من العلوم من تصورات وتصديقات بحسب استعداد تلك النفوس وقبولها لذلك الفيض". وهذا قول المتفلسفة القرامطة مثل: الفارابي وابن سينا والطوسي.

ويزعم هؤلاء الملاحدة أن موسى عليه السلام سمع كلام الله من سماء عقله أي كلمه بكلام حدث في

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد محمد بن عبد العزيز القرعاوي ص/٢٢٠

نفسه لم يسمعه من خارج، وأن أهل الرياضة والصفاء يصلون إلى ما وصل إليه موسى فيسمعون ما سمعه موسى كما سمعه موسى عليه السلام، ويرى هؤلاء أن لتلك النفوس قوتين:

أ – قوة التصور وبها تدرك من المعاني ما يعجز عنه غيرها.

ب – قوة التخييل وبها تستطيع أن تتصور المعقول في صورة المحسوس فتتخيل صورا نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان.." (١)

"وربما تقوى هذه القوة على إسماع ذلك لغيرها وعلى تشكيل تلك الصور النورانية لعين الرائي فيرى الملائكة ويسمع كلامهم وكل ذلك من الوهم والخيال.

وهؤلاء الملاحدة لما علموا أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– أخبر عن الله تعالى بأنه قال: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ قالوا مصانعين للمسلمين: "إن القرآن كلام الله وما جاء به الأنبياء كلام الله"، ولكن حقيقة كلام الله عندهم هو ما ذكرنا، فحرفوا نصوص الكتاب والسنة الدالة على كلام الله وتكليمه لعباده على طريقة إخوانهم في تحريف الكلم عن مواضعه.

والنبوة عند هؤلاء مكتسبة، وحشر الأجساد عندهم مستحيل، والرب سبحانه لا يعلم الجزئيات، إلى غير ذلك من الكفر والضلال.

والذي قاد هؤلاء إلى هذا الكفر الصريح هو عدم إيمانهم بما جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأخبر به عن الله تعالى وعن المعاد، ولكن لما بهرت عقولهم شمس الرسالة حتى شهد شاهد منهم بأنه لم يطرق العالم ناموس أفضل من هذا الناموس ولم يوافق ما جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم– أصولهم الفاسدة وآراءهم الكاسدة أصبحوا حيارى نحو ذلك.

فمنهم من لم يؤمن بكثير من ذلك بل يشك فيه أو يكذبه، ومنهم من يقول: "إن ما جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم– تخييل للحقائق وأمثلة مضروبة لتقريبها إلى أفهام العامة، والأنبياء والرسل قد فعلوا ذلك للمصلحة". نعوذ بالله من ذلك.

هذه طريقة الفارابي الملقب بالمعلم الثاني لهم، وابن سينا الملقب بالشيخ الرئيس لهم، والطوسي الملقب بالمحقق عندهم من المتفلسفة في الإسلام.

يذكر الحافظ ابن القيم في النونية مذهب هؤلاء في كلام الله فيقول:

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعا ... للمسلمين بإفك ذي بهتان

---

(١) اضطراب الناس في مسألة الكلام مع بيان الحق الذي تدل عليه الأدلة وتشهد به الفطر السليمة عبد الكريم مراد ص/١٠٧

فرآه فيضا فاض من عقل هو ... الفعال علة هذه الأكوان

حتى تلقاه زكي فاضل ... حسن التخييل جيد التبيان

٢. والقول الثاني في كلام الله تعالى قول أهل وحدة الوجود كابن عربي الطائي والصدر القونوي وحزبهما.

قالوا: "كل كلام في الوجود كلام الله تعالى نظما كان أو نثرا، صدقا كان أو كذبا ".

وقال عارفهم:

كل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه." (١)

"وأما الصفات المعنوية عندهم: فهي الأوصاف المشتقة من صفات المعاني السبع المذكورة، وهي كونه تعالى: قادرا، مريدا، عالما، حيا، سميعا، بصيرا، متكلما.

والتحقيق أنها عبارة عن كيفية الاتصاف بالمعاني، وعد المتكلمين لها صفات زائدة على صفات المعاني مبني على ما يسمونه الحال المعنوية. زاعمين أنها أمر ثبوتي ليس بموجود، ولا معدوم؛ والتحقيق الذي لا شك فيه أن هذا الذي يسمونه الحال المعنوية لا أصل له، وإنما هو مطلق تخييلات يتخيلونها: لأن العقل الصحيح حاكم حكما لا يتطرقه شك بأنه لا واسطة بين النقيضين البتة. فالعقلاء كافة مطبقون على أن النقيضين لا يجتمعان، ولا يرتفعان، ولا واسطة بينهما البتة، فكل ما هو غير موجود، فإنه معدوم قطعا، وكل ما هو غير معدوم، فإنه موجود قطعا، وهذا مما لا شك فيه كما ترى.

وقد بينا في اتصاف الخالق والمخلوق بالمعاني المذكورة منافاة صفة الخالق للمخلوق، وبه تعلم مثله في الاتصاف بالمعنوية المذكورة لو فرضنا أنها صفات زائدة على صفات المعاني. مع أن التحقيق أنها عبارة عن كيفية الاتصاف بها.

وأما الصفات السلبية عندهم: فهي خمس، وهي عندهم: القدم، والبقاء، والوحدانية، والمخالفة للخلق، والغنى المطلق، المعروف عندهم بالقيام بالنفس.

وضابط الصفة السلبية عندهم: هي التي لا تدل بدلالة المطابقة على معنى وجودي أصلا، وإنما تدل على سلب ما لا يليق بالله عن الله.

أما الصفة التي تدل على معنى وجودي: فهي المعروفة عندهم بصفة المعنى، فالقدم مثلا عندهم لا معنى له بالمطابقة، إلا سلب العدم السابق." (٢)

---

(١) اضطراب الناس في مسألة الكلام مع بيان الحق الذي تدل عليه الأدلة وتشهد به الفطر السليمة عبد الكريم مراد ص/١٠٨

(٢) الجموع البهية للعقيدة السلفية أبو المنذر المنياوي ١/١٠٨

"والقرب. ثم إن أصحاب الصنعة وأصحاب التجربة شاهدوا بأن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة من الرقى والدخن والتجريد. وهذا النوع هو المسمى بالعزائم، وعمل تسخير الجن. وقد أطال الرازي أيضا الكلام في هذا النوع من أنواع السحر.

النوع الرابع من أنواع السحر: هو التخيلات والأخذ بالعيون. ومبنى هذا النوع منه على أن القوة الباصرة قد ترى الشيء على خلاف ما هو عليه في الحقيقة لبعض الأسباب العارضة. ولأجل هذا كانت أغلاط البصر كثيرة. ألا ترى أن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركا، وذلك يدل على أن الساكن يرى متحركا. والمتحرك ساكنا. والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما. إلى آخر كلام الرازي. وقد أطال الكلام أيضا في هذا النوع.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره في سورة «البقرة» مختصرا كلام الرازي المذكور: ومبناه على أن البصر قد يخطىء ويشتغل بالشيء المعين دون غيره. ألا ترى ذا الشعبذة الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به، وبأخذ عيوبهم إليه، حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق ونحوه عمل شيئا آخر عملا بسرعة شديدة، وحينئذ، يظهر لهم شيء غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدا، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه لفطن الناظرون لكل ما يفعله.

قال: وكلما كانت الأحوال تفيد حس البصر نوعا من أنواع الخلل أشد، كان العمل أحسن. مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدا أو مظلم، فلا تقف القوة الناظرة على أحوالها والحالة هذه. اهـ منه. ولا يخفى أن يكون سحر سحرة فرعون من هذا النوع. فهو **تخييل** وأخذ." (١)

"بالعيون كما دل عليه قوله تعالى: ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ فإطلاق **التخييل** في الآية على سحرهم نص صريح في ذلك. وقد دل على ذلك أيضا قوله في «الأعراف» : ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس﴾ ؛ لأن إيقاع السحر على أعين الناس في الآية يدل على أن أعينهم تخيلت غير الحقيقة الواقعة، والعلم عند الله تعالى.

النوع الخامس من أنواع السحر: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية، كفارس على فرس في يده بوق، كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق من غير أن يمسه أحد. ومنها الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان، حتى إنهم يصورونها ضاحكة

---

(١) الجموع البهية للعقيدة السلفية أبو المنذر المنياوي ١/ ٢٩٠

وباكية، حتى يفرق فيها بين ضحك السرور، وبين ضحك الخجل، وضحك الشامت.

فهذه الوجوه من لطيف أمور المخايل. قال الرازي: وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب. ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات. ويندرج في هذا الباب علم جر الأثقال، وهو أن يجر ثقيلا عظيما بآلة خفيفة سهلة، وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر لأن لها أسبابا معلومة نفيسة، من اطلع عليها قدر عليها، إلا أن الاطلاع عليها لما كان عسير أعد أهل الظاهر ذلك من باب السحر لخفاء مأخذه اهـ.

وقد علمت أن الرازي يرى أن سحر سحرة فرعون من هذا النوع الأخير، لأن السحرة جعلوا الزئبق على الحبال والعصي فحركته حرارة الشمس فتحركت الحبال والعصي فظنوا أنها حركة طبيعية حقيقة. والذي يظهر لنا أنه من النوع الذي قبله كما قدمنا، ولا مانع من أن يتوارد نوعان على شيء واحد فيكون داخلا في هذا وفي هذا. والله تعالى أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر كلام الرازي الذي ذكرنا في هذا." (١)

"وتجتنب إلى أقسام متعددة:

(منها) قسم يسمى (بالهيماء) بسكر الهاء بعدها مثناة تحتية فميم فياء بعدها ألف التأنيث الممدودة، على وزن كبرياء. قال: وهو ما تركب من خواص سماوية تضاف لأحوال الأفلاك، يحصل لمن عمل له شيء من ذلك أمور معلومة عند السحرة، وقد يبقى له إدراك، وقد يسلبه بالكلية فتصير أحواله كحالات النائم من غير فرق، حتى يتخيل مرور السنين الكثيرة في الزمن اليسير. وحدوث الأولاد وانقضاء الأعمار وغير ذلك في ساعة ونحوها من الزمن اليسير. ومن لم يعمل له ذلك لا تجد شيئا مما ذكر. وهذا **تخييل** لا حقيقة له اهـ.

(ومنها) نوع يسمى (بالسيمياء) بكسر السين المهملة وبقية حروفه كحروف ما قبله. قال: وهو عبارة عما تركب من خواص أرضية كدهن خاص، أو مائعات خاصة يبقى معها إدراك، وقد يسلب بالكلية إلى آخر ما تقدم في الهيمياء.

(ومنها) نوع هو رقى ضارة. قال: كرقى الجاهلية وأهل الهند، وربما كانت كفرا. قال: ولهذا نهى مالك رحمه الله عن الرقى بالعجمية. وقال ابن زكري في شرح (النصيحة) : ولا يقال لما يحدث ضررا رقى، بل ذلك يقال له سحر.

(ومنها) قسم يسمى خصائص بعض الحقائق التي لها تسلط على النفوس. كالمشط والمشاقة وجف طلع

---

(١) الجموع البهية للعقيدة السلفية أبو المنذر المنياوي ١/٢٩١

الذكر من النخل، وقصة جعل اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر في سحره مشهورة. وسيأتي إيضاح ذلك إن شاء الله تعالى.

ومن أمثلة هذا النوع عند أهله: أن بعض أنواع الكلاب من شأنه إذا رمي بحجر أن يعضه، فإذا رمي بسبع حجارة وعض كل واحدة منها وطرحت." (١)

"على الغيب: أن العرافة مختصة بالأمور الماضية، والكهانة مختصة بالأمور المستقبلة اهـ منه.

وعلوم الشر كثيرة، وقصدنا بذكر ما ذكرنا منها التنبيه على خستها وقبحها شرعا، وأن منها ما هو كفر بواح، ومنها ما يؤدي إلى الكفر، وأقل درجاتها التحريم الشديد.

وقد دل بعض الأحاديث والآثار على أن العيافة والطرق والطيرة من السحر. وقد قدمنا معنى ذلك في «الأنعام» وعنه صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» رواه أبو داود بإسناد صحيح (١) . وللنسائي من حديث أبي هريرة «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئا وكل إليه» (٢) .

المسألة الرابعة:

اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو هو تخييل لا حقيقة له.

والتحقيق أن منه ما هو حقيقة كما قدمنا، ومنه ما هو تخييل كما تقدم إيضاحه. (٣)

وهو مفهوم من أقسام السحر المتقدمة في كلام الرازي وغيره.

---

(١) - أخرجه أبو داود (٤٠٨/٢) (٣٩٠٥) ، وابن ماجه (١٢٢٨/٢) (٣٧٢٦) ، وأحمد (٢٢٧/١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنه -، وصحح إسناده الأرناؤوط.

(٢) - أخرجه النسائي (١١٢/٧) (٤٠٧٩) ، وضعفه الشيخ الألباني - رحمه الله -.

(٣) - قال العلامة الشنقيطي - رحمه الله - (٤٧٤/٤ - ٤٧٥) (طه/٦٦) : [وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ يدل على أن السحر الذي جاء به سحرة فرعون تخييل لا حقيقة له في نفس الأمر. وهذا الذي دلت عليه آية «طه» هذه دلت عليه آية «الأعراف» وهي قوله تعالى: ﴿فلمآ ألقوا سحروا أعين الناس﴾ ، لأن قوله: ﴿سحروا أعين الناس﴾ يدل على أنهم خيلوا لأعين الناظرين أمرا لا حقيقة له. وبهاتين الآيتين احتج المعتزلة ومن قال بقولهم على أن السحر خيال لا حقيقة له.

---

(١) الجموع البهية للعقيدة السلفية أبو المنذر المنياوي ٢٩٦/١

والتحقيق الذي عليه جماهير العلماء من المسلمين: أن السحر منه ما هو أمر له حقيقة لا مطلق تخييل لا حقيقة له، ومما يدل على أن منه ما له حقيقة قوله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ فهذه الآية تدل على أنه شيء موجود له حقيقة تكون سببا للتفريق بين الرجل وامرأته وقد عبر الله عنه بما الموصولة وهي تدل على أنه شيء له وجود حقيقي. ومما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ومن شر النفاثات فى العقد﴾ يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن. فلولا أن السحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه. وسيأتي إن شاء الله أن السحر أنواع: منها ما هو أمر له حقيقة، ومنها ما هو تخييل لا حقيقة له. وبذلك يتضح عدم التعارض بين الآيات الدالة على أن له حقيقة، والآيات الدالة على أنه خيال.

فإن قيل: قوله في «طه» : ﴿يخيل إليه من سحرهم﴾ ، وقوله في «الأعراف» : ﴿سحروا أعين الناس﴾ الدالان على أن سحر سحرة فرعون خيال لا حقيقة له، يعارضهما قوله في «الأعراف» : ﴿وجآءو بسحر عظيم﴾ لأن وصف سحرهم بالعظم يدل على أنه غير خيال. فالذي يظهر في الجواب والله أعلم أنهم أخذوا كثيرا من الحبال والعصي، وخيلوا بسحرهم لأعين الناس أن الحبال والعصي تسعى وهي كثيرة. فظن الناظرون أن الأرض ملئت حيات تسعى، لكثرة ما ألقوا من الحبال والعصي فخافوا من كثرتها، وبتخييل سعي ذلك العدد الكثير وصف سحرهم بالعظم. وهذا ظاهر لا إشكال فيه. وقد قال غير واحد: إنهم جعلوا الزئبق على الحبال والعصي، فلما أصابها حر الشمس تحرك الزئبق فحرك الحبال والعصي، فخيل للناظرين أنها تسعى.] ..." (١)

". . . . .

حذقوها وتعلموها بسبب تقربهم من الشياطين فيظن الناس والجهال أن هذه كرامات وأنها بسبب ولا يتهم لله، وهذا غلط، إنما هي من فعل الشياطين؛ لخضوعهم لهم وموافقتهم على الشرك، فالسحرة ما توصلوا إلى السحر إلا لخضوعهم للشياطين، فالسحر من عمل الشيطان وهو كفر بالله، فلا يغتر بهم، فهم يقولون: هذه كرامة أو أعمال رياضية أو أعمال بهلوانية، ويحضرون في المحافل والنوادي، ويتركون يعملون السحر أمام الناس، ويقولون: هذه أمور رياضية، ليضلوا الناس وليأكلوا بسحرهم الأموال، فيجب التنبيه على هؤلاء

(١) الجموع البهية للعقيدة السلفية أبو المنذر المنياوي ١/٢٩٩

وبغضهم وعداوتهم؛ لأنهم أعداء الله ولرسوله.
والسحر على قسمين:
القسم الأول: سحر حقيقي: وهو ما يؤثر في بدن المسحور فيمرضه أو يؤثر على عقله أو يقتله، فهذا عمل شيطاني.
القسم الثاني: سحر **تخييلي**، قال الله تعالى: (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) [طه: ٦٦] وهو ما يسمى: القمرة، فيعملون شيئا على أعين الناس، وهو ليس له حقيقة، فيظهر منه أن يضرب نفسه بالسيف، وأنه يأكل المسامير أو النار أو الزجاج، أو يدخل في النار، أو أن السيارة تمشي عليه، أو ينام على مسامير، أو يجر السيارة." (١)

". . . . .

بشعره، أو يأتي بأوراق عادية، ويروج على الناس أنها نقود، وإذا ذهب سرحه عادت الأوراق إلى أصلها، كما يحصل من النشالين. ومن أعمال السحرة أيضا: أن يأتي أحدهم بجعل، وهي الحشرة المعروفة، ويظهر بسحره أمام الناس أنها خروف، وكذلك فهم يروجون على الناس أنهم يمشون على خيط دقيق، وهو ما يسمى السرك، أو ما يسمى بالبهلوان.
فهذا كله كذب وتدجيل على الناس، وسحر لأعين الناس، وهو سحر **تخييلي**، إذا ذهب هذا السحر عادت الأمور كما هي، فيجب علينا أن لا نغتر بهم ولا نصدقهم ولا نمكنهم من أولادنا ولا بلادنا من أجل ترويج سحرهم.
وأما الكاهن: فهو الذي يدعي علم الغيب وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الشياطين يسترقون السمع فيسرقون الكلمة، فيخبرون بها الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدقه الناس في كل ما قال بسبب تلك الكلمة، قال سبحانه: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين* تنزل على كل أفاك أثيم* يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٣] وكانت الكهانة في الجاهلية كثيرة، فكان في كل قبيلة كاهن يتحاكمون إليه ويسألونه عن الأمور الغائبة، ولما جاء الإسلام أبطل الكهانة ومنع النبي صلى الله عليه وسلم من الذهاب إلى الكهان، قال عليه الصلاة." (٢)

---

(١) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية صالح الفوزان ص/٢٤٩

(٢) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية صالح الفوزان ص/٢٥٠

"وقال أبو بكر بن العربي (١) رحمه الله في رده على قول المعتزلة السابق: «وهذا على أصلهم في تخييلهم على العوام وإنكار أصول الشرع كإنكارهم الجن (٢) وإنكارهم كلام الملائكة للبشر، وأن جبريل لو كلم محمدا – صلى الله عليه وسلم – لسمعه الحاضرون» (٣).

وقال رحمه الله: «قد قيل: إن الرؤيا لا حقيقة لها وهم القدرية (٤)، تعسا لهم، وغلا صالح قبة، فقال: كل الرؤيا والرؤية بعين الرأس حقيقة».

ثم قال أبو بكر: وهذا حماق (٥).

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي الأندلسي (٤٦٨ – ٥٤٣هـ) كان فقيها عالما صحب الغزالي وأخذ عنه وكان يتهمه برأي الفلاسفة.

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٩٧ – ٢٠٤) والبداية والنهاية (١٢/ ٢٤٥) وشذرات الذهب (٤/ ١٤١).

(٢) انظر قولهم في إنكار الجن: الفصل في الملل والنحل (٥/ ٥٧) وتفسير الرازي (١/ ٤٣٢).

(٣) إكمال المعلم (٦/ ٦٩) وانظر: إشارات الإمام (١٥٨).

(٤) القدرية هم الذين ينفون مشيئة الله في أفعال العباد، والمراد بهم هنا المعتزلة لأنهم زعموا أن هم الذين يخلقون أفعالهم استقلالا وليس لمشيئة الله أثر فيها.

قال البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق (١١٥) في بيان لما أجمعت عليه المعتزلة، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون إكسابهم وأنه ليس لله عز وجل، في إكسابهم وفي أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير، ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية، وسماهم المسلمون أيضا مجوس هذه الأمة.

وانظر: تأويل مختلف الحديث (٩١ – ٩٥) والفصل في الملل والنحل (٣/ ٣٣) والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٢٦) والملل والنحل (١/ ٥٤).

(٥) عارضة الأحوذي (٩/ ١٣٠).." [١]

"ولم يبين رحمه الله وجه مخالفة هذا القول للشرع، والعقل، والفطرة، ولعل ما ذكرته في الرد على المعتزلة يبين وجه هذه المخالفة.

القول الثالث: قال الفلاسفة (١) في حقيقة الرؤيا:

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين سهل العتيبي ص/٤٩

إن الحس المشترك (٢) في الإنسان والذي هو مجمع الحواس

الظاهرة، إذا أخذ الصورة الخارجية من الحواس الظاهرة

يؤديها إلى القوة المتخيلة (٣) التي من شأنها تركيب الصورة

فربما انطبعت تلك الصور في الحس المشترك وصارت مشاهدة

---

(١) الفلاسفة: من ينسبون إلى الفلسفة وهي كلمة يونانية تعني محبة الحكمة، يبنون آرائهم على نظريات باطلة كنظرة الاتصال بالعقل الفعال ونظرية السعادة وغيرهما، ومن مذهبهم أن العالم قديم وعله مؤثرة بالإيجاب وليست علة فاعلة بالاختيار، وأكثرهم ينكرون علم الله تعالى، وينكرون حشر الأجساد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨، ١٢) إن الفلاسفة يسلكون طريق التبديل مثل المتكلمين، ولكنهم أهل الوهم **والتخييل**، والمتكلمون هم أهم التحريف والتأويل، وكذا وصفهم ابن القيم رحمه الله بأنهم أصحاب **التخييل**، لأنهم يعتقدون أن الرسل لم يفصحوا للخلق بالحقائق إذ لهم إدراكها، وإنما أبرزوا لهم المعقول في صورة المحسوس، انظر: كتاب "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" تحقيق الدكتور: علي بن محمد الدخيل الله (٢/ ٤١٨).

انظر في عرض آرائهم والرد عليهم: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨) وهو من أحسن ما كتب الفلاسفة كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وكتاب الرد على المنطقيين والصفدية، كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وتاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم (١٧ - ١٩).

(٢) الحس المشترك عرفه التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٣٠٢، ٣٠٤) بأنه: القوة التي ترتسم لها صور الجزئيات المحسوس بالحواس الظاهرة، وانظر التعريفات للجرجاني (٩١) والمباحث المشرقية للرازي (٢/ ٤٢٩).

(٣) قال الجرجاني في التعريفات (٣٠٨): هي قوة محلها مقدم التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها التصرف في الصور والمعاني بالتركيب والتفصيل فتركب الصور بعضها ببعض .. وانظر: المباحث الشرقية للرازي (٢/ ٤٢٩).." [١]

"صفته فانطبع في نفسه مثاله، فإذا رآه جزم بأنه رأى مثاله المعصوم من الشيطان، فينتفي عنده اللبس والشك في رؤيته عليه الصلاة والسلام.

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين سهل العتيبي ص/٥٢

وثانيهما رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب حتى انطبعت في نفسه صفته عليه الصلاة والسلام، كما حصل ذلك لمن رآه، فإذا رآه جزم برؤية مثاله عليه الصلاة والسلام كما يجزم به من رآه فينتفي عنه اللبس في رؤيته عليه الصلاة والسلام.

وأما غير هذين فلا يحصل له الجزم، بل يجوز أن يكون رآه عليه الصلاة والسلام بمثاله، ويحتمل أن يكون من تخييل الشيطان، ولا يفيد قول المرئي لمن يراه أنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا قول من يحضر معه هذا رسول الله؛ لأن الشيطان يكذب لنفسه ويكذب لغيره، فلا يحصل الجزم (١).

وبهذا تعرف أهمية دراسة شمائل النبي – صلى الله عليه وسلم – وصفاته الخلقية، فإذا رآه على صورته يأمر بالحق فليستقم، ومن رآه ينهي عن الشر فليَنته، أما إذا أمره بباطل هذا من القرائن على عدم رؤيته.

وقد سبق قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان المراد بقولنا «رآه حقا».

حيث قال: قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي» هو كما قال – صلى الله عليه وسلم –: «رآه في المنام حقا».

فمن قال: ما رآه حقا فقد أخطأ.

ومن قال: إن رؤيته في اليقظة بلا واسطة كالرؤية المقيدة بالنوم فقد أخطأ ولهذا يكون لهذه تأويل وتعبير دون ذلك (٢).

---

(١) الفروق (٤/ ٢٤٤، ٢٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٢٧٨).." [1]

"وعند البخاري قال: «... فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره» (١).

فهذه جملة الآداب التي ينبغي أن يتأدب بها المسلم إذا رأى ما يكره، وقوله – صلى الله عليه وسلم –: «مما يكره» أي يهوله، ويفزعه على ما تقدم في تفسير الحلم وأنه من تخيل الشيطان وتحزينه.

وحاصل هذه الآداب التي أمر بها النبي – صلى الله عليه وسلم – هي ستة آداب كما يلي:

(١) أن يستعيذ بالله من الشيطان ثلاثا.

(٢) أن يستعيذ بالله من شر ما رأى.

(٣) أن يبصق عن يساره ثلاثا.

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين سهل العتيبي ص/٣٦١

(٤) أن يقوم فيصلي.

(٥) أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه إلى الجنب الآخر.

(٦) ألا يحدث بها أحدا.

وإليك تفصيل هذه الآداب، وبيان الحكمة منها.

أولا: أن يستعيذ بالله من الشيطان ثلاثا:

وذلك لأن الرؤى المكروهة من **تخييل** الشيطان وتحزينه وتهويله ليحزن بها الرائي، كما سبق في الأحاديث «والحلم من الشيطان» وفي بعضها «ورؤيا تحزين من الشيطان» وفي بعضها «تخويف من الشيطان»، وفي بعضها «أهاويل من الشيطان»

---

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ١١ - باب صفة إبليس وجنوده الحديث رقم (٣٢٩٢) (٢/ ٤٤١).." (١)

"- قوله (حد الساحر ضربه بالسيف): صحيح موقوف، والراوي هو جندب (الخير) بن كعب الأزدي؛ الملقب بقاتل الساحر (١)، وليس جندب بن عبد الله الأنصاري.

ولقب بقاتل الساحر لما جاء من (أن أميرا من أمراء الكوفة (الوليد بن عقبة) دعا ساحرا يلعب بين يدي الناس (فكان يأخذ سيفه فيذبح نفسه؛ ولا يضره! وكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيقوم خارجا فيرتد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله، يحيي الموتى! فبلغ جندب، فأقبل بسيفه - واشتمل عليه - فلما رآه ضربه بسيفه؛ فقال: إن كان صادقا فليحيي نفسه! ثم قرأ ﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ (الأنبياء:٣) فتفرق الناس عنه، فقال: أيها الناس لن تراعوا، إنما أردت الساحر. فأخذه الأمير فحبسه (وأمر به الوليد دينارا - صاحب السجن؛ وكان رجلا صالحا - فسجنه، فأعجبه نحو الرجل، فقال: أتستطيع أن تهرب؟ قال: نعم، قال: فاخرج لا يسألني الله عنك أبدا). فبلغ ذلك سلمان، فقال: بئس ما صنعا! لم يكن ينبغي لهذا - وهو إمام يؤتم به - يدعو ساحرا يلعب بين يديه، ولا ينبغي لهذا أن يعاتب أميره بالسيف). (٢) (٣)

- قوله (وقذف المحصنات): القذف: بمعنى الرمي، والمراد به هنا الرمي بالزنا، والمحصنات هنا الحرائر، وهو الصحيح.

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين سهل العتيبي ص/٤٣٩

- قوله (الغافلات): هن العفيفات عن الزنا؛ البعيدات عنه؛ اللاتي لا يخطر على بالهن هذا الأمر، و (المؤمنات) احترازا من الكافرات. (٤)

وقد جعل الله على القاذف ثلاثة أمور، قال تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ (النور:٤).

وقذف المحصنين الغافلين المؤمنين كقذف المحصنات هو من كبائر الذنوب، وإنما خص بذلك المرأة؛ لأن الغالب أن القذف يكون للنساء أكثر؛ إذ البغايا كثيرات قبل الإسلام، وقذف المرأة أشد، لأنه يستلزم الشك في نسب أولادها من زوجها؛ فيلحق بهن القذف ضررا أكبر، فهو من باب الغالب.

---

(١) والراجح أنه صحابي. انظر السير للذهبي رحمه الله (١٧٥/ ٣).

(٢) صحيح. الحاكم (٨٠٧٦)، والدارقطني (٣٢٠٥)، والبيهقي في الكبرى (١٦٥٠١)، والأصل للحاكم، وما بين قوسين مضاف من بعض الروايات التي أوردها الألباني رحمه الله بأسانيد صحيحة. انظر التعليق على حديث الضعيفة (١٤٤٦).

(٣) قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في الضعيفة (١٤٤٦): (ومثل هذا الساحر المقتول؛ هؤلاء الطرقية الذين يتظاهرون بأنهم من أولياء الله؛ فيضربون أنفسهم بالسيف والشيش، وبعضه سحر **وتخييل** لا حقيقة له، وبعضه تجارب وتمارين يستطيعه كل إنسان من مؤمن أو كافر إذا تمرس عليه؛ وكان قوي القلب، ومن ذلك مسهم النار بأفواههم وأيديهم، ودخولهم التنور).

(٤) قال العيني رحمه الله في كتابه (عمدة القاري) (٦٢/ ١٤): (احترز به عن قذف الكافرات؛ فإن قذفهن ليس من الكبائر، وإن كانت ذمية فقذفها من الصغائر لا يوجب الحد، وفي قذفه الأمة المسلمة التعزير دون الحد).." [١]

"- المسألة السابعة) أنكرت المعتزلة حقيقة السحر! (١) وقالوا إنما هي أوهام وخفة في اليد فقط! واستدلوا بقوله تعالى ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ (طه:٦٦)، فهو خيال في العين فقط! وأيضا أن هذه الحبال كانت مملوءة زئبقا (٢)! فما الجواب؟

الجواب: أنه يقال ابتداء: لا بد من العلم أن السحر منه ما هو حقيقي له تأثير، ومنه ما هو جار على معناه اللغوي من الخفة والاستتار والسرعة والخداع، فإذا أثبت نوع ما بدليل فهذا لا يعني نفي الآخر (٣).

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٢٠١/١

بعد ذلك نقول إن من أدلة حقيقة وأثر السحر:

١) قوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العقد﴾ (الفلق:٥) والنفاثات في العقد: هن السواحر (٤) من النساء، ولما أمر بالاستعاذة من شرهن علم أن لهن تأثيرا وضررا حقيقة. (٥)

٢) قوله تعالى ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ (البقرة:١٠٢) ظاهر فيه أثر السحر في التفريق والضرر. (٦)

٣) عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق – يقال له: لبيد بن الأعصم – حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة – وهو عندي – لكنه دعا ودعا ثم قال: (يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان؛ فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلع (٧) نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان). فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، فجاء فقال: (يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رءوس نخلها رءوس الشياطين). قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته؟ قال: (قد عافاني الله، فكرهت أن أثور على الناس فيه شرا). فأمر بها فدفنت. (٨)

والشاهد فيه من جهتين: (**التخييل**، قد عافاني).

وأما في قوله تعالى ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ (طه:٦٦) أنها تدل على **التخييل** دون الحقيقة! فالرد عليهم من جهتين:

أ) أن هذا **التخييل** – وإن كان لا حقيقة له في تغيير أعيان الأشياء – ولكنه كان مؤثرا حقيقة على العين حتى جعلها تتخيل. فهذا دليل على حقيقته وأثره.

ب) لا يصح حمل ذلك السحر على **التخييل** بكون الحبال والعصي كانت مملوءة زئبقا، لأنه لو كان كذلك لم يكن سعي الحيات هذا خيالا بل حركة حقيقية، ولم يكن ذلك سحرا لأعين الناس أصلا، ولا يسمى – أصلا – سحرا؛ بل صناعة من الصناعات المشتركة. (٩)

---

(١) قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (١٧٤/ ١٤) – باب السحر –: (قال الإمام المازري رحمه الله:

مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر؛ وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة؛ خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها).

(٢) وهي مجرد دعوى تخالف ظاهر ما ورد في النصوص القرآنية من كونهم جاءوا بالسحر؛ وسحروا أعين الناس؛ وأنه سحر عظيم.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه (فتح الباري) (٢٢٥/ ١٠): (وقوله ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ (طه:٦٦): الآية عمدة من زعم أن السحر إنما هو **تخييل**! ولا حجة له بها؛ لأن هذه وردت في قصة سحرة فرعون، وكان سحرهم كذلك، ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر **تخييل**).

قلت: أما كون سحرهم **تخييلا** فصحيح، أما كونه ليس له حقيقة فخطأ، وليس في قصة موسى ما يؤيد ذلك، بل يدل على حقيقته أنه أثر في الأعين حتى تخيلوا، فتحول الحبال والعصي إلى أفاعي ليس له حقيقة، أما تأثر الأعين فحقيقة. والله تعالى الموفق للصواب.

(٤) قاله البخاري رحمه الله في الصحيح (١٣٦/ ٧).

(٥) وفي الحديث (من تصبح سبع تمرات عجوة؛ لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر). البخاري (٥٧٦٩) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا.

فعطف السحر على السم؛ يدل على وجود التأثير الحقيقي؛ بل وعلى عظم أثره كالسم المميت.

(٦) قال القاضي عياض رحمه الله في كتابه (إكمال المعلم) (٨٦/ ٧): (وغير مستنكر في العقل أن يكون الباري سبحانه يخرق العادات عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام، أو المزج بين قوى على ترتيب ما - لا يعرفه إلا الساحر -).

(٧) (جف طلع): الجف: وعاء الطلع وغشاؤه الذي يكنه.

(٨) البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩).

(٩) وأيضا لو كان ذلك حيلة منهم - كما قال هؤلاء -؛ لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزئبق؛ وبيان ذلك المحال، ولم يحتج إلى إلقاء العصا لابتلاعها، وأيضا فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة؛ بل يكفي فيها حذاق الصناع، ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة وخضوعه لهم ووعدهم بالتقريب والجزاء. انظر (بدائع الفوائد) (ص٧٤٨) لابن القيم رحمه الله.." [١]

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٢١٨/١

"ويلاحظ أن التعريفات الثلاثة الأولى تجعل المصطلح ما أخرج من معناه اللغوي إلى معنى آخر. أما التعريفات الأخيرة فلا تذكر ذلك بل تجعل المصطلح اتفاق طائفة على وضع لفظ معين لمعنى، وهذا أعم من التعريفات الأولى، وهو أولى؛ لأن المصطلح ليس بالضرورة أن يكون مخرجا من معنى لآخر، بل ربما يكون موضوعا لهذا المعنى فقط، كما أن من خصائص المصطلح هو اتفاق جماعة من المختصين عليه، وهو ما أكدته التعريفات السابقة، وعلى هذا جاءت بعض تعريفات المعاصرين للمصطلح، ومنها قول أحد الباحثين المعاصرين:

"المصطلح كلمة – مفردة أو مركبة –تدل على معان كثيرة، متجانسة ومتكاملة فيما بينها، إذا أطلقت دلت تلقائيا على مكوناتها المعرفية، أو الفنية، بحسب حقول العلم والأدب والفكر التي تنتسب إليها. ومن خصائص هذا الاطلاق: الاتفاق بين كل أو جل المختصين في حقل المصطلح المعني، فالمصطلح ذو طبيعة جماعية"١.

ومما جاء في المعاجم المتأخرة أن "الاصطلاح لفظ، أو شيء، اتفقت طائفة مخصوصة على وضعه"٢.

ويعرف الدكتور بكر أبو زيد الاصطلاح بأنه: "اللفظ المختار للدلالة على شيء معلوم ليتميز به عما سواه"٣.

وينقص هذا التعريف الإشارة إلى اتفاق جماعة على اختيار ذلك اللفظ للمعنى. هذا بالنسبة للاصطلاحات اللفظية، أما المصطلح عموما فيمكن أن يقال في تعريفه: أنه لفظ أو رمز اختاره طائفة مخصوصة للدلالة على شيء معلوم ليتميز به عما سواه.

وينبغي الإشارة إلى أن هذه الألفاظ الاصطلاحية منها" ما لا تثبت دلالته على وتيرة واحدة، بل يعتريها الاستبدال والسعة والضيق، بحيث تتسع مدلولاتها أو تضيق وتختص بمعنى ما، لكن هذا التغير في نطاق مقاييس اللغة والشرع، وهذا التطور أيضا في الألفاظ المتلقاة

---

١ – تطور مصطلح **التخييل** في نظرية النقد الأدبي عند السجلماسي للدكتور علال الغازي ص٢٨٥، بحث ضمن مجلة كلية الآداب، فاس.

٢ – المعجم العربي الأساسي ص ٧٤٤.

٣ – فقه النوازل للدكتور بكر أبو زيد ١٢٣/١.." (١)

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/٥٢

"الوهم والتخييل١، ومنهم ابن سينا فهو يقول: "أما أمر الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد، وهو أن الشرع والملل الآتية على لسان نبي من الأنبياء، يرام بها خطاب الجمهور كافة، ثم من المعلوم الواضح أن التحقيق الذي ينبغي أن يرجع إليه في صحة التوحيد؛ من الإقرار بالصانع موحدا، مقدسا عن الكم، والكيف، والأين، والمتى، والوضع، والتغير.. ممتنع إلقاؤه إلى الجمهور"٢. ويستبعد إرادة المجاز والاستعارة في آيات التوحيد لأنه لا يرى حجيتها مطلقا، بل يرى أنها جاءت لإفهام الجمهور، وإن كان كذبا، فيقول: "ثم هب الكتاب العربي جائيا على لغة العرب، وعادة لسانهم من الاستعارة والمجاز، فما قولهم في الكتاب العبراني كله، وهو من أوله إلى آخره تشبيه صرف...فظاهر من هذا كله أن الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمون، مقربا ما لا يفهمون إلى أفهامهم بالتشبيه، والتمثيل..فكيف يكون ظاهر الشرع حجة في هذا الباب؟! "١، وهذا كفر بكتاب الله - تعالى -.

وهؤلاء وأولئك جعلوا الألفاظ المبتدعة المجملة هي ألفاظ العقيدة التي لا يعرفها إلا الخواص، وأعرضوا عن ألفاظ الشرع، يقول شيخ الإسلام: "وهؤلاء جعلوا هذه الألفاظ المبتدعة المجملة أصلا أمروا بها، وجعلوا ما جاء به الرسول من الآيات والأحاديث فرعا يعرض عنها ولا يتكلم بها فكيف يكون تبديل الدين إلا هكذا! "٤.

فالمتكلمون والفلاسفة لا يلتفتون إلى ألفاظ الشرع، وإن استعملوها أعملوا فيها التأويل والمجاز.

---

١ - درء التعارض ١/٨ - ٩.

٢ - الأضحوية في المعاد ص ٩٧ - ٩٨.

١ - المرجع السابق ص ١٠٢ - ١٠٣.

٤ - التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى ١٤/٥.." (١)

"٢ - معنى السحر في الشرع:

ورد لفظ السحر في آيات كثيرة، ومنها قوله - تعالى -: ﴿يعلمون الناس السحر﴾ [البقرة - ١٠٢] وقوله - سبحانه -: ﴿قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله﴾ [يونس - ٨١] .

كما ورد لفظ السحر في السنة، ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم -: "اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر" ١، وقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن من البيان لسحرا" ٢. والسحر في الشرع

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/١٠٧

يطلق على عدة معان مختلفة كما هو في اللغة، ولذلك يقول الشافعي – رحمه الله –: "والسحر اسم جامع لمعان مختلفة"٣.

وقال الشنقيطي – رحمه الله –: "اعلم أن السحر في الاصطلاح، لا يمكن حده بحد جامع، مانع، لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها، يكون جامعا لها مانعا لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافا متباينا"٤.

وفيما يلي بعض التعريفات للسحر، وهي تعريفات متباينة - كما قال الشنقيطي – رحمه الله –، وذلك لأن كل تعريف منها قد تضمن نوعا من أنواع السحر.

يقول الطبري – رحمه الله –: "معنى السحر تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته"٥.

ويعرف الجصاص٦ – رحمه الله – السحر بأنه: "كل أمر خفي سببه، وتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع"٧، وهذا بمعنى تعريف الطبري.

---

١ – أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات ٤/٤٨، ح ٥٧٦٤.

٢ – أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب إن من البيان سحرا ٤/٤٩، ح ٥٧٦٧.

٣ – الأم للشافعي ١/٢٥٦.

٤ – أضواء البيان للشنقيطي ٤/٤٤٤.

٥ – تفسير الطبري ١ /٤٦٣.

٦ – أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص، فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية، ألف كتاب أحكام القرآن، وكتابا في أصول الفقه، توفي سنة ٣٧٠هجرية. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ١/٢2٠، شذرات الذهب ٣/٧١.

٧ – أحكام القرآن للجصاص ١/٥١، وانظر: الكليات ص٥١٠، التوقيف ص٣٩٩.." [1]

"والطلمسات١ من قبيل القسم الثالث"٢.

وأما الرازي فمضطرب في تعريف السحر، ففي كتابه المحصل يخالف تعريف ابن سينا،

بينما يوافقه في المباحث المشرقية، وفي المطالب العالية يجعل تعريف ابن سينا نوعا من أنواع السحر٣.

وقول ابن سينا إن السحر، بل المعجزات، والكرامات، من قبيل القوى النفسانية قول باطل، ومن وجوه

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/٤١٤

بطلانه:

الأول: أن كثيرا من السحر يكون بالشياطين، كما قال – تعالى –: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ [البقرة – ١٠٢] ، وكتب السحر مملوءة من الأقسام والعزائم على الجن بساداتهم الذين يعظمونهم٤، فدل هذا على أن السحر يكون من الاستعانة بالشياطين، وليس لقوة النفس.

ثانيا: أنهم حصروا الوجود وأسبابه، فيما علموه، ولا علم عندهم بانتفاء ما لم يعلموه، وغاية أحدهم أن ينفي الشيء، لانتفاء دليل معين، وهذا غاية الجهل٥.

ثالثا: أن قولهم هذا مبني على زعمهم أن النبوة مكتسبة، ولا فرق في حقيقة المعجزة عن السحر والكرامة وهذا باطل، إذ النبوة محض اصطفاء من الله، يخرق العادة للنبي ليعجز الناس عن أن يأتوا بمثله، ولذلك آمن السحرة بموسى لأنه جاء بما لم يستطيعوا من خرق العادة. فالقول بأن السحر والمعجزة والكرامة قوة نفسانية قول غير صحيح ولا دليل عليه.

أما المتكلمون؛ فمختلفون إذ معظم المعتزلة ينكرون وجود الجن، وبنوا على ذلك أن السحر يكون **بالتخييل** والوهم، وليس بخارق للعادة. فقد أثبتوا نوعا من أنواع السحر وهو **التخييل**، ونفوا ما عداه٦.

---

١ – الطلسمات ضرب من السحر والتنجيم، سيأتي تفصيله ص ٤٢٦ من البحث.

٢ – الإشارات والتنبيهات ٤/٩٠٠ – ٩٠١.

٣ – انظر: المباحث المشرقية٢/٤٣٦ – ٤٣٧، المحصل ص ٢٠٧، المطالب العالية ٨/١٤٣ – ١٤٦.

٤ – انظر: الصفدية ١/١٦٨ – ١٧٠.

٥ – انظر: المرجع السابق ١/١٧٠.

٦ – انظر في ذلك: متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار١/١٠١، مجموع الفتاوى ١٣/٩٠، الإرشاد للجويني ص٣٢٣.." (١)

"وكثير من متكلمي الأشاعرة ومن وافقهم لم يعرفوا الفرق بين المعجزة والسحر والكرامة، فجعلوا الخوارق جنسا واحدا، وقالوا كلها يمكن أن تكون معجزة إذا اقترنت بدعوى النبوة، والاستدلال بها والتحدي بمثلها، وإذا ادعى النبوة من ليس بنبي من الكفار والسحرة فلابد أن يسلبه الله ما كان معه من ذلك، وأن

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/٤١٦

يقيض له من يعارضه، ولو عارض واحد من هؤلاء النبي لأعجزه الله١. وقابلهم الفلاسفة فجعلوا الجميع قوة نفسانية، وكلا القولين باطل، وإن كان قول الفلاسفة أكثر بطلانا لأنه مبني على أن النبوة مكتسبة.

وأما حصر كثير من المعتزلة للسحر في التخييل والوهم ففاسد، مخالف للواقع من حال السحرة وما يحصل منهم، وأبطل منه إنكارهم للجن وهو مخالف لصريح القرآن.

أما الأشاعرة ومن وافقهم فقد وضعوا شروطا للمعجزة من غير دليل يدل على صحة ما ذهبوا إليه، فهو تحكم ممنوع، بل من الممكن أن يبتلي الله الناس بمدع للنبوة مؤيد بخارق من السحر، ولا يعارضه أحد. لكن المدعي يظهر أن سمته ليس هو سمت الأنبياء، حيث يظهر على المدعي من الفجور واستحواذ الشياطين عليه ما يفضح حاله.

٤ - حكم السحر:

السحر حرام بلا خلاف بين أهل العلم٢، وهل يكفر الساحر أم لا؟ فيه تفصيل، يقول الإمام الشافعي: "والسحر اسم جامع لمعان مختلفة، فيقال للساحر صف السحر الذي تسحر به، فإن كان ما يسحر به كلام كفر صريح استتيب منه، فإن تاب وإلا قتل وأخذ ماله فيئا، وإن كان ما يسحر به كلاما لا يكون كفرا، وكان غير معروف، ولم يضر به أحدا نهى عنه، فإن عاد عزر، وإن كان يعلم أنه يضر به أحدا من غير قتل فعمد أن يعمله عزر، وإن كان يعمل عملا إذا عمله قتل المعمول به، وقال عمدت قتله، قتل به قودا، إلا أن يشاء أولياؤه أن يأخذوا ديته.."٣.

---

١ - انظر: الإرشاد للجويني ص ٣٠٩ - ٣١٥، أصول الدين ص١٧٠ - ١٧٥، مجموع الفتاوى ١٣/٩٠.

٢ - انظر: مجموع الفتاوى ٣٥/١٧١، حاشية ابن عابدين ٤/٢٤٠، المبدع لإبراهيم ابن مفلح ٩/١٨٨.

٣ - الأم١/٢٥٦، وانظر: الفروع لمحمد بن مفلح المقدسي ٦/١٦٨، الإنصاف للمرداوي١٠/٣٤٩ - ٣٥١، شرح الطحاوية ٢/٧٦٤.." [(١)]

"بيان أصناف المخالفين للسلف

بعد ذلك قصد المصنف مقصدا رابعا فبين أصناف المخالفين للسلف، وذلك عند قوله: وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/٤١٧

يقصد بأهل التخييل: المتفلسفة، وأهل التأويل: المتكلمة، وأهل التجهيل: المفوضة ..
فهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أصناف المخالفين للسلف.." (١)
"شرح الحموية [١٠]
أهل السنة والجماعة من السلف وأتباعهم بإحسان هم أهل العقيدة الصحيحة في أسماء الله تعالى وصفاته، وأما المخالفون فهم على ثلاث طبقات: أهل التخييل، وهم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم، وأهل التأويل، وهم المتكلمة الجهمية والمعتزلة ونحوهم، وأهل التجهيل.." (٢)
"أهل التخييل
[أهل التخييل].
أهل التخييل سموا بذلك لأنهم زعموا أن القرآن وخطاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم -وعموما يرون ذلك مطردا في الكتب السماوية والشرائع النبوية- تخييل للجمهور، وليست هي الحقائق العلمية في نفس الأمر، وهذا هو مذهب المتفلسفة، وقد انتسب إليه في الإسلام قوم من هؤلاء، وهؤلاء كان ظهورهم بعد ظهور المتكلمين وبعد انقراض القرون الثلاثة الفاضلة في الجملة، وإن كان أصلهم نبغ في آخر القرن الثالث، لكن انتشار هذا المذهب كمذهب معروف كان بعد القرون الثلاثة الفاضلة في المائة الرابعة وما بعدها.
ومن أخص أئمة هؤلاء الذين ينتحلون هذا المذهب من الذين انتسبوا للإسلام أبو نصر الفارابي وابن سينا، وهم من المشارقة، وأبو الوليد بن رشد من المغاربة.
[وأهل التأويل، وأهل التجهيل.
فأهل التخييل: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف].
ومن سلك سبيلهم أي: تأثر بهم، من متكلم -كما هو شأن طائفة من غلاة المتكلمين الذين نقلوا المقالات الصريحة من الفلسفة واعتبروها، أو استدلوا بصريح كلام الفلاسفة، وإن كان المتكلمون في الجملة ولدوا كلامهم من كلام المتفلسفة، لكن منهم -أي: من غفلاتهم- من ينقل بالتصريح.
ومتصوف لأن نوعا من الصوفية هم صوفية في الإطلاق، ولكنهم في نفس الأمر متفلسفة وهم الباطنية.
والباطنية صنفان: إما باطنية متشيعة، كما هو شأن الإسماعيلية والقرامطة وأمثالهم، ومن أئمتهم الذين صنفوا في هذا الباب على طريقة المتفلسفة أبو يعقوب السجستاني صاحب الأقاليد الملكوتية، وهو ممن يقول

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٢٠/١
(٢) شرح الحموية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ١/١٠

برفع النقيضين -كما يقرر المصنف في كتبه الكبار-.

متصوفة أو باطنية، وهم الذين شاعوا كثيرا، وهم الذين عرفوا عند العامة بأنهم متعبدة متصوفة، وهم في الحقيقة متفلسفة باطنية ك ابن عربي وابن سبعين والتلمساني -الذين يسمونه العفيف، ويسميه كثير من علماء السنة الفاجر التلمساني - وابن الفارض وأمثال هؤلاء.

ومتفقه يشير إلى أبي الوليد بن رشد، وبعض المغاربة المتفلسفة الذين عنوا بدراسة مذهب مالك؛ فإن لـ أبي الوليد بن رشد كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد، صنفه في الفقه المقارن، وهو كتاب -في الجملة- ملخص من كتاب أبي عمر بن عبد البر التمهيد، والكتاب له اختصاص يسير، وليس فيه تحقيق كثير حتى فيما اختص به، وهو سبب الخلاف؛ فإن هذه ميزة في الكتاب، لكن في الغالب أن ما سماه سبب الخلاف في المسألة المعينة لا يكون في نفس الأمر هو السبب الموجب للخلاف، وإن كان في أكثر الموارد يكون سببا يؤثر في الخلاف.

فإنه إذا ذكر المسألة قال: وسبب الخلاف أنه جاء ظاهر قوله تعالى مع قول النبي كذا، أو ورود حديثين بينهما في الظاهر تعارض، وهلم جرا ..

فهذه الأسباب التي عينها ابن رشد -وهي التي جعلت كثيرا من طلبة العلم يثنون على الكتاب- ليست -في الغالب- هي الموجبة للخلاف في نفس الأمر، أي: من جهة أن أصل الخلاف انبنى عليها بين قدماء الأئمة، وإن كان لها نفسها شيء من التأثير، حيث إن السبب -في الغالب- لا يختص بمورد واحد، فهي شيء من السبب وليست هي السبب في نفس الأمر.

وثمرة هذا التفريق تظهر بهذا المثال: في مسألة مس الذكر أهو ناقض للوضوء أو ليس ناقضا للوضوء؟ إذا قيل: إن سبب الخلاف هو التعارض بين حديث بسرة بنت صفوان وحديث طلق بن علي، ثم ضعف حديث طلق بن علي وقيل: إن الصواب من جهة الصحة هو حديث بسرة، ففي الغالب في النتيجة الفقهية أن يكون الخلاف انتهى إلى الرجحان، فإذا تحقق أن هذا هو السبب فإن الترجيح هنا سيكون مناسبا.

لكن إذا كان السبب عند الأئمة أخص من هذا أي: أن هذا الاستدلال الذي جعله ابن رشد سببا إنما استدل به بعض أصحاب المذاهب، فهنا لا يكون الترجيح مناسبا، ومثال هذا: هل القصاص والقود يكون بالسيف وحده أو بما قتل به القاتل؟

قيل: إن في هذا تعارضا بين ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم: (لا قود إلا بالسيف) وما جاء في القرآن: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ [النحل:١٢٦] فإن رددت وقلت: هذا الحديث ضعيف ترجح

عندك مباشرة القول الثاني، لكن إذا فرضت أن سبب الخلاف ليس هو التعارض بين هذا الذي قيل فيه: إنه حديث مرفوع، وبين ظاهر القرآن لا يبقى أن الترجيح بالضرورة يلزم أن يكون مناسبا؛ ولهذا كان الإمام أحمد يعتبر هذا المذهب –الذي هو أن القود يكون بالسيف– بدلائل أخرى غير هذا الحديث.

[إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو **تخييل** للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق.

ثم هم على قسمين: منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها].

كما هو طريقة المبشر بن فاتك، وهذا قول غلاة الملاحدة.

[وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين ..

وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة وباطنية الصوفية].

لأن الباطنية على هذين الصنفين في الجملة.

[ومنهم من يقول: بل الرسول علمها لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق].

وهذا مذهب الجمهور من المتفلسفة الذين انتسبوا للإسلام كـ ابن سينا وابن رشد وأمثالهما.

[ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل.

قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد ..

فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما الأعمال فمنهم من يقر بها].

وأما الأعمال أي: الأعمال الظاهرة.

منهم من يقر بها وغلاتهم من باطنية الصوفية وباطنية الشيعة يأولونها كما تأولوا نصوص المعاد ونصوص الصفات.

[ومنهم من يجريها هذا المجرى، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر به العامة دون الخاصة، فهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم].

هذا هو الصنف الأول: أهل **التخييل**.

وهؤلاء ليس في شأنهم اشتباه، ولا ينبغي كثرة الاشتغال بالرد عليهم؛ لأنهم زنادقة في الجملة، وأصل مقالتهم مقالة منقولة نقلا صريحا عن الطوائف الفلسفية المتقدمة، ولهذا اتفق المسلمون -حتى أهل الكلام وجمهور طوائف المتصوفة وغير هؤلاء- على ذم هؤلاء، وبيان أنهم مارقون عن دين الإسلام.

وأما الشأن الذي وقع فيه الاشتباه: فهم أهل التأويل، وهم أهل الكلام، أو أهل التجهيل وهم طوائف من المنتسبين للسنة والسلف.." (١)

"أهل التأويل

[وأما أهل التأويل فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم تلك المعاني، ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرفوا الحق من غير جهته.

وهذا قول المتكلمة الجهمية والمعتزلة، ومن دخل معهم في شيء من ذلك].

هذا الصنف الثاني من المنحرفين عن طريق السلف في هذا الباب وما دخل فيه، والفرق بين قول أهل **التخييل** وأهل التأويل، أن أهل **التخييل** يقولون: إن هذه النصوص القرآنية والنبوية لم تتضمن الحقيقة في نفس الأمر لا من جهة ظاهرها ولا من جهة تأويلها، ولهذا لا يرون تأويل القرآن؛ لأن القرآن عندهم إنما هو خطاب للجمهور كما يذكر ذلك المتفلسفة ومن سار على طريقتهم ممن انتسبوا للتصوف أو التشيع من الباطنية.

أما الصنف الثاني -وهم الذين عني المصنف بذكرهم والرد عليهم-: وهم أهل التأويل الذين قالوا: إن هذه النصوص القرآنية والنبوية تضمنت الحقيقة في نفس الأمر، لكن الحقيقة في نفس الأمر ليست هي الظاهر من هذه النصوص، وإنما هي المعاني التي يصل إليها الناظر من أهل التأويل، وهذا التأويل يتحصل عندهم بدلائل عقلية هي الدلائل الكلامية، وهذه هي التسمية الصحيحة لها: أنها دلائل كلامية وليست دلائل عقلية يشترك في صحتها أو في قبولها سائر الأقوام.

وهذا قول المتكلمة والجهمية.

لأنهم الأصل في هذه الطريقة.

---

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٣/١٠

ومن دخل معهم في شيء من ذلك إشارة إلى متأخري المتكلمين الذين يضافون إلى متكلمة الصفاتية، فإن الأصل في هذه الطريقة -أعني: طريقة التأويل- هم الجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك من متكلمة الصفاتية، كالكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وكالأشعرية أتباع أبي الحسن الأشعري، وكالماتريدية أتباع أبي منصور الماتريدي الحنفي وأمثالهم، فهذا الصنف يختلفون عن المتفلسفة؛ ولهذا صار جنس أهل التأويل أقرب إلى الشريعة والحق من أهل **التخييل**؛ وإن كان يقع في هذا الصنف -أعني: صنف المتكلمين- من الغلاة فيه ما يكون قول بعض المنتسبين إلى الفلسفة في بعض الموارد أقرب إلى الشريعة من قولهم.

حتى إن شيخ الإسلام رحمه الله لما ذكر أبا الوليد بن رشد -وهو من المتفلسفة، ومن أهل الطريقة الأولى في الجملة- قال: ومع ذلك فإن ابن رشد وأمثاله من مقتصدة المتفلسفة خير من الجهم بن صفوان وأمثاله من غلاة المتكلمة في باب الأسماء والصفات.

إذا: قد يقرب بعض أعيان المتفلسفة في بعض الموارد إلى درجة يكون فيها خيرا من بعض غلاة المتكلمين، لكن من حيث الجملة أهل **التخييل** أبعد عن مقاصد الإسلام ومراداته من أهل التأويل.

هذا هو الصنف الثاني، وهو الذي شاع الإشكال فيه، ولا سيما عند المتأخرين.

[والذين قصدنا الرد عليهم في هذه الفتيا هم هؤلاء، إذ كان نفور الناس عن الأولين مشهورا، بخلاف هؤلاء؛ فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة، وهم - في الحقيقة- لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا].

ذكر المصنف قبل هذا أن أخص هذا الصنف هم الجهمية والمعتزلة، والجهمية والمعتزلة ليس لهم انتصار لطريقة السنة، وإنما مقصوده: أن اغلاة هذا الصنف انتصارا معروفا لبعض مسائل أصول الإسلام التي خالفوا فيها المتفلسفة، كالقول بحدوث العالم، والرد على المتفلسفة الذين قالوا بقدم العالم، وكقولهم بإثبات النبوة على التحقيق ردا على المتفلسفة الذين جعلوا النبوة مكتسبة، وجعلوها ثلاث قوى -على ما يذكره ابن سينا وأمثاله-: قوة **التخييل**، وقوة التعبير، وقوة التصوير.

فالمعتزلة لهم ردود في هذا الباب في مثل هذا النوع من المسائل، وهي: مسائل أصول النبوات، وأصول الشرائع، وتحقيق الأمر والنهي أنه حقا على حقيقته، وتحقيق مسألة المعاد وأنها حقا على حقيقتها.

ويستدل المعتزلة فيها على هذا الصنف من المتفلسفة بدلائل الشريعة أو الدلائل العقلية، فهم لهم نصر للإسلام أو للسنة من هذا الوجه.

وإذا وقع المقصود في الصنف الثاني من هذا النوع -وهم المتأخرون من المتكلمين كالأشعرية وأمثالهم-

فإن لهم بعض العناية بنصر السنة -أي: ما ظنوه قول أهل السنة والجماعة- وهذا تارة يقعون فيه على شيء من التحقيق، وتارة يقعون فيه على شيء من الوهم والغلط، فيكون غلطهم من جهة ما ظنوه قولا لأهل السنة وليس قولا لهم.

أما ما وقعوا فيه من التحقيق فمن أخص مثالاته: استدلال الأشاعرة على ثبوت الصفات من حيث الأصل -أي: معارضة طريقة المعتزلة التي تقول بأن الرب لا يقوم بذاته شيء من الصفات- فصار الأصل عند الأشعرية أن الرب متصف بالصفات ..

فهذا أصل كلي، وأما عند التفصيل فإنهم ينازعون في كثير من تفاصيل الصفات -أعني الأشعرية-

فهذا من الحق الذي وصلوا إليه، وإن كانت طرقهم في إثبات الصفات ليست هي الطرق الفاضلة في الجملة، بمعنى: أن في طرق إثبات الصفات في كلام أئمة السلف من الطرق الشرعية والعقلية ما هو خير من الطرق التي يذكرها أئمة المتكلمين من متكلمة الصفاتية في مقابلة قول المعتزلة والجهمية.

وربما قرروا -في مقابلة قول الجهمية والمعتزلة- من المقالات التي هي وهم على السلف.

إذا: ما ترد به طائفة على طائفة وقعت فيما هو من الضلال تارة يكون محققا، وتارة يكون قاصرا، وتارة يكون غلطا؛ أي: أنهم يردون البدعة ببدعة أخرى، ولكنها في الجملة تكون أخف منها.

فالمعتزلة لم يتحصل لهم القول بحدوث العالم إلا بنفي الصفات، فهم يرون أن ثمة تلازما بين إثبات قبول الرب للصفات وبين القول بقدم العالم، وهذا التلازم وهم عند المعتزلة، وهذا الذي جعل شيخ الإسلام رحمه الله يقول كثيرا عن هؤلاء المتكلمين من المعتزلة وغيرهم: وهم لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا. لأنهم بنوا القول بحدوث العالم على القول بنفي الصفات، فجعلوه لا يتحصل في العقل إثبات حدوث العالم إلا بإثبات أن الرب لا يتصف بشيء من الصفات ..

ولا شك أن هذا الامتناع غلط؛ لأن العلم باتصاف الرب بالصفات أمر مستقر في العقل والشرع والفطرة، فلو فرض جدلا أن هذا -الذي هو ثابت بالعقل والشرع والفطرة- يدل على القول بقدم العالم لكان هذا من التناقض الذي جاءت به الرسل أو فطرت عليه العقول والنفوس.

المقصود: أن هؤلاء المتكلمين -في الغالب- لا يحققون بعض الحق إلا بالتزام شيء من الباطل، بل ربما صار الباطل الذي التزموه وأقروا به شرا من الخطأ في الحق الذي قصدوا تحقيقه، وهذا لا يطرد، لكنه يقع في بعض المسائل، وليس المقصود هنا القول في تفصيله.

وربما صارت أدلتهم في ردهم على المتفلسفة أدلة قاصرة يستطيع المحقق من المتفلسفة أو الحاذق منهم

أن يجيب عن هذه الأسئلة، كاستدلال كثير من أئمة الكلام على القول بإثبات المعاد على حقيقته، وردهم على المتفلسفة في ذلك بأن فرض المعاد على الحقيقة لا يلزم من فرضه محال.

وهذه الطريقة التي استعملها الكثير من متكلمي المعتزلة والأشاعرة ليست طريقة محققة في العقل؛ لأن مبنية على عدم العلم بالامتناع، وعدم العلم بالامتناع ليس علما بعدم الامتناع؛ بخلاف الطرق المذكورة في القرآن والسنة وكلام السلف في إثبات المعاد؛ فإنها مبنية على العلم بلزوم ثبوت هذا من حيث قياس الأولى الذي يقر به سائر العقلاء، وتجد أن المثال الذي وقع عليه القياس مستقر في سائر عقول بني آدم حتى الكفار ..

وهلم جرا.

وهذا يحصل منه نتيجة أخيرة وهي: أن هؤلاء وإن كان لهم اشتغال بالرد على المتفلسفة وأمثالهم -أعني: المتكلمين- إلا أنهم في الجملة لم يحققوا، وإن كان ﻟﻬم مقام حمد من حيث الجملة في هذه العناية، ولهذا لما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله المتفلسفة قال: وقد صنف نظار المسلمين في الرد عليهم والطعن عليهم.

ثم ذكر بعض مصنفات المعتزلة وبعض مصنفات الأشاعرة، فهذا مما يحمدون فيه؛ من حيث أنهم قصدوا رد ما هو مخالف لدين الإسلام، لكن من حيث الحقيقة التي استعملوها في هذا الرد والطرق التي سلكوها والمعاني التي التزموها هذا هو الذي يقع لهم فيه كثير من التأخر والقصور.." (١)

"الصنف الثالث من أصناف المخالفين لمذهب السلف: أهل التجهيل

قال المصنف رحمه الله: [وأما الصنف الثالث وهم: أهل التجهيل.

فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف يقولون: إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك.

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات].

هؤلاء هم أهل التجهيل، وأهل **التخييل** وأهل التأويل لهم مدارس مختصة عرفت بهم كمدرسة الفلاسفة باختلاف طرقها الباطنية والنظرية وغير ذلك، وكمدرسة المعتزلة والأشاعرة والماتريدية.

أما أهل التجهيل فهو -إن صح التعبير- رأي شاع في كثير من الطوائف، وليس له طائفة مختصة تعرف

---

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٤/١٠

بأنها طائفة أهل التجهيل أو طائفة أهل التفويض أو أهل التوقف، أي: ليس هناك طائفة مختصة تلتزم هذا المذهب باطراد، كما أنك تقول: المعتزلة، الأشاعرة ..

إلخ، إنما هي نظرية -أعني التجهيل أو التفويض أو التوقف- شاعت في كثير من الطوائف.

والمصنف هنا يشير إلى أن أخص من اعتنى به -أي: بمسلك التجهيل أو بعبارة أشهر وهي: مسلك التفويض- هم قوم من المنتسبين إلى السنة والأئمة الذين لم يحققوا مذهب السلف، وهو في الغالب يقع عند طائفة من فقهاء المذاهب الأربعة الذين عندهم ميل إلى صحة الطرق الكلامية ولكنهم ليسوا حذاقا في العلم الكلامي، وإنما عندهم ميل وأثر من أثر المتكلمين من أصحاب أبي الحسن أو أصحاب أبي منصور الماتريدي، بسبب الصحبة الفقهية، حيث إن هذا المتكلم شافعي وهذا الفقيه شافعي، وكما هو معلوم كثير من المتكلمين فقهاء ك الرازي، والغزالي، والجويني، وبعض أصحابهم الفقهاء الذين يشاركونهم في الفقه وفي أصول الفقه أو يشاركونهم في التمذهب على مذهب الشافعي أو مالك أو نحو ذلك ولم يشتغلوا بالعلم الكلامي تجد في الغالب أنهم يميلون لهذه الطريقة لا سيما و أن أئمتهم المتكلمين قرروا أن هذه الطريقة هي طريقة السلف، أو بعبارة أقرب أيضا: هي طريقة الأئمة الذين ينتحلون مذهبهم ك الشافعي ومالك وأمثالهما.

إذا: هذا صنف اشتغلوا بطريقة التفويض الذي يسميها المصنف طريقة التجهيل، وهم خلط من الفقهاء الذين تأثروا بأصحابهم من المتكلمين لما يجمعهم من الجوامع الفقهية والمذهبية في مسائل الشريعة.

الصنف الثاني: وهم قوم من المتكلمين من متكلمة الصفاتية، وهؤلاء طائفتان:

الأولى: تشتغل بالتأويل وتشتغل بالتفويض، أو تجوز التأويل وتجوز التفويض، وهذا هو الغالب على أصحاب أبي الحسن الأشعري.

الثانية: لم تر التفويض، وكانت تذم التفويض، لكن فيما بعد لما تبين لهم قصور طريقة التأويل سلكوا مسلك التفويض؛ لأنهم قصدوا الرجوع إلى مذهب السلف ولم يكن في علمهم أن مذهب السلف ليس هو التفويض، وهذا هو الذي تراه في كلام أبي المعالي الجويني في الرسالة النظامية، فإنه لما رجع عن طريقته التي قررها في الشامل والإرشاد، وذكر تحريم التأويل ومنعه، مال إلى طريقة ظنها مسلك السلف، وهي طريقة التفويض، ولهذا لو قيل: هل رجع الجويني إلى مذهب السلف وأهل السنة؟

قيل: من حيث الانتساب قصد ذلك، فقد تبين له أن طريقته الأولى فيها أغلاط شديدة، لكنه لم يصب المذهب من حيث التحقيق، وإن كان ينتسب إليه في الجملة.

ويدخل في الصنف الأول –الفقهاء– بعض المنشغلين بشروح الأحاديث ونحوه.
الصنف الثالث: وهم قوم من الصوفية الذين أعرضوا عن طرق الصوفية الباطنية، وعن طرق متكلمة الصوفية، وإن كان المتكلمون في الصوفية قليلين، لكن يقع لهم بعض ذلك، كما هي طريقة القشيري صاحب الرسالة، وكما هي طريقة أبي حامد الغزالي، فإن القشيري والغزالي من أعيان المتكلمين، وهم أيضا من أعيان المتصوفة، لكن ثمة صنف من المتكلمين عادة من الصوفية ليسوا باطنية كما هي طريقة المتفلسفة منهم، وليسوا مائلين إلى الطريقة الكلامية كـ القشيري والغزالي، وإنما هم بين هذا وهذا، فلديهم تأثر بأصحابهم أصحاب هذه الطرق، ففضلوا هذه الطريقة التي انضبط عند كثير من المتأخرين أنها طريقة السلف فاشتغلوا بها، وموجب الاشتغال: ما شاع عند كثير من أصحابهم وغيرهم أنها طريقة السلف، فهذا موجب.
وثمة موجب آخر: وهي أن علومهم الصوفية الأحوالية الإرادية تناسب هذه الطريقة؛ فإنهم ليسوا من أرباب النظر، وطريقة التأويل طريقة نظرية بخلاف طريقة التفويض؛ فإنها تناسب أرباب الأحوال والإرادات الذين لا يستعملون الطرق النظرية وإنما يستعملون الطرق –كما يسمى– الرياضية أو نحوه.
هذا هو الصنف الثالث الذين شاعت فيهم هذه الطريقة، وهم خلق من المتصوفة.
وقد شاعت هذه الطريقة –ولا سيما في هذا العصر– في نوع ممن اشتغل بالعمل للإسلام من وجه عام في بعض الطوائف والجماعات الإسلامية الذين قصدوا مذهب السلف ولكنهم ليسوا من أهل العلم، وتوهموا كما توهم من قبلهم خلق من الفقهاء وغيرهم أن طريقة السلف هي طريقة التفويض، فتقلدوا هذه الطريقة وهم ينتسبون إلى السلف ظانين أنها هي طريقة السلف مما فاتهم من العلم والاختصاص بمعرفة هذا الباب.." (١)

"أقوال الأئمة في صفات الله سبحانه

قال المصنف رحمه الله: [ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم].
المصنف يذكر من كلام السلف ومن أعيان السلف ما يبين أنهم برآء من الطرق الثلاث، أما براءتهم من طريقة التخييل الفلسفية فظاهر، ليس فيه إشكال، فإنه لم يتكلم أحد أن السلف كانوا من أهل التخييل، إلا ما وقع من أبي الوليد بن رشد الفيلسوف المتفقه على مذهب مالك؛ فإنه زعم أن بعض الصحابة كانوا يمتحلون هذه الطريقة، وتشبث ببعض الأحرف الثابتة عن بعض الصحابة كقول علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ وما جاء عن ابن مسعود أيضا: إن أنت محدث قوما

---

(١) شرح الحموية – يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٢/١١

حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان ببعض الفتنة.

وقد ذكر بعض الأفاضل أنها لا تصح، فزعم بهذا أن طريقته كانت معلومة عند بعض أئمة الصحابة.

وهذا سفه من أبي الوليد بن رشد لم يتقلده أحد من أصحابه ك ابن سينا وأمثاله الذين قرروا أن طريقتهم ليست مذكورة في كتب الأنبياء وما نزل عليهم من الوحي.

والطريقة الثانية -وهي طريقة التأويل- في الجملة يعلم براءة السلف منها، إلا ما وقع عند بعض متكلمة الصفاتية ك الشهرستاني، حيث زعم أن بعض السلف كانوا يشتغلون بالتأويل، وما زعمه أبو محمد بن حزم من أن داود بن علي -الذي هو إمام الظاهرية- والشافعي كانوا يشتغلون بشيء من التأويل، وهذا غلط من ابن حزم؛ فإن الشافعي رحمه الله أظهر من أن يتكلم في براءته من هذا العلم -أعني: علم الكلام- أو في براءته من التأويل بعامة ولو بغير الطريقة الكلامية.

وأما داود بن علي رحمه الله فهو أيضا بريء من طريقة ابن حزم الذي ذكرها في الفصل وغيره، فقد كان محل الخلاف بين داود بن علي وبين جمهور علماء عصره في الطريقة الظاهرية التي التزمها في الفقه، أما في أصول الدين فإنه على طريقة سائر أئمة السلف، وإن كان أخذ عليه بعض الأحرف اليسيرة التي هي من مقامات النزاع الكبار، كاشتغاله ببعض الجدل مع المخالفين في زمن كان الأئمة يفضلون فيه ترك الاستطراد، كما ذكر ذلك أبو حاتم.

وقد منعه الإمام أحمد رحمه الله من الدخول عليه بعد ذهابه إلى بلاد ما وراء النهر والرجوع منها؛ لأنه ذكر في تلك البلاد أن القرآن محدث، وقد كانت هذه اللفظة يستعملها إذ ذاك طائفة من الجهمية يقصدون بها أن القرآن مخلوق، وكان الإمام أحمد ينهى عنها، وكان داود يصححها لما جاء في قوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ [الأنبياء:٢] فأجاز هذا الإطلاق، وكان الإمام أحمد يمنعه إلا بسياق القرآن على التصريح، أي: تساق الآية على وجهها، ولا تذكر مستقلة.

فقد كان الإمام أحمد يدرأ شبه وتلبيس الجهمية، ولهذا عندما كتب إليه رحمه الله وهو في بغداد أن داود بن علي أظهر هذه المقالة في تلك البلاد، ثم رجع داود وكان معه صحبة لـ صالح ابن الإمام أحمد، فقال له: تلطف على أبي عبد الله وقل: هذا داود يستأذنك ولا تسمني.

فدخل على أبيه وقال له، فقال: داود ابن من؟ فقال: هو ابن علي.

قال: من أصبهان؟ قال: نعم؟ قال: لا يدخل، فإنه حدثني فلان عن فلان أنه قال ذلك.

وأنكر ذلك داود وتلطف، فقال الإمام أحمد: إن من حدثني أوثق عندي منه.

فكان هذا من تعزير الإمام أحمد رحمه الله بمقامه في السنة وتأديبه لمن حوله حتى لا يقع الاختلاط في المعتقد، بمعنى الابتعاد عن الألفاظ التي صارت مجملة بالاستعمال، وتركها إلى اللفظ الصريح.." (١)

"قول الأوزاعي رحمه الله

[إلى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع ما يعلم به مذهبهم.

روى أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا -والتابعون متوافرون- نقول: إن الله -تعالى ذكره- فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته، فقد حكى الأوزاعي - وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين: الذين هم مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق- حكى شهرة القول في زمان التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش، وبصفاته السمعية.

وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف هذا.

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي قال: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقال: أمروها كما جاءت.

وروى أيضا عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي: عن الأخبار التي جاءت في الصفات.

فقالوا: أمروها كما جاءت.

وفي رواية: فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

فقولهم - رضي الله عنهم -: أمروها كما جاءت.

رد على المعطلة، وقولهم: بلا كيف.

رد على الممثلة.

والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم، والأربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين، ومن طبقتهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة وأمثالهما].

إذا: الطريقة التي اشتبه على الكثير أنها طريقة السلف هي: طريقة التفويض، أما طريقة التأويل فمتحقق أن السلف برآء منها، ومن باب أولى طريقة **التخييل**.

---

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٢/١٢

وهذه الأحرف التي يذكرها المصنف تبين أن السلف مخالفون لطريقة التفويض.

فإن هذه الأحرف صريحة في الطعن على طريقة التأويل وطريقة التفويض.

أما استدلال من يصحح طريقة التفويض؛ بأن من أعيان السلف من قال: أمروها كما جاءت وهذا هو التفويض!!

فيقال: الأمر ليس كذلك؛ لأن المفوض يقول: أن المعنى الظاهر ليس مرادا.

فإذا كان الظاهر ليس مرادا فهل المفوض أمرها كما جاءت؟ الجواب: لا.

وأما أن السلف رحمهم الله كانوا يقصدون بقولهم في العبارة الثانية: أمروها كما جاءت بلا كيف البراءة من هذا فهو ظاهر، أما براءتهم من التشبيه والتمثيل فهذا ليس محلا للاشتغال به، لكن قول السلف: أمروها كما جاءت بلا كيف.

إنما نفى العلم بالكيفية، وهذا دليل على العلم بأصل المعنى، وإلا لو كان أصل المعنى ليس معلوما لما احتاجوا إلى نفي العلم بالكيفية؛ فإن العلم بالكيف قدر زائد عن العلم بأصل المعنى، ونفي القدر الزائد بالتصريح يستلزم العلم بما دونه.." (١)

"المقصد الخامس: أصناف المنحرفين عن سبيل السلف

قال المصنف: والمنحرفون عن سبيلهم ثلاثة أصناف -أي: عن سبيل السلف-:

الأول: أهل **التخييل**: وهم الذين فرضوا نصوص الكتاب والسنة **تخييلا** للجمهور، واختصوا الحقيقة العلمية بمن سموهم الحكماء -يعنون الفلاسفة- وهذه طريقة المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متفقه ومتصوف ومتكلم.

وقد ظهر المتفلسفة الذين انتسبوا للإسلام بعد علماء الكلام، وكان من أولهم -إن لم يكن هو أولهم كما تذكر بعض الكتب والمصادر: إن أول من تكلم بالطريقة الفلسفية المحضة في التاريخ الإسلامي هو- يعقوب بن إسحاق الكندي، لكن لم يكن له ذاك الشأن المشهور، إنما اشتهر هذا النمط من كلام أبي نصر الفارابي وأبي علي بن سينا.

والمتفلسفة في الجملة ينقسمون إلى قسمين: إما نظارية محضة أي يستعملون الطرق الفلسفية النظرية كما هي طريقة أبي الوليد بن رشد وغيره من المتفلسفة، أو عرفانية يستعملون الطرق الباطنية العرفانية التي تنبني على التصوف والإشراق، كما هي طريقة كثير من هؤلاء، وبخاصة الذين انتسبوا إما إلى التشيع وإما إلى

---

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٣/١٢

التصوف، فإن الباطنية المتفلسفة ينتسبون في الظاهر إلى أحد مذهبين: إما التشيع كما هو شأن أئمة الإسماعيلية والنصيرية، أو إلى التصوف كما هي طريقة أهل وحدة الوجود وأمثالهم كـ ابن عربي وابن سبعين ..

إلخ، أو طريقة ابن سينا في بعض أحواله.

فالباطنية إذا: إما باطنية شيعة أو باطنية صوفية.

وهم في الحقيقة متفلسفة، وبخاصة في طبقة الأئمة منهم، وإن كان قد ينتسب للإسماعيلية من لا يعرف شيئا اسمه الفلسفة، بل ربما كان أعرابيا ساذجا، لكن من حيث أئمة المذهب تراهم متفلسفة أو مقلدة لسلفهم المتفلسفة أصحاب الإشارات والرموز، وهي طريقة تجريدية بعيدة عن الطرق الفلسفية النظرية.

وبعض هؤلاء المتفلسفة الذين انتسبوا للإسلام يستعمل كلا المذهبين: المذهب العرفاني و المذهب النظري؛ فيؤمنون بكلا الطريقين كما هو حال ابن سينا؛ فإنه يستعمل الطريقة العرفانية تارة، فتراه إشراقيا تجريديا غنوصيا، وتراه في بعض كتبه وأحواله نظريا عقلانيا، بل إنه في كتابه المشهور الإشارات والتنبيهات ركبه من هذه الطريقة وهذه الطريقة، وصرح ابن سينا في غير موضع من كتبه أنه يؤمن بكلا الطريقين.

كما تأثر بالمنهج الذي صنعه ابن سينا الغزالي في ميزان العمل، فقد ذكر أن مذهبه ثلاثة: مذهب الجدل بالطريقة الكلامية، ومذهب اليقين بالطريقة الصوفية، ومذهب الإرشاد بطريقة الوعظ بالزواجر والدواعي.

هذا الصنف الأول وهم أهل **التخييل**، وهم ملاحدة زنادقة في الجملة، وهم من حيث الحقائق التي توصلوا إليها هي حقائق فلسفية منقولة، إما عن أرسطو كما هي في الطرق النظرية الغالبة أو عن غيره من الفلاسفة المثاليين، إما عن أفلاطون أو عن غيره.

هذا هو الصنف الأول، وكما أسلفت أنه تأخر ظهوره من حيث التاريخ عن المتكلمين، وهؤلاء اتفق المسلمون على ذمهم، وصنف حتى أئمة الكلام في الرد عليهم، ومن ذلك كتاب أبي حامد الغزالي كتابه مقاصد الفلاسفة، ثم تهافت الفلاسفة وقد جزم الغزالي بكفر الفلاسفة في ثلاثة مسائل: مسألة إنكار المعاد الجسماني، والقول بأن الله لا يعلم الجزئيات وإنما يعلم الكليات، والقول بقدم العالم.

والمصنف هنا يقول: وهم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من المتفقه.

وهو يشير بهذا إلى بعض المتفلسفة الذين اشتهروا بشيء من الفقه كما هو حال أبي الوليد بن رشد صاحب كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد فإنه متفقه على مذهب الإمام مالك، وإن كان فيلسوفا أكثر ما اشتهر بمسألة الفلسفة، وبخاصة الفلسفة الأرسطية المنسوبة لـ أرسطو طاليس؛ لأنه من أكثر من دافع عنه وانتصر

لطريقته.

ومتصوف كما هو حال ابن عربي وابن سبعين والتلمساني وأمثالهم، فإن هؤلاء وإن عرفوا بالتصوف إلا أن حقائقهم العلمية مبنية على مقدمات فلسفية محضة، بل نظرية وحدة الوجود قد نص أرسطو في بعض كتبه على أنها نظرية فلسفية، وكتب كثيرا في الرد عليها كما ذكر ذلك ابن سينا، وكما ذكر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله.

الصنف الثاني: وهم أهل التأويل.

وهم الغالب على علماء الكلام، وإن كان ليس كل متكلم هو من أهل التأويل، بل من المتكلمين مشبهة ك هشام بن الحكم، أو مجسمة ك محمد بن كرام وأتباعه، لكن جمهور المتكلمين هم من أهل التأويل، وبخاصة أئمة الجهمية والمعتزلة وعامة الأشاعرة والماتريدية، وهم الذين عني المصنف وقصد الرد عليهم؛ لظهور الإشكال في طريقتهم وبخاصة لما انتسب قوم من أصحابها إلى أهل السنة والجماعة، كما هو حال الأشعري وعامة أصحابه.

الصنف الثالث: وهم أهل التجهيل.

وهذه ليست طائفة مختصة معينة، وإنما هو قول في الصفات شاع في كثير من الطوائف المتأخرة، فاستعمله طائفة من الأشاعرة، واستعمله طائفة من الصوفية، وبعض المنتسبين للسنة من الفقهاء ممن لم يحقق مذهب السلف؛ لأن جمهور الأشاعرة قرروا فيما نفوه من الصفات أن مذهب السلف فيه هو التفويض، وهو الذي يسميه المصنف تجهيلا.." (١)

"قول الفلاسفة في النبوة

لقد أجمع أهل القبلة على أن النبوة اصطفاء من الله سبحانه وتعالى يصطفي به عبدا من عباده، ولم يقل بكون النبوة مكتسبة إلا الفلاسفة الملاحدة، كما قرر ذلك ابن سينا وأمثاله من الفلاسفة، ويجعلون لها ثلاث قوى: قوة التعبير، وقوة التصوير، وقوة **التخييل**، وهذا قول لا أصل له في دين المسلمين.." (٢)

"الإيمان بالبعث وما بعده

ثم قال رحمه الله: (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان) .

---

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٧/٢١

(٢) شرح الطحاوية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٤/٥

نؤمن أي: نعتقد مقرين منقادين قابلين ما جاءت به النصوص من الخبر بالبعث، والبعث هو الإحياء بعد الإماتة، وهذا البعث لا ينكره مؤمن، بل من أنكره فهو كافر، وقد أقام الله جل وعلا من الأدلة في كتابه وفي سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما يدل عليه دلالة واضحة، وكل من أنكر البعث فإنه كافر بالله رب العالمين، وهذه العقائد ليست لتمييز عقائد أهل الإسلام عن أهل الكفر، فلماذا ذكر المؤلف رحمه الله البعث في جملة ما يعتقده أهل السنة والجماعة؟ ذكر ذلك ليرد على المنحرفين من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام الذين يقولون: إن البعث ليس بعثا للأجساد، إنما هو بعث للأرواح فقط، وأما بعث الأجساد فليس كائنا ولا واقعا.

إذا: ذكر البعث في جملة اعتقاد أهل السنة والجماعة ليرد على من أنكر بعث الأجساد، وهم الفلاسفة الذين قالوا: إن ما أخبرت به الملائكة إنما هو **تخييل**، يعني وهم وخيال ليس له حقيقة، قالوا: والبعث لا يكون للأبدان إنما يكون للأرواح، وعلى هذا ابن سيناء ومن سار في طريقه من المتفلسفة المنتسبين للإسلام، فإنهم ينكرون ما أخبرت به الرسل من بعث الأرواح والأبدان، وأنه تعاد الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا، وهذا يدل على البعث للجسد والروح، وبهذا البعث يكتمل اقتران الأرواح بالأبدان؛ لأن اقتران الأرواح بالأبدان متفاوت؛ ففي الدنيا الحكم للبدن والروح تابع، وفي البرزخ الحكم للروح والبدن تابع، وفي الآخرة يكتمل اقتران الروح بالبدن، فما يكون من نعيم للبدن ينال الروح منه نفس النصيب، وكذلك العكس، لكمال الاقتران بين الأرواح والأبدان يوم القيامة.

هذا البعث ما حكمته؟ ما غايته؟ ما المراد منه؟ هو ما ذكره رحمه الله بقوله: (وجزاء الأعمال يوم القيامة) أي: ونؤمن بجزاء الأعمال يوم القيامة؛ لأن البعث ليس لمجرد البعث، بل هو ليلقى الإنسان مقابل عمله، فقول المؤلف رحمه الله: (جزاء الأعمال) ، جزاء في اللغة هو الغنى والكفاية، وهو ما يكون مقابل العمل، وقوله رحمه الله: [الأعمال] جمع عمل، والعمل يطلق على العمل الصالح والعمل السيئ، ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾ [النساء:١٢٣] ، ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ [طه:١١٢] ، فالعمل يطلق على العمل الصالح والعمل السيئ، والغالب في العمل أن يكون مقترنا بنية خلافا للفعل، فالفعل قد لا يكون بنية؛ ولذلك لم يذكر الله جل وعلا في كتابه الإثابة على الأفعال إنما الإثابة للأعمال، والعمل يصدق على القول وعلى الفعل، وعلى العمل الضار والعمل النافع، وعلى عمل الجوارح، كل هذا يصدق عليه أنه عمل، وجزاء الأعمال أي: ثوابها، ومقابلها الإساءة بمثلها، وذلك يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين، وسمي يوم القيامة بهذا الاسم؛ لأنه تقوم فيه الأبدان لرب العالمين، قال الله جل وعلا: ﴿يوم يقوم الناس

لرب العالمين﴾ [المطففين:٦] ، وأيضا سمي بيوم القيامة لأنه يقوم فيه الأشهاد، فالأشهاد يقومون ويشهدون، ولأنه تقام فيه الموازين، فيوزن فيها الأعمال والعمال كما سيأتي.." (١)

"[المسألة الثالثة] :

نبوة الأنبياء أو رسالة الرسل بما تحصل؟ وكيف يعرف صدقهم؟ وما الفرق ما بين النبي والرسول وبين عامة الناس أو من يدعي أنه نبي أو رسول أو من يأتي بالأخبار المغيبة أو يجري على يديه شيء من الخوارق؟

والجواب عن ذلك: أن المتكلمين في العقائد نظروا في هذا على جهات من النظر.

ونقدم قول غير أهل السنة، ونبين لكم قول السلف وأهل السنة والجماعة في هذه المسألة العظيمة.

وهي من المسائل التي يقل تقريرها في كتب الاعتقاد مفصلة.

فنقول: إن طريقة إثبات نبوة الأنبياء وإرسال الرسل للناس فيه مذاهب:

١ - المذهب الأول:

أن الرسل والأنبياء لديهم استعدادات نفسية راجعة إلى القوى الثلاث والصفات الثلاث وهي السمع والبصر والقلب، فإنه يكون عنده قوة في سمعه، فيسمع الكلام؛ كلام الملأ الأعلى، وعنده قوة في قلبه، فيكون عنده تخيلات أو يتصور ما هو غير مرئي، وعنده بصر أيضا قوي يبصر ما ل١ يبصره غيره.

وهذه طريقة باطلة، وهي طريقة الفلاسفة الذين يجعلون النبوة من جهة الاستعدادات البشرية، لا من جهة أنها وحي وإكرام واصطفاء من الله جل جلاله.

٢ - المذهب الثاني:

قول من يقول إن النبوة والرسالة طريق إثباتها والدليل عليها هو المعجزات.

وهذا قول المعتزلة والأشاعرة وطوائف من المتكلمين، وتبعهم ابن حزم وجماعة، وجعلوا الفرق ما بين النبي وغيره هو أن النبي يجري على يديه خوارق العادات.

فمنهم من التزم -وهم المعتزلة وابن حزم- في أنه ما دام الفرق هو خوارق العادات وهي المعجزات فإذا لا يثبت خارق لغير نبي.

فأنكروا السحر والكهانة، وأنكروا كرامات الأولياء، وأنكروا ما يجري من الخوارق؛ لأجل أن لا يلتبس هذا بهذا وجعلوا ذلك مجرد تخييل في كل أحواله.

وأما الأشاعرة فجعلوا المسألة مختلفة، وسيأتي تفصيلها في موضعها إن شاء الله عند كرامات الأولياء.

---

(١) شرح الطحاوية لخالد المصلح خالد المصلح ٦/١٨

٣ – المذهب الثالث:

هو مذهب أهل السنة والجماعة والسلف الصالح فيما قرره أئمتهم وهو أن النبوة والرسالة دليلها وبرهانها متنوع، ولا يحصر القول بأنها من جهة المعجزات الحسية التي ترى أو تجري على يدي النبي والولي.

فمن الأدلة والبراهين لإثبات النبوة والرسالة:

– أولا: الآيات والبراهين.

– ثانيا: ما يجري من أحوال النبي في خبره وأمره ونهيه وقوله وفعله مما يكون دالا على صدقه بالقطع.

– ثالثا: أن الله – عز وجل – ينصر أنبياءه وأولياءه ويمكن لهم ويخذل مدعي النبوة ويبيد أولئك ولا يجعل لهم انتشارا كبيرا.

وهذه ثلاثة أصول.

@ أما الأول: فمعناه أن من قرر نبوة الأنبياء عن طريق المعجزات، فإننا نوافقهم على ذلك؛ لكن أهل السنة لا يجعلونه دليلا واحدا، لا يجعلونه دليلا فردا؛ بل يجعلونه من ضمن الدلائل على النبوة.

وهذا الدليل وهو دليل المعجزات –كما يسمى– يعبر عنه أهل السنة بقولهم الآيات والبراهين، وذلك لأن لفظ (المعجز) لم يرد في الكتاب ولا في السنة، لفظ (المعجزة) وإنما جاء في النصوص الآية والبرهان ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ ، ﴿في تسع آيات إلى فرعون وقومه﴾ [النمل:١٢] ، وقال ﴿فذانك برهانان من ربك﴾ [القصص:٣٢] ، ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ [البقرة:١١١] ، ونحو ذلك من الآيات التي تدل على أن ما يؤتاه الأنبياء والرسل إنما هو آيات وبراهين.

وبعض أهل العلم جعل لفظ المعجز نتيجة في أن آية النبي وبرهان النبوة معجز، لكن لفظ الإعجاز فيه إجمال.

وذلك لأنه معجز لمن؟

فيه إجمال وفيه إبهام.

فإعجاز ما يحصل لمن هو معجز؟

فإذا قلنا معجز لبني جنسه فهذا حال، معجز لبني آدم فهذا حال، معجز للجن والإنس فهذا حال، معجز لكافة الورى فهذا حال.

ولهذا جعل المعتزلة والأشاعرة في الخلاف ما بينهم في المعجزات جاءت من هذه الجهة:

أن لفظ معجز اختلفوا فيه، معجز لمن؟

كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله.

ولهذا نعدل عن لفظ الإعجاز إلى لفظ الآية والبرهان.

ونقول الآية والبرهان التي يؤتاها الرسول والنبي للدلالة على صدقه تكون معجزة للجن والإنس جميعا.

فما آتاه الله – عز وجل – محمدا صلى الله عليه وسلم يكون معجزا للجن والإنس جميعا، كما قال تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء:٨٨] .

أما إعجاز بعض الإنس دون بعض، أو الإنس دون الجن، فهذا هو الذي يدخل في الخوارق ويدخل في أنواع ما يحصل على أيدي السحرة والكهنة وما أشبه ذلك.

أما الفرق ما بين الآية والبرهان الدال على صدق النبي مع ما يؤتاه أهل الخوارق، أنه هل هو معجز عامة الجن والإنس أم لا؟

فإن كان معجز لعامة الجن والإنس فهو دليل الرسالة والنبوة.." (١)

"[المسألة الثالثة] :

الناس لهم في الكرسي أربعة أقوال، يعني غير أهل السنة:

١- القول الأول: وهو قول الحسن وهو أن الكرسي هو العرش وهذا قول ضعيف، الآثار ترده كما قلت لك.

٢- القول الثاني: أن الكرسي لما ذكر في آية واحدة هي آية الكرسي في سورة البقرة، أنه تمثيل وأنه ليس ثم حقيقة للكرسي؛ ولكن هو تمثيل لتقريب عظمة الله – عز وجل –.

وهذا هو قول الذين ينفون كثير من الصفات التي تدل على عظمة الله وقدرته كقوله ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر:٦٧] ، ونحو ذلك فيقولون: إن هذا كله **تخييل**؛ بل قالوا: إن كل نص جاء في الكتاب والسنة من هذا القبيل فإنه لأجل **التخييل** لا تقصد حقائقه، وإنما المقصود تعظيم الناس لله – عز وجل – وإلا فهذه ليست على حقائقها.

وهذا القول معروف من أقوال المعتزلة وطائفة من الأشاعرة، ومن المعاصرين قرره في تفسيره سيد قطب في ظلال القرآن وجعله قاعدة كلية في آخر سورة الزمر عند قوله تعالى ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ .

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٨١

وفي الحقيقة إن القول بأن هذا كله على جهة **التخييل** إلغاء لكل الدلالات الشرعية للألفاظ وإلغاء لكل الغيبيات لأنه يكون المقصود في كل هذا التمثيل.

وهذا القول قدمه الزمخشري في الكشاف وكأنه يميل إليه، وعلى قاعدتهم في أن كل النصوص من هذا الباب على وجه التوهم **والتخييل**.

وهذا القول كما ذكرت لك غلط عظيم؛ لأن معناه نفي كل الأمور الغيبية هذه على هذه القاعدة، فما كان من الأمور الغيبية يدل على عظمة الله وكان فيها تمثيل بأشياء موجودة عند البشر فتنفى ويكون المقصود التمثيل لا الحقيقة.

٣- القول الثالث: أن الكرسي هو العلم، فكرسي الرحمن - عز وجل - هو علمه، وقوله ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ يعني وسع علمه السموات والأرض.

وهذا القول مروي عن ابن عباس ولكن الصحيح عن ابن عباس خلاف هذا القول.

ويرد على هذا القول بأمور:

١ - أن مادة الكرسي للجمع، والعلم شيء آخر، هذا من جهة اللغة.

٢ - أن الله - عز وجل - ذكر أن الكرسي وسع السموات والأرض؛ ولكن علمه - عز وجل - وسع كل شيء، قال سبحانه ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ [غافر:٧] ، وقال - عز وجل - ﴿والله بكل شيء عليم﴾ وعلم الله - عز وجل - يشمل علمه بذاته - عز وجل - وبأسمائه وصفاته وأفعاله وعلمه - عز وجل - الذي يسع السموات والأرض وعلمه - عز وجل - الذي يسع الجنة والنار وعلمه - عز وجل - بعد تغير السموات والأرض وقبل خلق السموات والأرض.

فإذا تفسير الكرسي بأنه العلم هذا يضاد أن العلم يسع كل شيء ﴿وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ ، وأما كرسي الرحمن - عز وجل - فقال ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ .

٣ - أن قولهم إن الكرسي هو العلم وأن مادة تكرس راجعة إلى العلم، والعلماء سموا كراسي لأجل العلم ونحو ذلك من الاحتجاجات واحتجاجهم بقول الشاعر يصف قنصه لفريسته:

فلما احتازها تكرسا..................

قالوا يعني علم.

فهذا من الجهة اللغوية فيه ضعف، وذلك أن العلم ليس راجعا إلى الجمع والعلماء صحيح أنهم جمعوا علومهم لكن العلم من حيث هو يحصل بتلقي المعلوم ثم العلم به والمعرفة به، فليس كل علم ناتجا عن

جمع بل يكون ناتجا عن تصور الخبر، فيكون معلوما له.
وهذا هو المقرر في اللغة وعند أهل نظرية المعرفة، فإن المرء يعلم بدون جمع، والله – عز وجل – وصف الصغير بقوله ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ [النحل:٧٨] ، فكلما علم المخلوق، كلما علم الصغير شيئا صار عالما به ولو لم يجمعه إلى غيره، فمادة الجمع غير مادة العلم، مادة الكرس غير مادة العلم والعلم ما صار علما للجمع، وإن كان العلماء سموا كراسي لأجل جمعهم العلم.
فإذا راجع تفسير كلمة التكرس إلى كلمة الجمع، واحتجاجهم بقول الشاعر كما ساقه ابن جرير الطبري في تفسيره:
فلما احتازها تكرسا...............
يدل على أن التكرس بمعنى الجمع لا بمعنى العلم لم؟
لأنه قال (فلما احتازها) يعني صارت في حوزته.
(تكرسا) وهو علم بأنه قنصها لما صارت في حوزته.
يكون تكرسه شيئا جديدا زائدا على ما حصل له من الحيازة، فالحيازة بها علم وزاد بعد الحيازة أن ضمها وجمعها إليه.
فإذا من حيث اللغة فإن دلالة التكرس على العلم دلالة ضعيفة؛ بل الصواب أن التكرس ومادة كرس راجعة إلى الجمع في اشتقاقاتها جميعا.." (١)
"[المسألة الرابعة] :
كرامة الأولياء هي أمر خارق للعادة، وتشترك مع مخاريق السحرة والكهنة في أنها أمر خارق للعادة، وكذلك معجزات الأنبياء والآيات والبراهين هي أمر خارق للعادة.
فخرق العادة في نفسه ليس مثنى عليه، فقد تخرق العادة لمبطل، وقد تخرق العادة لصالح -يعني لرجل صالح-، وقد تخرق العادة لكاهن، ساحر، وقد تخرق العادة لولي صالح.
ولهذا وجب أن يكون ثم فرقان في خرق العادة عند من حصلت له وعند الناس.
هل خرقت العادة لمؤمن تقي أو لمبطل غير متابع للسنة من السحرة والكهنة وأشباههم؟
فنعلم حينئذ الفرقان البين بين كرامة الولي وخرق العادة له وأنها خرق إيماني، خرق من الله – عز وجل –

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٢٧٤

لإكرامه وكرامته، وبين خرق العادة للساحر والكاهن والمشعوذ وأنها خارق شيطاني؛ لأن الشياطين لها قدرة في خرق عادة.

لكن ثم فرق بين خارق العادة للشياطين وخارق العادة للأولياء، وهو:

@ أن خارق العادة للأوںياء هذا:

- أولا: من الله - عز وجل - أولا.

- ثانيا: وأثر من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

- ثالثا: أنه خرق لعادة أهل الزمان، فهو في جنسه أعظم وأرفع من جنس خوارق السحرة.

@ وأما خوارق السحرة فهي:

- أولا: من الشيطان، مخاريق شيطانية نتجت من التقرب للشياطين والتعاون معهم حتى خدمتهم الشياطين، كما قال - عز وجل - في سورة الأنعام لما ذكر حشر الجن والإنس يوم القيامة قال ﴿ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ [الأنعام:١٢٨] ، فاستمتع الإنسي بالشيطان الجني واستمتع الشيطان الجني بالإنسي، فهذا تقرب وهذا خدم، لهذا منشؤها من جهة الشيطان.

- ثانيا: أنها متابعة للمعصية والبدعة والشرك إلى آخره التي هي مخاريق السحرة.

- ثالثا: أنها محدودة، وفي الغالب أنها **تخييل** وليست حقيقة، والشيطان هو الذي يتمثل وليس من أعطي الخارق أو من جرى الخارق على يديه في ظاهر أعين الناس أنه هو الذين انتقل.

مثلا وجد في الشام ووجد في مكة في نفس الوقت، وجد في مصر في القرية الفلانية ووجد في القرية الفلانية، هذا لا يمكن أن يكون إلا من الشيطان.

مثلا مثل ما قال عبد الوهاب الشعراني في ترجمة أحد من ادعى أنهم مجاذيب ومجانين وأولياء-يعني في الثناء عليه- قال في ترجمته (وكان رحمه الله يخطب الجمعة في سبع قرى في مصر) .

وهذا خارق عند الناس، كيف القرية هذه والقرية هذه كلهم يخطب فيهم هذا؟؟

فيكون الشيطان تمثل به وخدمه حتى يغوي الناس، وبالإضافة إلى ذلك هو مجنون ومجذوب وما شابه ذلك.

فإذن الشياطين تخدم الساحر والكاهن لكن أكثر ذلك **تخييل** كما قال - عز وجل - ﴿يخيل إليه من

سحرهم أنها تسعى﴾ [طه:٦٦] ، وثم تفصيل للكلام على هذه المسائل المهمة في مسائل نأتي إليها إن شاء الله تعالى في الدرس القادم.." [١]

"[المسألة السادسة] :

ذكرنا لكم أن الخوارق ثلاثة أقسام:

- خارق للعادة جرى على يدي نبي ورسول، وهذا يسمى آية وبرهان ومعجزة.

- وخارق للعادة جرى على يدي ولي، وهذا يسمى كرامة.

- وخارق للعادة جرى على يدي شيطان أو عاصي أو مبتدع أو من ليس مطيعا لله ومتقيا له، فهذا يسمى حالا شيطانيا.

فالفرق بين هذه الثلاثة أشياء واضح:

١ - أولا: أن الأمر الخارق للعادة بحسب من يضاف إليه:

- فإذا أضيف إلى النبي صار اسمه آية وبرهانا ومعجزا.

- وإذا أضيف إلى الولي فإنه يسمى كرامة.

- وإذا أضيف إلى أصحاب الكهانة والسحر والشعوذة فيسمى حالا شيطانيا.

٢- ثانيا: أن خرق العادة الذي يجري للولي لا يكون مصحوبا بدعوى النبوة، فقد يجري للأولياء أحوال عظيمة لكنها مع عدم دعوى النبوة.

فإذا ادعى مع تلك الأحوال النبوة صار شيطانا، وصار ما يساعد به إنما هو من جهة الشياطين والسحرة وأشباه ذلك.

٣- ثالثا: أن ما تخرق به العادة للنبي أوسع بكثير وأعظم من مما تخرق به العادة للولي، فخرق العادة للولي محدود بالنسبة لخرق العادة للنبي.

وخرق العادة للسحرة والكهنة الشياطين وأهل الشعوذة وأهل العصيان الذين يدعون الأحوال هذه ليست خرقا للعادة في الحقيقة ولكنها قدرة مما أعطى الله الشيطان أن يوهم به الناس وأن يضل الناس به، من جهة **التخييل** تارة، ومن جهة تصوره وتشكله في صور وأشكال تارة أخرى.

أما خرق العادة بالنسبة للأنبياء، فالأنبياء يخرق الله - عز وجل - لهم العادة أي عادة الجن والإنس في زمانهم، حتى يكون ما يعطوه آية وبرهانا؛ لأن الساحر والكاهن قد يعارض النبي بما أعطي من خارق للعادة

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٦٧٣

بما يمكن للشياطين أن تمد به هذا الساحر والكاهن إلى آخره.
لكن جعل الله – عز وجل – الخارق للعادة بما لا يمكن للإنسي ولا للجني لو اجتمعت أن يعطوا ذلك، كما قال – عز وجل – ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء:٨٨] ، فالقرآن آية، برهان، وهكذا آية موسى عليه السلام، الآيات التي أوليتها موسى لا تستطيعها السحرة ولا الكهنة، وكذلك ما أعطى الله – عز وجل – عيسى من الآيات، وكذلك كل نبي ورسول لا يستطيعه أهل زمانهم من الإنس والجن لو اجتمعوا، فإنهم لا يستطيعون ذلك.
ولهذا صار مثلا حمل الشيء الكبير العظيم من بلد إلى بلد لا يدخل ضمن معجزات الأنبياء كما حصل في قصة سليمان عليه السلام: ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ [النمل:٣٩] ، هذا حمل لمدة أن يقوم بالمقام، ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ [النمل:٤٠] ، فصار جلب هذا الشيء من مكان إلى مكان، من اليمن إلى أرض سليمان عليه السلام في فلسطين، صار جلبه ليس من آيات الأنبياء ولا من براهين الأنبياء، فصار في حق الذي أوتي علما من الكتاب: كرامة (١) .

: [[الشريط السابع والأربعون]] :

وما قام به الجن هذا مما يقدرون عليه، فخرق الجن للعادة بما لا يستطيع البشر قصارى ما عندهم أن يأتوا به قبل أن يقوم من هذا المقام، يعني ذلك الجني الذي قال تلك الكلمة، وهذا الذي أكرم، أكرم بأن يدعو فيؤتى بالعرش إلى سليمان عليه السلام.
وهذا من جهة هو كرامة لمن أعطي، ومن جهة أخرى هو أيضا آية لسليمان عليه السلام بالنظر إلى تسخير هذا الإنس والجن له مما لا يسخر معه الإنس والجن والطير لغير نبي من الأنبياء.
المقصود من ذلك:
- أن خارق النبي آية وبرهان؛ لأنه يخرق عادة الجن والإنس في ذلك الزمان.
- أما خارق الولي فهو محدود بالنسبة إلى خارق النبي في أنه تخرق له العادة التي لا يستطيعها الإنس ولا بعض الجن.
لأن اجتماع الإنس والجن، هذا خاص -يعني لو أرادوا أن يحدث شيء- هذا لا يمكن لأن معجزة النبي أكبر وأعظم، وأما الولي فإنه بحسب من هو فيهم لأنها كرامة وليست آية ولا برهانا على رسالة ولا نبوة؛

بل هو خاص بما يكرم به هو.

- أما خوارق الشياطين والسحرة بما يولون به أولياء الشياطين من الإنس فهذه محدودة:

& وقد تكون **تخييلا** -يعني تصوير للعين-.

& وقد تكون تشكلا لكن تشكل من الجني في صورة إنسي أو في صور حيوان أو ما أشبه ذلك.

لهذا قد يظهر الجني في صورة إنسان، في صورة العبد الصالح ويكون في مكان آخر، مثل ما قال ابن تيمية رحمه الله في موضع (كان وقع بأصحابي شدة، قال: فرأوا صورتي عندهم فاستغاثوا بي، ثم أخبروني فأعلمتهم أني لم أبرح مكاني -يعني في دمشق وهم كانوا خارج دمشق-، وإنما هذا جني تصور بي) .

وهذا مما أقدر الله عليه الجن، لكن لا يقلبون الحال؛ لكن يتشكلون في صورة ينظر إليها الإنسي أن هذا هو صورة فلان، من قبيل التشكل، لكن ليس ثم مادة وقلب حقيقي.

لكن قد يدخلون في جسد حيوان، قد يدخلون في جسد إنسان، هذه مسألة التلبس مسألة أخرى لكن من حيث التشكيل والتصوير هذا من جهة **التخييل**، أو من جهة إظهار الشيء بدون حقيقة مادية؛ لأنهم هم ليس لهم مادة يعني مثل مادة الإنسان.

لهذا صار صاحب الخوارق الشيطانية، هذا ليس بكرامة وإنما هو من جهة الشيطان، ولا يعطيه الله - عز وجل - على ذنبه ومعصيته واستعانته بالشياطين، فيستعين بالشياطين على ذلك.

٤- رابعا: أن كرامة الولي لا تبلغ جنس آية النبي.

هذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة؛ -يعني أهل الحديث- في أنها لا تبلغ جنسها وإن شركتها، يعني اشتركت معها في الصورة فلا تبلغ جنسها.

يعني قد يدخل النار فلا يحترق، وإبراهيم عليه السلام دخل نارا فلم تضره أو صارت بردا وسلاما عليه؛ لكن لا يشتركان في الجنس، وإن اشتركوا في النوع.

يعني إن اشتركوا لكن هذه قدرها ليس كقدر هذه، صفة النار هذه ليست النار كصفة هذه، وصفة ما يحصل للولي ليس كصفة ما يعطاه النبي.

وأما الأشاعرة وطائفة فإنهم قالوا تتساوى، تتساوى الكرامة بآية وبرهان النبي والمعجزة من حيث الجنس، لكن الفرق بينهما أن النبي يقول: أنا نبي، وأما الولي فيقول: أنا تابع للنبي.

والأول مثل ما ذكرت لك هو المتعين لأن الله - عز وجل - فرق بين ما يعطيه النبي من خرق العادة وما يعطيه غيره فقد قال فيما يعطيه للنبي: ﴿قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا

يأتون بمثله﴾ [الإسراء:٨٨] ، وأما ما يعطيه الإنسي فإنه قد يكون محدودا.
مثلا أصحاب الكهف ناموا تلك النومة، ولم يتأثروا ثلاثمائة وتسع سنين، فيه من يعيش أكثر من ذلك.
وهذا أقل مما يحصل للأنبياء في جنس ما يعطون.

---

(١) نهاية الشريط السادس والأربعين.." (١)
"[المسألة السابعة] :
أنكرت المعتزلة وجماعات كرامات الأولياء وقالوا: إن إثبات كرامات الأولياء يعود على معجزات الأنبياء بالإبطال؛ لأن الجميع خرق للعادة، وما عاد على معجزات الأنبياء بالإبطال فهو باطل.
فالجواب عن ذلك أن الله – عز وجل – أثبت هذه الأنواع الثلاث:
أثبت الآيات والبراهين التي يعطيها للأنبياء.
وأثبت – جل جلاله – كرامات الأولياء.
وأثبت – عز وجل – مخاريق السحرة وتخييلات السحرة.
فكل هذه في القرآن وفي السنة، وكلها تشترك في أنها أمور خارقة للعادة، فعدم الإيمان بها هو رد للقرآن فيما دل عليه.
وقد لا تكون الدلالة عندهم قطعية وبذلك لا تدخل المسألة في الكفر؛ لكن ظاهر أن القرآن فيه هذا وهذا.
فمثلا مريم عليها السلام أعطيت أشياء وليست بنبية لأنه ليس في النساء نبية كما هو معلوم، ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [آل عمران:٣٧] ، وكذلك قصة أصحاب الكهف، وهؤلاء جميعا ليسوا بأنبياء.
المقصود من ذلك أن جنس الكرامة هذا ثابت في القرآن وفي السنة وقصه الله – عز وجل –، فنفي الكرامة لأنها خارق للعادة هذا رد لما أثبته الله – عز وجل –، والله – عز وجل – فرق بين هذا وهذا.
وأما أنها تشتبه مع خارق الأنبياء فهذا ليس بصحيح كما ذكرنا لك من الفروق السابقة لأنه ثمة فروق ما بين كرامات الأولياء وما بين معجزات الأنبياء.
وطردوا المعتزلة هذا الباب فقالوا: كل الخوارق الشيطانية وكل الخوارق التي تجري للعقل والسحر والأشياء

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٦٧٩

كل هذه مما يدخل في باب خرق العادة، لا نؤمن به ويرد.

وكله جريا منهم على هذا الأصل، وهو أنه يعود على آيات الأنبياء بالإبطال.." [١]

"وهذا هو الرسول، وهو الإيمان بالرسل، فلا يؤمنون بأن الله تعالى اصطفى أنبياءه ورسله، بل يقولون: إن الرسالة ليست هبة من الله وليست محنة، بل هي صنعة من الصناعات وكسب يكسبه الإنسان وسياسة من السياسات، ولها ثلاث خصائص ثلاث خصائص من توافرت فيه فهو نبي، فالنبي رجل عبقري متميز عن غيره بهذه الخصائص.

الخصيصة الأولى قوة الإدراك وسرعته؛ لينال من العلم أعظم مما يناله غيره رجل ليس عاديا، بل هو رجل عبقري ذكي عنده سرعة الإدراك والحفظ لينال من العلم أكثر مما يناله غيره.

الثاني الصفة الثانية: قوة النفس أو قوة التأثير، ليؤثر بها في سيول العلم بقلب صورة إلى صورة، يعني يكون عنده قوة تأثير يشبه الساحر بحيث يقلب ما ارتسم في ذهنك من صورة إلى صورة، وأنت لا تشعر من قوة تأثيره من قوة نفسه، فإذا ارتسم في ذهنك صورة كذا وكذا، نوعها كذا وكذا استطاع أن يقلبها من صورة إلى صورة بقوة تأثيره وقوة نفسه.

الصفة الثالثة: قوة التخيل وقوة التخيل قوة التخيل، حتى يتخيل الملائكة الذين هم العقول، يتخيلهم في صورة شيء محسوس أمامه، كأن أمامه رجل يخاطبه، فيتخيل أن الملائكة أشخاص، وقد يقوى الوهم فيسمع أصواتا تخاطبه.

جزى الله فضيلة الشيخ خيرا على ما قدم، وجعله في ميزان حسناته.

وأما الإيمان بالكتب فإنهم لا يثبتون الكلام لله عز وجل ولا يثبتون أن الله تكلم بكلام أنزله على أنبيائه ورسله، ولم يكن لله كلام، لا يثبتون لله كلاما ولا كتبا أنزلها، ولا يصفون الله بالكلام، فلا يكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر، يعني أمورا، معاني تفيض، معاني ليس بحرف ولا صوت، معاني تفيض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر متميز عن النوع الإنساني، متميز عن النوع الإنساني بخصائص، وهذا هو الرسول وهو الإيمان بالرسل، فلا يؤمنون بأن الله -تعالى- اصطفى أنبياءه ورسله، بل يقولون: إن الرسالة ليست هبة من الله، وليست محنة، بل هي صنعة من الصناعات، وكسب يكسبه الإنسان، وسياسة من السياسات، ولها ثلاث خصائص، ثلاث خصائص من توافرت فيه، فهو نبي، فالنبي رجل عبقري متميز عن غيره بهذه الخصائص.

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٦٨٠

الخصيصة الأولى قوة الإدراك وسرعته؛ لينال من العلم أعظم مما يناله غيره، رجل ليس عاديا، بل هو رجل عبقري ذكي، عنده سرعة الإدراك والحفظ؛ لينال من العلم أكثر مما يناله غيره.

الثاني... الخصيصة الثانية: قوة النفس أو قوة التأثير؛ ليؤثر بها في سيول العلم بقلب صورته إلى صورة، يعني يكون عنده قوة تأثير، يشبه الساحر بحيث يقلب ما ارتسم في ذهنك من صورة إلى صورة، وأنت لا تشعر من قوة تأثيره، من قوة نفسه، فإذا ارتسم في ذهنك صورة كذا وكذا، نوعها كذا وكذا، استطاع أن يقلبها من صورة إلى صورة بقوة تأثيره وقوة نفسه.

الصفة الثالثة: قوة التخيل، وقوة **التخييل** قوة التخيل حتى يتخيل الملائكة الذين هم العقول، يتخيلهم في صورة شيء محسوس أمامه، كأن أمامه رجل يخاطبه، فيتخيل أن الملائكة أشخاص، وقد يقوى الوهم فيسمع أصواتا تخاطبه، وليس لذلك حقيقة، وقوة **التخييل**، يعني يستطيع أن يخيلها للآخرين، حتى يرونها ويسمعون خطابها، فإذا وجدت هذه الخصائص، فهو نبي، وقالوا: إن النبوة لا كل أحد يستطيع أن يدركها بالمراس والكسب والخبرة، وقالوا: إن النبوة ليست بالدرجة العالية، بل هناك ما هو أعلى منها؛ لأن النبوة سياسة العامة، ولكن الفلسفة أعلى منها لأنها سياسة الخاصة، ولهذا فإن بعض الفلاسفة لا يرضون بها بالنبوة، ويقولون هي مرتبة ليست عالية، وإنما أعلى منها الفلسفة، ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب ابن هود وابن سبعين وغيرهما، هذا إيمانهم بالرسل، فالرسول أو النبي رجل عبقري، توفرت فيه هذه الخصائص، أما وهذه الخصائص أي تحصل بالاكتساب، ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء كابن سبعين وابن هود وأضرابهما، قالوا والنبوة صنعة من الصنائع، بل من أشرف الصنائع كالسياسة، بل هي سياسة العامة عندهم، وكثير منهم لا يرضى بها، ويقول الفلسفة نبوة الخاصة، والنبوة فلسفة العامة.

وأما الإيمان باليوم الآخر، فهم من أشد الناس تكذيبا وإنكارا له في الأعيان وفي الخارج، فعندهم أن هذا العالم لا يخرج، ولا تنشق السماوات، ولا تنفطر، ولا تنكدر النجوم، ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم، ويبعثون إلى جنة ونار، وكل هذا عندهم لا حقيقة له، بل هي أمثال مضروبة لتفهيم العوام، لا حقيقة لها في الخارج كما يفهم منها أتباع الرسل، يقول هذه من **تخييلات** هذا العبقري من سياسته، فيسوس الناس ويخبر أن هناك بعث وجزاء وجنة ونار حتى يتعايش الناس بسلام، وحتى لا يعتدي أحد على أحد، هذا من سياسته، وهو يكذب، لكن يكذب لهم ولا يكذب عليهم، قالوا: لا بأس هو يكذب لهم، ولا يكذب عليهم.." (١)

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٢١١

نعم. لا نصدق الساحر ولا الكاهن ولا العراف، ولا من يخالف إجماع الأمة من عقيدة المؤمن: أنه لا يصدق السحرة ولا الكهنة ولا العرافين.

من هو الكاهن والعراف والمنجم؟ الكاهن هو الذي يدعي علم المغيبات في المستقبل، يقال له: كاهن يدعي علم الغيب في المستقبل، أو يخبر عما في الضمير، ويكون له رائي من الجن يأتيه ويخبره، يقال له: كاهن، يدعي الغيب عن طريق هذا الرائي الذي يخبره، والعراف هو الذي يدعي معرفة ما في الضمير، أو الذي يدعي معرفة المسروق، ومكان الضالة يدعي علم الغيب، يدعي أنه يعرف المسروق ومكان الضالة، ويدعي الغيب، ويدعي معرفة ... إما يدعي أنه قيل: هو من يدعي معرفة ما في ضميره، ولا نعرف ما في ضميره، هذا دعوته أو يعرف مكان المسروق أو مكان الضالة بغير يعني: سبب معروف، كالقائف الذي يعرف القيافة، أوهو الذي يعرف الأثر هذا لا يدخل في هذا، لكن هذا بالغيب يدعي علم الغيب عن طريق معرفة مكان المسروق، ومكان الضالة والمنجم يدعي علم الغيب عن طريق معرفة النجوم، ويستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

والساحر هو الذي يعقد عقدا، وينفخ فيها مستعينا على ما يريد بالشياطين، وكل من الكاهن والعراف والمنجم والساحر كلهم كفرة إذا كانوا يدعون الغيب، لكن طرقهم متعددة، يجمعهم شيء واحد، وهو أنهم يدعون الغيب أو يتكلمون فيها، ولو **بالتخييل** أو بالتخمين.

فالذي يدعي معرفة ما في المستقبل، والذي يضرب بالرمل، والذي يخط في الرمل، والذي يضرب بالحصى، والذي يكتب: أبجد هوز، والذي يدعي معرفة النجوم، والذي يستخدم الجن، والذي يفتح الكتاب، ويحضر الجن، فكل هؤلاء إذا كانوا يدعون الغيب، فهم كفرة كل من عنده وسائل بها يدعي معرفة المغيبات كليا أو جزئيا، فهو كاهن وعراف وساحر.

السحر في اللغة عبارة عما دق وخفي ولطف سببه، الشيء الخفي، ومنه سمي السحر سحرا؛ لأنه يقع خفيا آخر الليل، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (إن من البيان لسحرا) يسمى الكلام الفصيح سحرا، ومن ذلك النمام الذي يظهر النصح، ويبطن الشر والفساد، ويوقع بين الناس العداوة، يسمى سمي في الحديث من السحر نوع من السحر: ألا أنبئكم العضه هي النميمية القالة بين الناس.

وأما السحر شرعا واصطلاحا، فهو عزائم ورقى وعقد، تؤثر في القلوب والأبدان، فتمرض وتقتل وتفرق بين

المرء وزوجه، فإذا الساحر هو الذي يعقد عقدا أو ينفخ فيها مستعينا على الوصول إلى ما يريد بالشياطين.
حكم السحر الاستقسام بالأزلام والضرب بالحصى، والخط بالرمل حكم السحر بالإقدام عليه تعلما وتعليما وفعلا محرم بالاتفاق، ثم اختلف في التحريم، هل يصل إلى درجة الكفر؟ .

ومحل الخلاف ما إذا لم يتضمن سحره كفرا، فإن تضمن سحره كفرا كنداء الجن أو غيره، فهو كفر بالاتفاق، فالجمهور كمالك وأبي حنيفة وأحمد يقولون: الساحر كافر مطلقا، يقولون: الساحر كافر، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿إنما ك`twعز وجل فتنة فلا تكفر﴾ قال أصحاب أحمد: إلا أن يكون سحره في ... وفي أشياء تضر فإنه لا يكفر.

أما الشافعي -رحمه الله- فإنه يفصل يقول: إن تضمن سحره كفرا فهو كافر، وإن لم يتضمن سحره كفرا، فإن استباحه كفر، وإن لم يستبح يكون مرتكبا لكبيرة كيف يتضمن سحره كفرا؟ يتقرب إلى الشياطين، ينادي الشياطين يخاطبهم، يتقرب إليهم، يذبح لهم يتقرب إليهم بما يريدون من البخور وغيره، أما إذا لم يفعل شيئا من ذلك، يقول: إن هذا إن استحله كفر وإن لم يستحله، فإنه يرتكب محرما كبيرا.

واتفق العلماء على أنه إذا تضمن السحر كفرا، فهذا يكفر بالاتفاق، فالسحر محرم بالكتاب والسنة والإجماع، ثم قيل: إنه كفر فيقتل بكفره، وقيل: إن السحر ليس بكفر، بل هو كبيرة، فيقتل حدا منعا لشره، لا لكفره كما قال الإمام الشافعي، والضرب بالحصى والخط بالرمل إذا ادعى صاحبه علم المغيبات، أو معرفة النجوم، فحكمه حكم السحر والاستقسام بالأزلام حكمه محرم وكبيرة؛ لأنه ميسر، لأنه من الميسر والقمار.

أنواع النجوم التي من السحر نوعان: أحدها علمي، وهو الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث من جنس الاستقسام بالأزلام، وهذا محرم وكبيرة.

والثاني عملي هذا محرم وكبيرة، والثاني عملي، وهو الذي يقولون: إنه القوة السماوية للقوة المنفعلة الأرضية كطلاسم ونحوها، وهذا من أرفع أنواع السحر.

حكم الساحر وحده: جمهور العلماء وأكثرهم يوجبون قتل الساحر، وأنه كافر، جمهور العلماء يوجبون قتل الساحر لكفره، فيقولون: حده القتل، وحكمه الكفر، حكمه الكفر، وحده القتل. وقال آخرون: إنما يقتل حدا لدفع شره وفساده، لا لكفره.." (١)

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/913

"دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد (٤) ﴾ ومنه **التخييل**، فالسحر قسم منه خيال، وقسم منه له حقيقة، دليل قوله تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد (٤) ﴾ ولولا أن للسحر حقيقة لما أمر الله بالاستعاذة منه، ودليل الخيال قوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦) ﴾ وقوله: ﴿سحروا أعين الناس﴾

وذهب بعض العلماء إلى أن السحر مجرد **تخييل**، وأنه لا تأثير له ولا حقيقة، وهذا مذهب الإمام أبي حنيفة، وإليه ذهب الجصاص في كتاب الإحكام في كتاب الأحكام، وهو مذهب المعتزلة والرافضة.

دليلهم: قول الله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦) ﴾ وقوله: ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (١١٦) ﴾

والصواب القول الأول بأن هذه الآيات تدل على أن منه خيال، ومنه ما هو له تأثير.

والصحيح أن السحر له تأثير في عين الرائي والمسحور، وهو خيال بحيث إنه لم يغير الحقائق، ففيه تأثير من جانب **وتخييل** من جانب، فله تأثير في المسحور بمرضه أو موته، وله خيال في عين الرأي والمسحور.

فإذا الصواب أن السحر له حقيقة، وله خيال. أما القول بأنه خيال فقط، فهذا ليس بصحيح.

والنشرة: هي حل السحر عن المسحور، وحكمها: تنقسم إلى قسمين: قسم حرام، وقسم مباح، فالنشرة حل السحر، وهي نوعان.

أولا: حل السحر بسحر مثله، فهذا لا يجوز، وهو من عمل الشيطان؛ لقوله صلى الله عليه وسلم (ولا يحل السحر إلا ساحر) وقوله: (النشرة من عمل الشيطان)

ثانيا: حل السحر بأدوية ودعوات مباحة، فهذا جائز.

أنواع المشعوذين الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أهل تلبيس وكذب وخداع، ذلك وهم يعلمون ذلك، الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له، أو يدعي الحال بأهل المحال من المشائخ النصابين الخداعين والفقراء الكاذبين والطرقية المكارية، هؤلاء يدعون السحر، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ما وجد مهنة فتح محل، وقال: إنه يعالج الناس، وكل من أتاه يأتي له بأنواع من ... هذا تدهن به، وهذا تشربه، وهذا استنشقه، وهذا كذا. ويأكل أموال الناس بالباطل.

حكمهم والحد الواجب عليهم: هؤلاء دجاجلة وملبسون وخداعون يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات، أو يطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك.

النوع الثاني: من يتكلم في هذه الأمور ويعمل الشعوذة من تحضير الجن وغيرها على سبيل الجد والحقيقة، ويعتقدون لها التأثير، حكمهم والحد الواجب عليهم- هؤلاء سحرة، وسبق بيان حكم الساحر، وأن حده القتل، وأن جمهور العلماء يوجبون قتل الساحر على خلاف بينهم، وهل القتل كفرا أو حدا؟ .

والصواب الذي عليه المحققون أنه كفر، وهو الراجح، وبعض العلماء يرى أنه يعاقب أقل من القتل، إلا إن قتل بسحره، أو تضمن سحره كفرا قولا أو فعلا، عوقب بالقتل.

النوع الثالث: من يتكلم بالأحوال الشيطانية، ويدعي الخشوع ومخاطبة رجال الغيب، يدعي مخاطبة القطب المتولي للكون، وأن له الخوارق تقتضي أنهم أولياء الله، ومن هؤلاء من يساعد المشركين، ويعين المشركين على المسلمين في أيام حرب التتار، ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين؛ لكون المسلمين قد عصوا.

حكم هؤلاء: هؤلاء في الحقيقة من إخوان الشياطين، والواجب أن يعاقبوا بالعقوبة البليغة التي تردعهم عن فعلهم، وقد يجب قتلهم إذا ثبت أنهم يخاطبون الجن ويستخدمونهم ويعظمونهم بالشركيات، وحينئذ فهم كفار، يقتلون كفرا، موقف المسلم من أصحاب الأحوال، وهل تسلم لهم أحوالهم؟ .

يقول بعض الناس: إن الصوفية تسلم لهم أحوالهم، يعني: أحوالهم النفسية بأن يظن أنه على الدين والاستقامة، وإن كان بخلافه يقول: اتركه على حاله، هذا كلام باطل، بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قبل، وما خالفها رد، وأدب صاحبه.

الدليل: ما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي رواية لمسلم: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)

فلا طريق إلا طريقة الرسول، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه جنته وكرامته إلا بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا، بعض الصوفية يعتقدون في البله أنهم من أولياء الله. حكم من اعتقد في البله أنهم من الأولياء.." (١)

"طريقة فرق الضلال في الوحي، هذا المبحث آخر مبحث وهو مهم وهي طريقة فرق الضلال في الوحي فرق الضلال المنحرفين لهم طريقة في الوحي، ما هو الوحي؟ ما أنزله الله على رسوله من القرآن والسنة ما هي طريقتهم في الوحي، طريقة الضلال في الوحي لهم طريقتان، انتبهوا وكل طريقة تتفرع، الطريقة الأولى طريقة فرق الضلال في الوحي وهو الكتاب والسنة ما أنزله الله على رسوله من الوحي من القرآن ومن

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٣٩٤

السنة، السنة وحي ثان، أهل الضلال لهم طريقتان في هذا الوحي وهو الكتاب العزيز والسنة المطهرة، طريقتان:

الطريقة الأولى: طريقة التبديل.

والطريقة الثانية: طريقة التجهيل طريقة التبديل، والثانية طريقة التجهيل.

أهل التبديل نوعان أهل التبديل نوعان:

النوع الأول ل أهل الوهم والتخييل.

والنوع الثاني أهل التحريف والتأويل، هذا تقسيم الطريقة الأولى. والطريقة الثانية يأتي تقسيمها.

أهل الوهم والتخييل هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه مذهبهم في الله واليوم الآخر يقولون: إن ما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، إنما هو تخيل للحقائق لينتفع الجمهور به لا أنه بين به الحق ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحق هذا خيال، هذا خيال الذي ذكره الرسول من الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والبعث والنشور والجنة والنار فهذا خيال قاله للناس يخيل للناس حتى ينتفعوا وحتى يتعايش الناس ولا يعتدي بعضهم على بعض دون لا حقيقة له، فالجنة والنار والبعث والجزاء هذا كله خيال يقولون: إنما تخيل للحقائق لينتفع الجمهور به لا أنه بين به الحق ولا هدى به الخلق ولا أوضح به الحقائق.

وهم طائفتان أهل التخييل: الأولى يقولون: إن الرسول، أو الرسل لم يعلموا الحقائق على ما هي عليه، ما يعلمون الحقائق التي جاءت في الكتاب والسنة قالوا: إن الرسل، أو الرسول لم يعلموا الحقائق على ما هي عليه واعتقدوا خلاف الحقائق ويقولون: إن من المتفلسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين. وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية باطنية الشيعة وباطنية الصوفية الثانية يقولون: إن الرسول علم الحقائق لكن لم يبينها وإنما تكلم بما يناقضها قالوا الرسول يعرف الحقائق لكن تكلم بضدها وإنما تكلم بما يناقضها وأراد من الخلق فهم ما يناقضها لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق فهم يقولون: إن الرسل بينوا للناس النصوص من العبادات واليوم الآخر والجنة والنار ليعملوا بها ولا واقع لها، ولكنهم قصدوا إيهام الجمهور والتخييل عليهم بأن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيما محسوسا وعقابا محسوسا ليحملوهم على ما يصلح حالهم، وإن كان كذبا فهو كذب لمصلحة الجمهور.

يقولون: الأنبياء كذبوا للناس، كذبوا للناس ما كذبوا عليهم، كذبوا لهم ولا يكذبوا عليهم لمصلحتهم، وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل كالقانون الذي ذكره في رسالته الأضحوية خلاصة مذهبهم يقولون: إن الرسل يعرفون الحقائق لكنهم موهوا على الناس لمصلحتهم أما الأعمال فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها هذا المجرى، ويقولون: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض ويؤمر بها العامة دون الخاصة فهذه طريقة الباطنية الملاحدة الإسماعلية، ونحوهم.

النوع الثاني من أهل التبديل: أهل التحريف والتأويل، النوع الثاني من أهل التبديل يسمون أهل التحريف والتأويل مذهبهم يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بنصوص المعاد واليوم الآخر، والصفات ما هو في نفس الأمر حق، وأن الحق هو ما علموه، قالوا: إن الأنبياء لم يقصدوا بنصوص المعاد واليوم الآخر وبنصوص الصفات ما هو في نفس الأمر حق، وأن الحق هو ما علموه بعقولهم، ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات، ولهذا أكثرهم لا يجزمون بالتأويل بل يقولون: يجوز أن يراد كذا، وغاية ما معهم إنكار احتمال اللفظ.

خلاصة مذهبهم يقولون: إن الأنبياء أتوا بنصوص ظاهرها باطل غير مراد والمقصود المعاني المجازية، وهي المعاني الباطلة ولم يبينوها للناس الأنبياء ما بينوها للناس بل تركوها إلي العقول فالرسول لم يقصد بها أن يعتقد الناس الباطل ولكن قصد بها معاني لم يبينها لهم ولا دلهم عليها لامتحانهم ليجتهدوا بعقولهم في صرفها عن مدلولها، وهذا القول قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة والكلابية والسالمية والكرامية والشيعة بنصوص الصفات.." (١)

"الطريقة الثانية طريقة التجهيل والتضليل، انتهينا من التقسيم الأول طريقة التبديل بأنواعه، الطريقة الثانية طريقة التجهيل والتضليل أهل التجهيل والتضليل سموا بذلك؛ لأنهم يجهلون الرسل بالمعاني التي جاءوا بها من عند الله يقولون الرسل جاهلون بالمعاني التي جاءوا بها من عند الله، حقيقة مذهبهم أن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء، ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله لا يعلمه جبريل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء فضلا عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ويقولون: إن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ﴿الرحمن على العرش استوى (٥) ﴾ ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ وهو لا يعرف معاني هذه الآيات

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٤١٣

بل معناها الذي دلت عليه لا يعرفه إلا الله، ويظنون أن هذه طريقة السلف. وهذا مذهب الفلاسفة والباطنية وهم أخبث ممن مضى وهم يساوون الطائفتان.

الطائفة الثانية من أهل **التخييل** القائلة الأنبياء اعتقدوا خلاف الحقائق ويقولون إن قوله –عليه الصلاة والسلام– (لأنا أغير من سعد والله أغير مني) أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعرف معنى كلمة "أغير" وهم طائفتان: الطائفة الأولى، وهم طائفتان الطائفة الأولى يقولون: إن المراد بهذا خلاف مدلولها الظاهر المفهوم، ويقولون: نقطع بأن المعنى الحقيقي غير مراد، بل المراد خلاف مدلولها المراد، إن المراد بهذا خلاف مدلولها الظاهر المفهوم، ولا يعرفه أحد كما لا يعلم وقت الساعة.

وهؤلاء هم المفوضة الذين يفوضون معاني نصوص الصفات إلى الله. الثانية يقولون بل تجرى النصوص على ظاهرها وتحمل على ظاهرها، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلا يخالف ظاهرها، وقالوا مع هذا: إنها تحمل على ظاهرها.

ما تشترك فيه الطائفتان أهل التضليل، وأهل التجهيل يشتركون في القول بأن الرسول، انتبه، الطائفتان أهل التضليل وأهل التجهيل يشتركون في القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة، أو متشابهة، ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلا، فهم مشتركون في أن الرسول –عليه الصلاة والسلام– لم يأت بها على ما يوافق معقولنا وأن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون العقليات ولا يفهمون السمعيات.

السمعيات الأدلة من النصوص فهم مشتركون في أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلم معناها بل جهل معناها، أو جهلها الأمة من غير أن يقصدوا، يعني يعتقدوا جهل المركب.

وأما أولئك الطائفتين من أهل التجهيل والمجهلة فيقولون بل قصد الرسول من الناس أن يعلم الجهل المركب والاعتقادات الفاسدة وهؤلاء مشهورون عند الأمة بالإلحاد والزندقة، ثم انقسموا إلى فرقتين بعد اشتراكهما في المقالة السابقة من هاتين الطائفتين أهل التضليل وأهل التجهيل من يقول: لم يعلم الرسول معانيها، ومنهم من يقول: علمها ولم يبينها بل أحال في بيانها على الأدلة العقلية، وعلى من يجتهد في العلم بتأويل تلك النصوص.

وكل ذلك ضلال وتضليل عن سواء السبيل، نسأل الله السلامة والعافية من هذه الأقوال الواهية المفضية بقائلها إلى الهاوية، ونسأله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على صراطه المستقيم حتى نلقاه وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

عندي أيضا بعض الفرق كان بودي أن نتكلم عنها من الفرق المعاصرة: عن القاديانية، وعن البهائية والبابية وعن اليزيدية لكن لعل الله أن ييسر في وقت آخر.

من الفرق المعاصرة القاديانية والبابية والبهائية واليزيدية، الحركة القاديانية أسسها تنسب الطائفة القاديانية إلى مدينة قديان بالهند وأحيانا يطلق عليهم اسم الأحمدية لانتسابهم في مذهبهم لانتسابهم في مذهبهم إلى رجل اسمه غلام أحمد عبد النبي، ولد غلام أحمد سنة ألف ومائتين واثنين وخمسين هجرية في مدينة قديان، وانكب منذ الصغر على دراسة القرآن والحديث والتعبد والتفكير في أمور الدين.

ثم بعد ذلك ادعى غلام أحمد أنه المسيح الموعود والمهدي الموعود في وقت واحد ويستند أتباعه في الإيمان به إلى ما روي في صحيح البخاري: أن المهدي يظهر في شرقي منارة دمشق، وأن المسيح يصلي خلفه مع قول النبي صلى الله عليه وسلم (كيف بكم وبابن مريم فيكم) ويقول إن غلام أحمد وإن كان هنديا إلا أنه إيراني الأصل هاجر أباه إلى الهند منذ مئات السنين.." (١)

"ولا شك أن هذا تعظيم لشأن القرآن، وتمثيل لعلو قدره وشدة تأثيره في النفوس، لما فيه من بالغ المواعظ والزواجر، ولما اشتمل عليه من الوعد الحق والوعيد الأكيد، فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن ـ كما فهمتموه ـ لخشع وتصدع من خوف الله تعالى، فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره، وتدبرتم كتابه (١)، والمقصود من إيراد الآية: إبراز عظمة القرآن الكريم، والحث على تأمل مواعظة الجليلة، إذ لا عذر لأحد في ذلك، وأداء حق الله تعالى في تعظيم كتابه، وتوبيخ من لا يحترم هذا القرآن العظيم، وفيه كذلك تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ (٢)

٧ ـ انقياد الجمادات لعظمة القرآن:

قال تعالى:" ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى" (الرعد، آية: ٣١).

فهذا شرط جوابه محذوف، والمراد منه: تعظيم شأن القرآن العظيم.

والمعنى: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها أو قطعت به الأرض حتى تتصدع وتتزايل قطعا، أو كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في التخويف (٣).

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٤١٤

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٣ . ٣٤٤).
(٢) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٣٣) زاد المسير (٨/ ٢٢٤).
(٣) الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٩٨)، عظمة القرآن صـ ٧٢.." [1]

"منهج أهل السنة والجماعة في نصوص الأسماء والصفات

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا زلنا في صفة الكلام للرب سبحانه وتعالى، ولعلنا نتكلم عن دليل من أدلة الأشاعرة، ودليل من أدلة المعتزلة مع الرد عليها، ولعلنا نتكلم عن رؤية الرب سبحانه وتعالى في الآخرة: يقول المؤلف رحمه الله:

وجميع آيات الصفات أمرها حقا كما نقل الطراز الأول

بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى منهجه في آيات الصفات، ويقصد بالآيات هنا ما ورد في الكتاب والسنة، أي: أنه يمر النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويجريها على ظاهرها.

والإمرار: قال في القاموس: مر مرورا، بمعنى: جاز وذهب، أي: أنه يجيز آيات الصفات كلها، لا يجد في قلبه أدنى حرج من إثبات ما دلت عليه هذه الآيات، ويكون المقصود أنه لا يقف معها باحثا في كيفياتها، ولا منقبا فيها، ولا معترضا عليها، وإنما قابلا لكل ما دلت عليه هذه النصوص.

قوله: (حقا) أي: أنه سيأخذ بظاهرها وما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله تعالى.

قوله: (كما نقل) أي: روي، سواء كان ذلك النقل في كتاب، أو دلت عليه نصوص السنة، أو فهمها الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم.

قوله (الطراز) يقال: هو البز والهيئة، وقالوا: الطراز هو الجيد من كل شيء.

وذكر بعض أهل اللغة أن هذه الكلمة معربة، وعلى كل حال فإن المقصود بها: الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ك سفيان الثوري وسفيان بن عيينة وابن المبارك وغيرهم، وقالوا: إن حسانا رضي الله عنه مدح قوما وقال فيهم:

بيض الوجوه كريمة أنسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

أي: يثني عليهم بما يتميزون به من الصفات.

هذا البيت يبين لنا منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في جميع النصوص الدالة على الأسماء والصفات، وأنه

---

(١) الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية علي محمد الصلابي ص/١٢

يمرها على ظاهرها ولا يتعرض لها بشيء، ويبين ما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى.

ثم انتقل شيخ الإسلام بعد ذلك مبينا أنه يرد عهدتها إلى نقالها فقال:

وأرد عهدتها إلى نقالها وأصونها من كل ما يتخيل

قوله: (وأرد عهدتها) الضمير عائد على آيات الصفات وأحاديثها، وأنه يرد آيات الصفات الواردة في نصوص الكتاب والسنة إلى نقالها، (والعهدة) أي: الخروج من تبعتها، أي: أنني لست أنا الذي جئت بها، وإنما أعيد ما دلت عليه إلى من نقلوها، ومفهومه أني أصون اعتقادي عن الخوض فيها بعزوها إلى نقالها، ولذلك دائما يقال: (والعهدة على الناقل) أنا أروي لكم والعهدة على الناقل، أي: لست أنا الذي جئت بها، وكأن شيخ الإسلام ابن تيمية يبين أن عقيدته ليس هو الذي جاء بها، وإنما أخذها من نقالها، وأيضا لم يأت بعقيدة جديدة من عند نفسه رحمه الله تعالى، وإنما جاء بها نقلا عن السلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

ويقال: عهدة الخبر يقصد به: صدقه أو كذبه، وكأن الآن عهدة الخبر في الصدق والكذب ليست لي، وإنما لرواتها وما نقل عنهم من أئمة السلف، ولذلك ردها إلى نقلتها وهم الأئمة الأثبات رحمهم الله تعالى، والذين أخرجوها من مهرة أئمة الحديث وغيرهم.

يفهم من (العهدة) أنها بمعنى الاستئمان، فإذا قلت: عهدت إليك هذه العهدة، أي: استأمنتك، ونحن نستأمن سلفنا فيما ينقلونه لنا، فالصحابة مستأمنون على الوحي، والرسول صلى الله عليه وسلم مستأمن على الوحي، ولهذا يقول كل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾ [الأعراف:٦٨] أي: وما أنقله أنا أمين عليه، فهكذا الرواة الذين نقلوا لنا الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، ونقل لنا كذلك الصحابة العقيدة مما أخذوه عن النبي صلى الله عليه وسلم فهم مستأمنون عليه، ونقلوه لنا كما جاءهم عن الله أو جاءهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: (وأصونها) الصون في اللسان: أن تقي شيئا، أي أحميها، فالصيانة معناها: الحماية، ولهذا قال: (وأصونها) أي: أصون آيات الصفات وأحاديثها عن الخوض في معناها، ثم ذكر الصيانة لها مبينا أن الصيانة عن كل ما تخيل، فإن المبتدعة من المعطلة والمشبهة لم يصونوا نصوص الصفات عن التخيل، ولهذا قالوا قاعدة: (كل مشبه معطل، وكل معطل مشبه) فإذا: كل من المشبهة والمعطلة جاءوا بقضية **التخييل**، فلم يسيروا على ما سار عليه سلف الأمة، ولهذا قال:

وأصونها عن كل ما يتخيل

فأجعل لها حماية، لا أتخيل بعقلي أي صفة وردت لله تعالى، فإن المعطل شبه الله أولا ثم عطل، فالمعطل الذي نفى الصفات قال: لا أفهم من مدلول الصفات إلا أنها تشبه صفات المخلوقين والله ليس كالمخلوقين، إذا أنا أنفيها، والمشبه كذلك معطل، ووجه التعطيل عنده أنه قال: الله له يد مثل يدي، ولو سألناه: هل النص الذي ورد يراد منه أن يثبت لله مثل يد المخلوق؟ الجواب: لا، فمن قال: يد الله مثل يد المخلوق فقد عطل النص عما دل عليه من إثبات الصفة اللائقة بالله تعالى، ولهذا كل من المشبه والمعطل كان عنده شيء من التخييل ومن التشبيه.

ونصل إلى نتيجة أن كل ما خطر في بال الإنسان من شيء حول الصفات فالله على خلافه، ولا يمكن أبدا أن يكون كما يتصوره الإنسان، فإن العقل قد يتخيل أشياء والله سبحانه وتعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى:١١] ولهذا يقول صاحب القاموس: وتخيل الشيء له، أي: تشبه، كأنه أصبح له شبيه.

قال شيخ الإسلام:

قبحا لمن نبذ القران وراءه

وردت (قبح) ووردت (قبحا) :

قبحا لمن نبذ القران وراءه وإذا استدل يقول قال الأخطل

(قبحا لمن نبذ القرآن وراءه) هذه القاعدة تنطبق على الأشاعرة والمعتزلة والجهمية والفلاسفة، لأن كل هؤلاء لم يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة، وعدم أخذهم لما دل عليه الكتاب والسنة قد يكون شيئا ظاهرا، يقول: أنا لا أريد الكتاب والسنة، ولا أحتج بهم، كما نقل عن بشر ونقل عن غيره أنهم عندما يناقشون يقولون: دعونا من نصوص الكتاب والسنة وناقشونا بالعقل، وهذا أشد قبحا، ويصل إليه هذا الدعاء: (قبحا لمن نبذ القران وراءه) هذا نبذ كامل.

وقد يكون النبذ غير مباشر كأن يتأول ما دل عليه الكتاب والسنة، وقد ذكرنا سابقا قاعدة: (أن الأصل إجراء الألفاظ على ظاهرها) ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة:٦٤] نثبت اليدين.

يضحك الله فنعرف مدلول الضحك ونثبته لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، ومن لا يثبته فإن هذا يعتبر قد نبذ القرآن وراءه ولم يحتج به أصلا، وينطبق انطباقا كاملا على المعتزلة الذين عندهم قاعدة يقولون: (إن العقل هو الحاكم على الكتاب والسنة) ولقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى برد

عظيم في كتابه: درء تعارض العقل والنقل، بين تأصيلهم وبين بطلان ما ذهبوا إليه ولم يعملوا به، ولهذا قالوا: أي نص في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يقبله العقل فإنه يطرح! وهذا هو النبذ الحقيقي لما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

القبح في اللغة: ضد الحسن، ويكون في الصورة والفعل، أي: قد يكون الإنسان صورته قبيحة، وقد تكون أفعاله قبيحة، وبعضهم يقول: إنه عام في كل شيء، قد يكون القبح في الاعتقاد، وقد يكون في القول، وقد يكون في العمل، وقد يكون في الصورة، وكل هذه يدخل فيها القبح، يقول الأزهري: القبح هو نقيض الحسن، وهو عام في كل شيء.

قوله: (لمن نبذ) قال في اللسان: النبذ طرحك الشيء من يدك، أي: طرحك للشيء من يدك سواء كان طرحك له أمامك أو كان في خلفك، فهذا نبذ، ولهذا قالوا: نبذ النوى: طرحه وإلقاؤه، ونبذت الشيء إذا رميته وأبعدته عنك، ويقال: كل طرح يسمى نبذا، ونبذ الكتاب وراءه أي: ألقاه، ولهذا قال: نبذوا القرآن. كأنهم غير مبالين بكتاب الله وسنة رسوله، واستحقوا بذلك أن يكونوا مقبوحين، فإن من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يستحق أن يقبح ولا يلتفت إليه.

ذكر: (وراءه) نقول هنا: قد يكون النبذ حسيا وقد يكون النبذ معنويا.

والنبذ الحسي هو رمي القرآن فلا يقبله أصلا، ويقول: هذا القرآن لا يحتج به، وقد يكون النبذ معنويا بأن لا يعمل به، وإن كان يعظم القرآن، أي: القرآن على العين والرأس، لكن لا نفهم مدلوله ولا نقبله حجة بينا وبينكم، وكل هذه تنطبق على طوائف المبتدعة الذين ينبذون ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.." (١)

"يشتمل القرآن الكريم على عدد كبير من نصوص الوعد والوعيد، فالوعد بالجنة والمغفرة والثواب، والوعيد بالنار والغضب والعقاب. ومن معتقد أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل لا يخلف وعده تكرما منه عز وجل وتفضلا، فأهل التوحيد مآلهم إلى الجنة قطعا. قال تعالى: ﴿لا يخلف الله وعده﴾ . أما الوعيد ففيه تفصيل، فالمشرك الذي يختم له بالشرك في النار، لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ ، وأما المؤمن العاصي ففي مشيئة الله، فقد يقع الوعيد في حقه وقد يتخلف. (١)

وقد مضى سلف الأمة وعلماؤها وصالحوها على الإيمان بنصوص الوعد والوعيد وأنها حق، بما في ذلك الإيمان بالجنة والنار، إلى أن ظهر الفلاسفة فزعموا بأن الوعد والوعيد **تخييل** للحقائق موجه إلى عوام

---

(١) شرح لامية ابن تيمية عمر العيد ٢/١٢

الناس، وظهر غلاة الصوفية فزعموا أن الجنة عبارة عن تنعم الأرواح، والنار عبارة عن تألمها. ووجد في هذا العصر من ينكر الوعد والوعيد مطلقا، أو يسخر بذلك ويظهر الاستهزاء به، أو من يسلك مسلك الباطنية في تأويل تلك النصوص وصرفها عن معانيها الظاهرة. وكل هذا كفر مناقض للإيمان بما جاء به الرسل، ونزلت به الكتب.

يقول القاضي عياض رحمه الله: " ... وكذلك من أنكر الجنة أو النار، أو البعث، أو الحساب، أو القيامة فهو كافر بإجماع للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا، وكذلك من اعترف بذلك، ولكنه قال: إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وإنها لذات روحانية، ومعان باطنة" (٢).

إنكار معلوم من الدين بالضرورة:

---

(١) في مسألة إخلاف الوعيد، انظر اضواء البيان: ٧/٤٢٥.

(٢) الشفا: ٢/٦١٥.." [١]

"وبهذا احتج الملاحدة، كابن سينا وغيره، على مثبتي المعاد، وقالوا: القول في نصوص المعاد كالقول في نصوص التشبيه والتجسيم، وزعموا أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يبين ما الأمر عليه في نفسه، لا في العلم بالله تعالى ولا باليوم الآخر، فكان الذي استطالوا به على هؤلاء هو موافقتهم لهم على نفي الصفات، وإلا فلو آمنوا بالكتاب كله حق الإيمان لبطلت معارضتهم ودحضت حجتهم.

ولهذا كان ابن النفيس المتطبب الفاضل يقول: ليس إلا مذهبان: مذهب أهل الحديث، أو مذهب الفلاسفة، فأما هؤلاء المتكلمون فقولهم ظاهر التناقض والاختلاف، يعني أن أهل الحديث أثبتوا كل ما جاء به الرسول، وأولئك جعلوا الجميع **تخييلا** وتوهيما. ومعلوم بالأدلة الكثيرة السمعية والعقلية فساد مذهب هؤلاء الملاحدة، فتعين أن يكون الحق مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة.

ثم إن ابن سينا وأمثاله من الباطنية المتفلسفة والقرامطة يقولون: إنه أراد من المخاطبين أن يفهموا الأمر على خلاف ما هو عليه، وأن يعتقدوا ما لا حقيقة له في الخارج، لما في هذا **التخييل** والاعتقاد الفاسد لهم من المصلحة.

والجهمية والمعتزلة وأمثالهم يقولون: إنه أراد أن يعتقدوا الحق على ما هو عليه، مع علمهم بأنه لم يبين ذلك

---

(١) شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/٢٠٥

في الكتاب والسنة، بل النصوص تدل على نقيض ذلك، فأولئك يقولون: أراد منهم اعتقاد الباطل وأمرهم به، وهؤلاء يقولون: أراد اعتقاد ما لم يدلهم إلا على نقيضه.

والمؤمن يعلم بالاضطرار أن كلا القولين باطل، للنفاة أهل التأويل من هذا أو هذا: وإذا كان كلاهما باطلا كان تأويل النفاة للنصوص باطلا: فيكون نقيضه حقا وهو إقرار الأدلة الشرعية على مدلولاتها ومن خرج عن ذلك لزمه من الفساد ما لا يقوله إلا أهل الإلحاد.." (١)

"الثانية: إساءة الظن به، وجعله منافيا للعقل، مناقضا له.

الثالثة: جنايتهم على العقل بردهم ما يوافق النصوص من المعقول؛ فإن موافقة العقل للنصوص التي زعموا أن العقل يردها أظهر للعقل من معارضته لها،

الرابعة: تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم لمن خالفهم في أصولهم، التي اخترعوها، وأقوالهم التي ابتدعوها، مع أنها مخالفة للعقل والنقل، فصوبوا رأي من تمسك بالقول المخالف للعقل والنقل، وخطئوا من تمسك بما يوافقهما، وراج ذلك على من لم يجعل الله له نورا، ولم يشرق على قلبه نور النبوة.

الوجه الستون: أن من عارض بين الوحي والعقل فقد قال بتكافؤ الأدلة، لأن العقل الصحيح لا يكذب، والوحي أصدق منه، وهما دليلان صادقان، فإذا تعارضا تكافئا، فإن لم يقدم أحدهما بقي في الحيرة والشك وإن قدم أحدهما على الآخر أبطل موجب الدليل الصحيح، وأخرجه عن كونه دليلا، فيبقى حائرا بين أمرين لابد له من أحدهما، إما أن يسيء الظن بالوحي، أو بالعقل، والعقل عنده أصل الوحي، فلا يمكنه أن يسيء الظن به، فيسطو على الوحي تارة بالتحريف، والتأويل، وتارة بالتخييل، وتارة بالدفع والتكذيب، إن أمكن، وذلك في نصوص السنة، وتارة يدعي ذلك في نصوص القرآن، كما يدعيه غلاة الرافضة وكثير من القرامطة وأشباههم، وهذا كله إنما نشأ من ظنونهم الفاسدة، أن العقل الصحيح يعارض الوحي الصريح، وأما أهل العلم والإيمان، أهل السمع والنقل، فعندهم أن فرض هذه المسألة محال، وأن فرضها كفرض مسألة إذا تعارض العقل وأدلة ثبوت النبوة والرسالة، وإذا تعارض العقل وأدلة ثبوت الخالق وتوحيده، ومعارضة هؤلاء ومن وافقهم على بعضها، تبين له أن القوم لا عقل ولا نقل.." (٢)

"مآل المتكلمين إلى تحكيم العقل في نفي وتأويل ما لا يراه موافقا له من النصوص

ثم هؤلاء الذين اعتمدوا على عقولهم انقسموا إلى فريقين، في طريقة إثبات ما يجب لله سبحانه وتعالى

---

(١) نقض أصول العقلانيين سليمان الخراشي ٣٥/٤

(٢) نقض أصول العقلانيين سليمان الخراشي ٤٨/٥

ويشير إليهما الشيخ في قوله: [ثم هم هاهنا فريقان: أكثرهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم فانفوه.
ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم -الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافا أكثر من أي اختلاف على وجه الأرض- فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا، فإنه الحق الذي تعبدتم به، وما كان مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت ما لم تدركه عقولكم -على طريقة أكثرهم- فاعلموا أني أمتحنكم -لا لتعلموا- بتنزيله، لا لتأخذوا الهدى منه: لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة، ووحشي الألفاظ وغرائب الكلام، أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله، مع نفي دلالته على شيء من الصفات، هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين] .
لخص الشيخ رحمه الله في هذا المقطع حقيقة أمرهم في النصوص وكأنه يقول: إن الله سبحانه وتعالى أمرهم في باب الأسماء والصفات أن يرجعوا إلى عقولهم، فينظروا إلى ما أثبتته العقول فيثبتوه، وما لم تثبته العقول فينفوه؛ هذا هو الطريق الأول؛ فما أثبتته العقول أثبتوه جميعا، وما لم تثبته العقول افترقوا فيه إلى فريقين: فريق نفاة وفريق توقفوا، وهذا مجمل طريقهم، وهو في الحقيقة طريق التعطيل والتفويض، وسيأتينا في كلام الشيخ أن الناس انقسموا في باب ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه من الأسماء والصفات إلى طرق، طريق التجهيل وطريق التأويل وطريق **التخييل**.
الطريق الأول طريق التأويل: وهو صرف الألفاظ عن ظاهرها لغير مقتضي، وهو طريق المتكلمين.
الطريق الثاني: طريق التجهيل: وهؤلاء هم المفوضة الذين قالوا: إن الله خاطب الناس بألفاظ لا حقيقة لها ولا معاني لها، أو أن معانيها غير معلومة.
الطريق الثالث: وهو طريق **التخييل**: وهم الفلاسفة الذين قالوا: إن الله أخبر بخيالات؛ ليجذب الناس ويحملهم على العبادة مع أنه لا حقيقة، حتى تعدى أمرهم إلى إنكار البعث وقالوا: إنه لا بعث وإنما أخبرت الرسل بذلك؛ حتى يحملوا الناس على فعل الخير وعلى ترك الشر.
وقد يشير الشيخ رحمه الله فيما يأتي إلى هذه الطرق.
والطريق الرابع: هو طريق السلف: وسيذكره الشيخ رحمه الله في الفصل القادم؛ وهو أن يقف المؤمن في هذا الباب على ما ذكره الله سبحانه وتعالى عن نفسه، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم عنه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف.." (١)

---

(١) شرح الفتوى الحموية خالد المصلح ٤/ ١٠

"شرح الفتوى الحموية [١٠]
اختلفت آراء المنحرفين عن الصراط المستقيم في التعامل مع نصوص الوحي وتشعبت طرقهم، فانقسموا إلى ثلاث فرق رئيسة: أهل التخييل وهم أضل الناس، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.
أما أهل التخييل فكفرهم أظهر وأشهر، وأما أهل التأويل فقد خالفوا الرسل، وعجزوا عن كسر الفلاسفة، وقد بين الشيخ في هذه المادة ضلال أهل التخييل ومشابهة أهل التأويل لهم في تحريف نصوص التنزيل.." (١)

"طوائف المنحرفين عن الصراط المستقيم
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.
أما بعد: فيقول المصنف رحمه الله تعالى: [والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم في هذا الباب على سبيل الاستقامة.
وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.." (٢)

"الكلام على القسم الأول من المنحرفين عن الصراط المستقيم وهم أهل التخييل
فأهل التخييل: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم، ومتصوف، ومتفقه، فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق؛ لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق ولا هدى به الخلق ولا أوضح به الحقائق.
ثم هم على قسمين: منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة وباطنية الصوفية.
ومنهم من يقول: بل الرسول علمها لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.
ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان

---

(١) شرح الفتوى الحموية خالد المصلح ١/١٠
(٢) شرح الفتوى الحموية خالد المصلح ٢/١٠

مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل.

قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد.

فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما الأعمال فمنهم من يقرها ومنهم من يجريها هذا المجرى ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، فهذه طريقة الباطنية الملاحدة الإسماعيلية ونحوهم] .

عاد الشيخ رحمه الله –بعد كلامه السابق– إلى تصنيف الطوائف المنحرفة في باب أسماء الله وصفاته أو في باب الإخبار عنه سبحانه وتعالى، وضم إليه الانحراف في باب ما أخبر به سبحانه وتعالى مما يقع في اليوم الآخر، فقال مبينا منهج السلف: (والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم في هذا الباب)

أي: في باب ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى على سبيل الاستقامة، من غير غلو ولا تفريط.

ثم قال: (وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف في الجملة: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل) ثم شرع رحمه الله في الكلام على كل طائفة على سبيل الإجمال؛ لأن هذه القسمة التي ذكرها الشيخ رحمه الله هي قسمة عامة تندرج فيها أكثر من فرقة، فمثلا أهل التأويل يدخل فيهم الأشاعرة، والكلابية، ويدخل فيهم المعتزلة، ويدخل فيهم الجهمية، ويدخل فيهم غلاة الجهمية أيضا.

وكذلك أهل التخييل وأهل التجهيل مراتب، فهو يتكلم عن أصول هذه البدع، ويذكر الجامع في كل بدعة.." (١)

"قول أهل التخييل فيما جاء به الرسل من الأخبار

فذكر أولا: أهل التخييل فقال: (فأهل التخييل: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه) .

المتفلسفة هم الذين اشتغلوا بالفلسفة وما جاء عن اليونان، وما ورثوه عن أرسطو وغيره من الضلال.

(ومن سلك سبيلهم من متكلم) يعني: ولو لم يكن مصنفا منهم إلا أنه سلك سبيلهم في بعض ما ذهبوا إليه (ومتصوف ومتفقه) .

ثم بين ما يقوله المتفلسفة فقال: (فإنهم يقولون: إن ما ذكر الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور) .

تخييل للحقائق، أي: تصوير وتكييف لأمر لا واقع له، فهم يخيلون حقائق لا واقع لها لينتفع بهذا التخييل

---

(١) شرح الفتوى الحموية خالد المصلح ٣/١٠

الجمهور، وهم عموم الناس، (لا أنه بين به الحق) يعني: لا أنه بين بما جاء به من الإخبار عن الله عز وجل أو الإخبار عن اليوم الآخر بالحق المبين، إنما جاء بأمور **تخييلية** لا واقع لها، لا أنه بين به الحق، (ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق) .." (١)

"أقسام أهل **التخييل** في موقفهم من علم الرسل بما أخبروا به

ثم هؤلاء الضلال المكذبون لله ورسوله على قسمين: (منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون: إن من المتفلسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله وباليوم الآخر من المرسلين) ، ومن الكفر المبين أن يجعل هؤلاء الضلال أعلم بالله من الرسل الصادقين المصدقين، (وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية) ، قال: (باطنية الشيعة وباطنية الصوفية) ؛ فالباطنية: منها ما يوجد عند الشيعة ومنها ما يوجد عند الصوفية ومنها ما يوجد عند غيرهم.

فمن باطنية الشيعة: الإسماعيلية الذين يقولون إن ما أخبر الله سبحانه وتعالى به إنما هو **تخييل** لا حقيقة له، فلا بعث ولا نشور ولا صحة لما ذكر الرسل عن الله عز وجل من الأسماء والصفات وغير ذلك من الأقوال الباطلة.

وباطنية الصوفية: كـ ابن عربي والحلاج وغيرهم من الذين ضلوا واعتقدوا الكذب من الرسل فيما أخبروا، وأنهم يتلقون عن الله عز وجل، وأن ما تخبر به الرسل ليس على الحقيقة إنما هو لأجل نفع الناس.

قال: (ومنهم من يقول) وهذا القسم الثاني: (بل الرسول علمها) يعني: علم حقائق ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه أو أخبر به سبحانه وتعالى عما يكون في اليوم الآخر، (لكن لم يبينها وإنما تكلم بما يناقضها) وهذا من أعظم الافتراء والكذب على الرسل، وهذه بدعة مغلظة، وهي أشد من الأولى؛ لأن الأولى فيها تهمة الأنبياء بعدم العلم، والثانية فيها تهمتهم بالعلم والتضليل، وهذا هو سبيل المغضوب عليهم الذين علموا وكتموا ولم يعملوا بما علموا، وأما القسم الأول فهو سبيل الضالين الذين لم يعلموا.

والأنبياء منزهون عن هذين الطريقين، فطريقهم تام العلم تام العمل؛ ولذلك شرع الله لأهل الإيمان أن يسألوه سبحانه وتعالى أن يهديهم صراطه المستقيم ﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [الفاتحة:٦-٧] ، وهم الرسل والأنبياء والصالحون والشهداء، ولتوضيح هذا السبيل استثنى طريقين، فالمغضوب عليهم: هم الذين علموا ولم يعملوا، والضالون: هم الذين عملوا بلا علم،

---

(١) شرح الفتوى الحموية خالد المصلح ٤/١٠

فالفلاسفة جعلوا الأنبياء والرسل إما من المغضوب عليهم أو من الضالين، وهذا فيه أعظم التكذيب لهم والفرية عليهم، والتنقص لله جل وعلا الذي أقر هؤلاء وأيدهم ونصرهم.." (١)

"تعليل أهل التخييل ما زعموه من كذب الأنبياء أنه للمصلحة

ثم قال: (وأراد من الخلق فهم ما يناقضها) أي: الرسول، (لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق) وأي مصلحة يزعمون؟! إنما هي خيالات وشبه! قال: (ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل) أي مع أنه لن يكون وأنه كذب، (ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل، قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق) هذا بيان للمصلحة التي زعموها (لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد) ، فلو جاءت الرسل تدعو إلى الله وتبين للناس حقائق الأمور على ما هي عليه دون هذه الكذبات ودون هذه الافتراءات التي زعموها؛ لما صدقهم أحد ولما تبعهم أحد، فكذب الرسل في الإخبار بأن الله يبعث الناس، وأن أهل الجنة يتنعمون بالأكل والشرب وغير ذلك؛ إنما كان لمصلحة كبرى، وهي أن ينقاد الناس إلى الخير وينصرفوا عن الشر.

قال: (فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر) يعني: فيما يتعلق بالعقائد.

(وأما الأعمال) أي: وأما ما جاءت به الرسل من الأعمال: كالأمر بالصلاة، والأمر بالزكاة، والصوم، والحج، وغير ذلك من العبادات، (فمنهم من يقرها) ويثبتها على ما جاءت (ومنهم من يجريها هذا المجرى) أي: مجرى الأمور الخبرية الاعتقادية فيقول فيها: إن الرسل قد ضللوا، وإنما أمروا بهذا لمصلحة العباد، وإلا فإن المقصود بالصلاة ليست الصلاة التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، إنما هي أمور باطنة لا يعلمها إلا الخواص! وهذا من أعظم النقض والكذب على الشريعة.

قوله: (ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، يؤمر بها العوام) ، أي: أما الخواص الذين يفهمون معنى هذه العبادات على حقيقتها، فيفهمون معنى الحج ومعنى الصيام ومعنى الزكاة ومعنى الصلاة الحقيقي، فلا حاجة إلى أن يصلوا ولا أن يحجوا ولا أن يصوموا ولا أن يزكوا الزكاة التي فرضت على العامة.

ثم قال: (ويؤمر بها العامة دون الخاصة، فهذه طريقة الباطنية الملاحدة: الإسماعيلية ونحوهم) وهذه الطريق مستنكرة مكذبة مكروهة، ظاهرة البطلان عند كل من يؤمن بالله واليوم الآخر؛ ولذلك لم يطل الشيخ رحمه

---

(١) شرح الفتوى الحموية خالد المصلح ١٠/٥

الله في نقض هذه الطريق وإنما اكتفى بذكر طريقتهم دون النقض لها؛ لأنها بينة العوار لا تلتبس على من في قلبه إيمان بالله واليوم الآخر.." (١)

"مخالفة أهل التأويل للأنبياء وعجزهم عن الظهور على الفلاسفة

قال: (والذين قصدنا الرد عليهم في هذه الفتيا هم هؤلاء) ؛ لأن شبهتهم مضللة تلتبس على الناس وقد تقبلها بعض العقول، بخلاف أصحاب **التخييل** الذين عوارهم وضلالهم، وبعدهم عن الحق وتكذيبهم للرسل ظاهر بين، (إذ كان نفور الناس عن الأولين مشهورا، بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة) يعني: بالرد على أهل **التخييل** وغيرهم من أهل البدع المغلظة.

قوله: (وهم في الحقيقة لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا) يعني: لا نصروا الإسلام الذي جاءت به الرسل؛ لأنهم اضطروا إلى مخالفة الرسل في بعض ما جاءوا به، (ولا للفلاسفة كسروا) أي: بينوا ضلال طريقهم؛ لأنهم أخذوا عنهم في جوانب كثيرة مما يتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى.

ويبين عدم كسرهم للفلاسفة بقوله: [لكن أولئك الفلاسفة ألزموهم في نصوص المعاد نظير ما ادعوه في نصوص الصفات] فأهل التأويل أولوا نصوص الصفات وأثبتوا نصوص المعاد على ما جاءت دون تأويل، وأهل **التخييل** أولوا نصوص المعاد وأولوا نصوص الصفات، فاحتج أهل **التخييل** على أهل التأويل بقولهم: أنتم أولتم في الصفات فلماذا لا تؤولون في المعاد؟ فهم شاركوهم في بعض ضلالهم، فألزموهم بأن يطردوا القاعدة في جميع النصوص حتى يسلموا من التناقض؛ لأن التناقض دليل الفساد، وأي قول تجد فيه تناقضا فهو دليل على فساده، فهؤلاء تناقضوا فأولوا شيئا، وأثبتوا شيئا فدل ذلك على فساد طريقهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.." (٢)

"ألزام الملاحدة لمنكري الصفات بإنكار المعاد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد: فيقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: [لكن أولئك الملاحدة ألزموهم في النصوص -نصوص المعاد- نظير ما ادعوه في نصوص الصفات، فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول جاء بمعاد الأبدان، وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه، وأهل السنة يقولون لهؤلاء: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد، ويقولون لهم: معلوم أن

---

(١) شرح الفتوى الحموية خالد المصلح ٦/١٠

(٢) شرح الفتوى الحموية خالد المصلح ٩/١٠

مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه؛ بخلاف الصفات فإنه لم تكن العرب تنكرها، فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به؟] .

بعد أن فرغ الشيخ رحمه الله من ذكر الطائفتين، وبين أن أهل التأويل لم يأتوا بما يردوا به على أهل **التخييل** في ضلالهم، وإنما شاركوهم في بعض الضلال الذي سلط عليهم أهل **التخييل** فألزموهم إلزامات باطلة، فقال الشيخ رحمه الله: (لكن أولئك الملاحدة ألزموهم في النصوص -نصوص المعاد- نظير ما ادعوه في نصوص الصفات) أي: من التأويل، فلما أول أهل التأويل نصوص الصفات ألزمهم أولئك في نصوص المعاد ما فعلوه في نصوص الصفات.

وبين رد أهل التأويل على هذا الإلزام فقال: (فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول جاء بمعاد الأبدان، وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه، وأهل السنة يقولون لهؤلاء: ونحن نعلم بالاضطرار أن السنة جاءت بإثبات الصفات) فإذا كانت السنة قد جاءت بإثبات الصفات، وجاءت بإثبات المعاد، وتبين لنا ولكم يا أهل التأويل فساد الشبهة التي جعلت أهل **التخييل** يؤولون نصوص المعاد، فكذلك الأمر في نصوص الصفات، فكما أن الشبهة التي اعتمدها أهل **التخييل** في تأويل نصوص المعاد باطلة، فكذلك الشبهة التي اعتمدتموها في تأويل نصوص الصفات.

ثم أضاف أمرا آخر يبين أن الذين أولوا في الصفات وقعوا في خطأ أكبر من أولئك الذين أولوا في نصوص المعاد، من حيث إن نصوص المعاد تحتمل التأويل أكثر من نصوص الصفات، وبيان ذلك في قوله: (ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد) فالكتب الإلهية ذكرت نصوص الصفات أكثر وأعظم من ذكرها لنصوص المعاد، ومع ذلك لم يؤول أهل الكتاب في نصوص الصفات، فإذا كانت هذه النصوص مع كثرتها ومجيء الرسل بها في جميع شرائعهم لم تقبل التأويل؛ فكذلك هي في هذه الشريعة لا تقبل التأويل، وتأويل من أول في نصوص المعاد أقرب من تأويل من أول في نصوص الصفات، أي: أقرب إلى الاحتمال، وإن كان الجميع باطلا، لكن نحن نلزمهم على قاعدتهم في التأويل.

ثم بين وجها آخر يبطل تأويل هؤلاء لنصوص الصفات فقال: (معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول، وناظروه عليه، بخلاف الصفات فإنه لم تكن العرب تنكرها) مع أنهم طلبوا إبطال دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وإبطال رسالته، وطلبوا تكذيبه صلى الله عليه وسلم بكل طريق ومن

كل سبيل، ومع ذلك لم يؤولوا نصوص الصفات، وإنما تسلط تكذيبهم وإنكارهم على نصوص المعاد.

قال: (فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات) تبين من هذين الوجهين أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، وما هما الوجهان؟ الوجه الأول: أن الشرائع جاءت بنصوص الصفات أكثر وأعظم من مجيئها بنصوص المعاد.

الوجه الثاني: أن مشركي العرب وغيرهم لم ينكروا نصوص الصفات كما أنكروا نصوص المعاد.

ثم قال: (فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به؟) يعني: ليس على الوجه الذي أخبر به، وإنما يؤول أو يعطل، أو يقال كما في البدعة الثالثة: إنه لا معنى له.

(وما أخبر به في المعاد هو على ما أخبر به) فالواجب على هؤلاء أن يلتزموا في الصفات ما التزموه في نصوص المعاد، حتى تطرد قاعدتهم وتسلم من التناقض.." (١)

"يفعل بقدرته ولا مشيئته، والعالم لازم له أزلا وأبدا، وإن سموه مفعولا له، فذلك مصانعة للمسلمين، وأخص خصائص الألوهية عندهم وجوب الوجود بالذات لله سبحانه، وينفون عن الله سبحانه جميع صفات الكمال، والقرآن عندهم فيض فياض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر، ومتميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: قوة الإدراك وسرعته، وقوة النفس، وقوة **التخييل**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما زعم المتفلسفة إنه بالعقل الفعال، فمن الخرافات التي لا دليل عليها وأبطل من ذلك زعمهم أن ذلك هو جبريل، وزعمهم أن كل ما يحصل في عالم العناصر من الصور الجسمانية وكمالاتها فهو من فيضه وبسببه، فهو من أبطل الباطل١.

ولا يثبتون لله سبحانه صفة، فلا يكلم ولا يتكلم، كما ينفون عنه سائر صفاته تعالى، فلا سمع ولا بصر ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة، ولا وجه ولا يدين وحجتهم أنه لو كان كذلك لكان مركبا وكان جسما مؤلفا، ولم يكن واحدا من كل وجه.

فغاية توحيدهم إنكار أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وإثباتها عندهم تشبيه لا توحيد٢.

---

١ ابن تيمية – الفتاوى ٣٥/٤.

٢ انظر الفتاوى لابن تيمية ١٠٠/٣، وكتاب الصواعق المنزلة البن قيم الجوزية تحقيق د. على بن محمد

---

(١) شرح الفتوى الحموية خالد المصلح ٢/١١

الدخيل الله ٩٢٩/٣، ٩٣٠، وكتاب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٩٧، ٢٩٨، وكتاب الدين الخالص لصديق حسن خان ٩٦/١.." [١]

"الروحية في الإنسان ألصق، شيء واحد نستطيع استنتاجه من هذه الآثار أن بشرا ممتازا كمحمد لا تدع العناية غرضا للوساوس الصغيرة ... الخ) .

فيؤول شق الصدر تأويلا سبق إليه بطبيعة الحال الشيخ "محمد رشيد رضا" غفر الله للجميع، ويدخل العقل في هذه القضايا الغيبية التي صرح هو بأنه لا مدخل للعقل فيها، ولا داعي للخلاف حولها.

وكذلك نجد الشيخ الغزالي في أكثر من موضع من كتبه يعلق على الكرامات وشيوعها وانتشارها ويسخر من أولئك الذين أدخلوا الكرامات والإيمان بها ضمن العقائد، وإن كان يصرح بأنه لا ينكرها جملة وتفصيلا لكن عباراته في الهجوم على الكرامات والقائلين بها شديدة جدا، ومن ذلك -أيضا- إنكاره لسحر النبي صلى الله عليه وسلم موافقا في ذلك الشيخ "محمد عبده" حيث اعتبر السحر **تخييلا** كما يفهم من القرآن الكريم فيما يظنون وذلك في كتاب (الإسلام والطاقات المعطلة ص٩٤) .

رابعا: الأحكام الـعملية التفصيلية

فيما يتعلق بقضية الأحكام التفصيلية.. وهي قضية قد نقف عندها بعض الشيء، فقد اعتنق الشيخ عددا غير قليل من الآراء الضعيفة والمرجوحة والشاذة وآراء أخرى لم يقل بها أحد من قبل، وسأشير إليها الآن إشارة، وأترك التفصيل لموضوعه:

ولا يخفى الشيخ أن قناعته بها إنما هي بتأثير ضغوط الواقع الجاهلي المسيطر، وهيمنة النظم والقوانين والنظريات الغربية.

فمن ذلك محاربة الحجاب -أعني تغطية الوجه- وقد شن الشيخ عليه حملة ضاربة مستغربة في أكثر من سبعين موضوعا في عدد من كتبه، حتى إن قضية الحجاب وتغطية الوجه من القضايا التي تقلق الشيخ وتقض مضجعه فهو يحشرها بمناسبة وبغير مناسبة -وسأتحدث عن ذلك في نقطة خاصة-.

ومن الآراء الغريبة التي اعتنقها أن للمرأة الحق في تولي سائر المناصب بما في ذلك المناصب العليا كرئاسة الدولة والوزارات والقضاء، كيف لا. . . وهذه بلقيس. . . وهذه فكتوريا. . . وتاتشر. . . وجولد مائير. . . وغاندي!." [٢]

---

(١) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد محمد بن عبد الله زربان الغامدي ص/٣٤

(٢) حوار هادئ مع الغزالي سلمان العودة ص/٢٣

"لتتفق مع هواه وباطله، وليس هذا مجرد تصور، بل إن هذا هو ما حصل فعلا من عامة أهل البدع.
قال شيخ الإسلام: "وأما أهل البدع من أهل الكلام والفلسفة ونحوهم فهم لم يثبتوا الحق، بل أصلوا أصولا تناقض الحق. فلم يكفهم أنهم لم يهتدوا ولم يدلوا على الحق حتى أصلوا أصولا تناقض الحق، ورأوا أنها تناقض ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدموها على ما جاء به الرسول.

ثم تارة يقولون: الرسول جاء **بالتخييل**، وتارة يقولون: جاء بالتأويل، وتارة يقولون: جاء بالتجهيل"١.

فهم لا يقبلون من نصوص الوحي ما خالف آراءهم وأصولهم وقواعدهم، بل ينصرفون إلى رده بأي وجه.

خلافا لمنهج أهل الحق والسلامة والسنة والجماعة رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين فإنهم كلهم متفقون على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة على كل حال، فكلمتهم واحدة من أولهم إلى آخرهم لم يسوموها تأويلا، ولم يحرفوها عن موضوعها تبديلا، ولم يبدوا لشيء منها ابطالا، ولا ضربوا لها أمثالا، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوا القرآن عضين.

فالواجب لزوم منهج أهل السنة والجماعة، والبعد عن هذه المناهج المنحرفة، وأن يكون الرد في موضع النزاع والخلاف إلى الكتاب

---

١ الفتاوى (١٦/٤٤٠) ، وانظر أيضا الفتاوى (١٣/ ١٤٢) و (١٧/ ٣٦١) .." [(١)]

"كالأشاعرة والماتريدية، فالجميع يؤمنون بما جاء عن اليوم الآخر وينفون تفاصيل الصفات إذا اعتبرنا مسألة الرؤية في الآخرة من مسائل الصفات لأنهم ينفونها باعتبار تعلقها بالله تعالى ويزعمون امتناعها في حقه.

المذهب الثالث: نفوا جميع ذلك وهم القرامطة الباطنية والفلاسفة المشاؤون، وزعموا أن أخبار اليوم الآخر خيالات جاءت بها الرسل لإصلاح الخلق أو يسمونه "بمصلحة الجمهور".

* فالفريق الأول: هم أهل التنزيل. والثاني: هم أهل التعطيل، والثالث: هم أهل **التخييل**.

س٤ . اذكر مذهب الباطنية في الأحكام مع بعض الأمثلة لتأويلاتهم، وأنواعهم، والحكم عليهم؟

ج . أولا . مذهبهم في الأحكام: كثير منهم جعل الأمر والنهي أي الشرائع من هذا الباب، أي من باب

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٣٩٨

الأمور التي لها ظاهر وباطن كالغيبيات عندهم فتأويلاتهم في عامة أبواب الدين.

ثانيا ـ أمثلة لتأويلاتهم في الأحكام:

١ ـ الصلوات الخمس عندهم: هي معرفة أسرارهم.

٢ ـ صيام رمضان عندهم: يؤولونه بكتمان أسرارهم.

٣ ـ حج البيت عندهم: هو السفر إلى شيوخهم.

٤ ـ الربا عندهم: هو إيصال الرغبة في الإكثار في الخير.

٥ ـ الزنا عندهم: هو إيصال المستجيب من غير شاهد. ونحو ذلك من أنواع التحريف والإلحاد.

ثالثا ـ من تلزمهم الشرائع عندهم:

يقولون إن هذه الشرائع تلزم العامة دون الخاصة فإذا صار الرجل من عارفيهم وموحديهم رفعوا عنه الواجبات وأباحوا له المحرمات.." (١)

"ويرد بهذا المثال على: نفاة الصفات بحجة أن إثباتها يستلزم التشبيه والحق أن الاتفاق في الاسم والمعنى لكي لا يستلزم التشبيه.

* مذاهب الناس في أمور الآخرة والأخبار الغيبية عن الله:

١ ـ أهل التنزيل: آمنوا بجميع ذلك مع علمهم بالمباينة بين ما في الآخرة، وما في الدنيا، وأن مباينة الله لخلقه أعظم.

٢ ـ أهل التعطيل: أثبتوا ما أخبر الله به عن الآخرة ونفوا كثيرا مما أخبر به عن نفسه.

٣ ـ أهل **التخييل**: (القرامطة والفلاسفة المشاؤون) فزعموا أن أخبار اليوم الآخر خيالات.

* الأمثال والأقيسة في حق الله:

الأقيسة على ثلاثة أنواع: قياس التمثيل والشمول، لا يجوز في حقه قياس الأولى.

* المثل الثاني الروح: يبين أنه قد تعلم معاني الأشياء وتجهل كيفياتها، ومن جحد صفات الروح الواردة في النصوص كان معطلا، فكذلك من نفى صفات الله تعالى كان جاحدا من باب أولى.

الخاتمة الجامعة لسبع قواعد نافعة:

* القاعدة الأولى: صفات الله نفي وإثبات:

هذه القاعدة رد على شبهة أهل التعطيل: الذين زعموا أنه ليس في النصوص وصف ثبوتي لله تعالى، وإن

---

(١) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/١٩٧

ورد فهو على غير ظاهره، وأهل التشبيه: زعموا أنه ليس في النصوص إلا وصف ثبوتي. أما التنزيهي فلا يوجد، والحق أنه تعالى وصف نفسه بالإثبات ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ [البقرة: ٢٩] ، ووصف نفسه بالنفي: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهو متضمن لإثبات كمال الضد: كما حياته وقيوميته، أما النفي المحض فليس فيه مدح ولا كمال.." (١)

"عليها السلام في أن زكريا إذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا، وهي متفرغة للعبادة بهذا المحراب، وهو مكان العبادة، كذلك ما حصل لأصحاب الكهف من النوم الطويل، وبقائهم على حالتهم لم تأكل الأرض أجسامهم، ولم يحصل في حياتهم خلل. هذا من كرامات الأولياء.

أما ما يجري مما يشبه خوارق العادات على أيدي الكفرة، فهذه تعتبر من أفعال الشياطين فهذه تعتبر من أفعال الشياطين فهذه تعتر من الشعوذات والحيل والسحر **التخييلي** أو من أعمال الشياطين واستخدامهم لإفساد عقائد الإنس والإضرار بهم وليست من الكرامات، كالذي يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، وهو فاجر، فهذا من فعل الشياطين؛ لأنهم لما تقربوا إليهم بالكفر والشرك؛ خدموهم. فحملوهم في الهواء ومشوا بهم على الماء.

فما يجري على أيدي هؤلاء الفجرة من الشعوذات والشرك هو من أعمال الشياطين أو من حيلهم ودجلهم على الناس وهي أمور يتعلمونها فيما بينهم شيء منها ولهذا لما نسب اليهود السحر إلى نبي الله سليمان عليه السلام، رد الله عليهم بأن السحر كفر ولا ينسب الكفر إلى الأنبياء، وسليمان عليه السلام منهم، ولا يليق به السحر.." (٢)

"-رحمه الله- أن المعتزلة١وغيرهم٢ذهبوا إلى أنه لا حقيقة للسحر٣، وأنهم احتجوا بقوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ ٤، وبقوله تعالى: ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس﴾ الآية٥.

وذهب الجمهور إلى أن منه ما له حقيقة، وليس خيالا فقط كما توهم البعض.

ورجح الشيخ الأمين –رحمه الله– ما ذهب إليه الجمهور، وذكر شيئا من أدلتهم، فقال –رحمه الله-: "والتحقيق الذي عليه جماهير العلماء من المسلمين أن السحر منه ما هو أمر له حقيقة، لا مطلق **تخييل** لا حقيقة له. ومما يدل على أن منه ما له حقيقة قوله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ ٦؛ فهذه الآية تدل على أنه شيء موجود له حقيقة تكون سببا للتفريق بين الرجل وامرأته. وقد عبر

---

(١) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٤٦٦

(٢) شرح مسائل الجاهلية صالح الفوزان ص/١٠٣

الله عنه بـ"ما" الموصولة وهي تدل على أنه شيء له وجود حقيقي. ومما يدل على ذلك أيضا قوله

---

١ المعتزلة سموا بذلك لاعتزال رئيسهم واصل بن عطاء م جلس الحسن البصري. وقيل لاعتزالهم قول الأمة في دعواهم أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر. ولهم أصول خمسة اشتهروا بها: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٠، ١١٤. والملل والنحل ٤٣/١. وخطط المقريزي ٣٤٥/٢. والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٤٩) .

٢ وممن قال بهذا القول –كما ذكر الحافظ ابن حجر- أبو جعفر الاستراباذي –من الشافعية-، وأبوبكر الرازي –من الحنفية-، وابن حزم الظاهري (فتح الباري١٠/٢٣٣) .

٣ قال بذلك الزمخشري المعتزلي في الكشاف ١٠٣/٢. وقد رد عليه ابن المنير في حاشية الكتاب المذكور، وبين خطأ هذا القول وأوضح معتقد أهل السنة والجماعة (وانظر: بدائع الفوائد ٢٢٧/٢) ، ومن المعاصرين أيضا من ينكر حقيقة السحر.

٤ سورة طه، الآية [٦٦] .

٥ سورة الأعراف، الآية [١١٦] .

٦ سورة البقرة، الآية [١٠٢] .." (١)

"تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ ١؛ يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن، وينفثن في عقدهن. فلولا أن السحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه"٢.

وهذه الأدلة التي استدل بها الشيخ الأمين –رحمه الله- على حقيقة السحر أدلة صريحة على أن للسحر أثرا، ومنه ما هو حقيقة ومحسوس، وليس كله خيالا.

وأما جانب الخيال في السحر: فيجعل الشيخ –رحمه الله- من قصة سحرة فرعون مثالا على الخيال في السحر، ولا يرضى قول من قال: إن سحرهم حقيقة لا خيال، فيقول -رحمه الله-: "فإن قيل: قوله في (طه) : ﴿يخيل إليه من سحرهم﴾ الآية٣، وقوله في (الأعراف) ﴿سحروا أعين الناس﴾ ٤الدالان علىأن سحر فرعون خيال لا حقيقة له، يعارضهما قوله في) الأعراف) : ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ ٥؛ لأن وصف سرحهم بالعظيم يدل على أنه غير خيال. فالذي يظهر في الجواب –والله أعلم- أنهم أخذوا كثيرا من

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٢٠٧/١

الحبال والعصي، وخيلوا بسحرهم لأعين الناس ٤ أن الحبال والعصي تسعى، وهي كثيرة. فظن الناظرون أن الأرض ملئت حيات تسعى لكثرة ما ألقوا من الحبال والعصي، وخافوا من كثرتها، وبتخييل سعي ذلك العدد الكثير وصف سحرهم بالعظم. وهذا ظاهر لا إشكال فيه"٦.

فالشيخ -رحمه الله- يوضح أن السحر وصف بالعظم؛ لكثرة ما ألقى

---

١ سورة الفلق، الآية [٤] .

٢ أضواء البيان ٤/٤٣٧-٤٣٨. وانظر: معارج الصعود ص٥١-٥٢.

٣ سورة طه، الآية [٦٦] .

٤ سورة الأعراف، الآية [١١٦] .

٥ سورة الأعراف، الآية [١١٦] .

٦ أضواء البيان ٤/٤٣٨.." (١)

"السحرة من الحبال والعصي، ولتخييلهم للناس أنها تسعى. فهذا النوع ليس السحر فيه حقيقة، بل هو تخييل.

وقد وافق الشيخ -رحمه الله- في فهم هذه الآية الحافظ ابن حجر حيث إنه جعل سحر سحرة فرعون من الخيال، لا من الحقيقة، فقال عند قوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ ١:"هذه الآية عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخييل. ولا حجة له بها؛ لأن هذه وردت في قصة سحرة فرعون، وكان سحرهم كذلك، ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل"٢.

فما قاله الشيخ الأمين -رحمه الله- من أن السحر الذي جاء به سحرة فرعون إنما هو تخييل، هو الصواب؛ فلا شك أنه من التخييل الناتج من تأثير السحر على أبصارهم حتى رأت غير الحقيقة؛ كما قال تعالى: ﴿سحروا أعين الناس﴾ ٣.

وحاصل الكلام أن السحر قسمان -كما ذكر ذلك الشيخ الأمين-: حقيقي، وخيالي، وهذا التقسيم تعضده الأدلة النقلية وهو مذهب جمهور المسلمين.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله- بعد ما ساق أدلة المعتزلة التي استدلوا بها علىأن السحر خيال لا حقيقة؛ مثل قوله تعالى: ﴿سحروا أعين الناس﴾ ٤، وقوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ ٥،

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٢٠٨/١

١ سورة طه، الآية [٦٦] .
٢ فتح الباري ١٠/٢٣٥-٢٣٦.
وقد ذكر نحو هذا الكلام الإمام ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث ص١٢٣.
٣ سورة الأعراف، الآية [١١٦] .
٤ سورة الأعراف، الآية [١١٦] .
٥ سورة طه، الآية [٦٦] .." (١)

"فقال: "وهذا لا حجة فيه؛ لأننا لا ننكر أن يكون **التخييل** وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل، وورد بها السمع؛ فمن ذلك ما جاء في هذه الآية١من ذكر السحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة لم يكن تعليمه، ولا أخبر تعالى أنهم يعلمونه الناس، فدل على أن له حقيقة" ٢.

وأخيرا أختم كلام العلماء في هذا الجانب بقول أحد أئمة الدعوة البارزين؛ وهو الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- الذي قال: "وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر **تخييل** لا حقيقة له، وهذا ليس بصحيح على إطلاقه، بل منه ما هو **تخييل**، ومنه ما له حقيقة" ٣.

حكم استعمال السحر، وتعلمه:

أوضح الشيخ الأمين -رحمه الله- أن قول جمهور العلماء -منهم أبو حنيفة، ومالك، وأصحاب أحمد، وغيرهم- في الذي يستعمل السحر ويتعلمه أنه يكفر بذلك. وفي رواية عن أحمد ما يقتضي عدم كفره. وفصل الشافعي -رحمه الله- في هذه المسألة، فقال: "إذا تعلم السحر، قلنا له: صف لنا سحرك. فإن وصف ما يوجب الكفر؛ مثل ما في سحر أهل بابل من التقرب للكواكب، وأنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر. وإن كان لا يوجب

الكفر: فإن اعتقد إباحته فهو كافر، وإلا فلا" ٤.

١ يعني قوله تعالى في سورة البقرة، الآية [١١٦] ؟فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه؟.
٢ الجامع لأحكام القرآن ٢/٣٢.
٣ تيسير العزيز الحميد ص٣٨٣.

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ١/٢٠٩

٤ انظر: أضواء البيان ٤/٤٥٥. وانظر أيضا: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/١٧٦. والمغني ١٢/٣٠٠. وتيسير العزيز الحميد ص٣٨٤. وكتاب الدين الخالص ٢/٣٢٢.." [(١)]

"وقول الشيخ الأمين –رحمه الله– في هذه المسألة شبيه بقول الشافعي وأصحابه، حيث إنه لا يكفر الساحر إلا أن يكون في سحره شرك بالله، فإن كان يتم بدون الإشراك بالله فهو لا يصل إلى الكفر، ولكنه محرم تحريما شديدا، فيقول –رحمه الله– موضحا هذا المعنى:

"والتحقيق في هذه المسألة هو التفصيل، فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله كالكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر، فهو كفر بلا نزاع. ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة؛ فإنه كفر بلا نزاع، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ ١وقوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ ٢، وقوله: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾ ٣، وقوله تعالى: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ ٤.... وإن كان السحر لا يقتضي الكفر؛ كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها: فهو حرام حرمة شديدة، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر"٥.

والشيخ الأمين –رحمه الله– ربط حكم السحر بما يتصل به من أسباب؛ فإن كانت أسبابه كفرا، وكان لا يتم إلا بالتقرب إلى الشياطين والكواكب: فهو من أنواع السحر التي يكفر متعاطيها، وإن كانت أسبابه غير مكفرة؛ بمعنى أن الساحر لا يعظم أحدا سوى الله، ولا يدعي أنه يعلم الغيب، ولا يصرف شيئا من العبادة لغير الله: فهذا ليس كفرا وإن اشتمل على **التخييل** والكذب والخداع والغش، بل هو عمل محرم من كبائر الذنوب.

---

١ سورة البقرة، الآية [١٠٢] .

٢ سورة البقرة، الآية [١٠٢] .

٣ سورة البقرة، الآية [١٠٢] .

٤ سورة طه، الآية [٦٩] .

٥ أضواء البيان ٤/٤٥٦.." [(٢)]

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ١/٢١٠

(٢) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ١/٢١١

"صلى الله عليه وسلم: " حد الساحر ضربة بالسيف" ١.

قال الشيخ الأمين –رحمه الله– عن هذه الأدلة: "فهذه الآثار التي لم يعلم أن أحدا من الصحابة أنكرها على من عمل بها، مع اعتضادها بالحديث المرفوع المذكور. وهي حجة من قال بقتله مطلقا. والآثار المذكورة، والحديث فيهما الدلالة على أنه يقتل ولو لم يبلغ به سحره الكفر؛ لأن الساحر الذي قتله جندب رضي الله عنه كان سحره من نحو الشعوذة والأخذ بالعيون، حتى إنه يخيل إليهم أنه أبان رأس الرجل، والواقع بخلاف ذلك. وقول عمر: "اقتلوا كل ساحر" يدل على ذلك لصيغة العموم٢"٣.

فالشيخ –رحمه الله– يرى أن هذه الأدلة قوية ومعتبرة، ولها وزنها في الحكم؛ (أعني الحكم بقتل الساحر مطلقا) ؛ حيث إنها من عمل بعض الصحابة رضوان الله عليهم، ولم يعلم أن أحدا من الصحابة أنكرها على من عمل بها.

---

١ سنن الترمذي ٤/٦٠، وقال: والصحيح عن جندب موقوف. وسنن الدارقطني ٣/١١٤.

وقال الشيخ الألباني: ضعيف (كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣/٦٤١) ، وقال الشيخ الأمين: لا يصح (كما في أضواء البيان ٤/٤٥٩) .

٢ قال الشيخ الأمين –رحمه الله– عن الساحر الذي قتله جندب:"إن سحره من نحو الشعوذة، والأخذ بالعيون، وليس ذلك مما يقتضي الكفر المخرج من ملة الإسلام" (كما في أضواء البيان ٤/٤٦٢) . ويفهم من كلامه أن سحر التخييل ليس كفرا.

ولست أدري كيف يتفق كلامه هنا مع كلامه عن سحرة فرعون – (الذين كان سحرهم تخييلا) – عندما فسر قوله تعالى: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ فقال:"وذلك دليل على كفره؛ لأن الفلاح لا ينفى بالكلية نفيا عاما إلا عمن لا خير فيه، وهو الكافر" (أضواء البيان ٤/٤٤٢) .

وقد فصل –رحمه الله– كما مر معنا فيما مضى– في حكم الساحر؛ إن كان لا يتم سحره إلا بالكفر فهو كافر، وإن كان لا يبلغ الكفر فهو محرم حرمة شديدة. وسحر الشعوذة والتخييل قد لا يتم إلا بطاعة الشيطان، والكفر بالرحمن، فيكفر فاعله بالله العظيم. وعلى هذا المنهج يقال إن سحر الشعوذة والتخييل ليس مما يقتضي الكفر المخرج من ملة الإسلام على إطلاقه، بل الأمر فيه التفصيل السابق.

٣ أضواء البيان ٤/٤٦١.." (١)

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٢١٧/١

"للساحر على سبيل أن الله هو خالق الأسباب ومسبباتها. وما يجري من هذه الأفعال فالسحر سبب له. لكنه –رحمه الله– يميل إلى أن هذه الأمثلة هي من نوع **التخييل** والشعوذة، ليست من نوع تغيير طبيعة الشيء إلى غيرها. وقد أكد أن هذا المعنى هو الأظهر عنده فقال: "أما بالنسبة إلى أن الله قادر على أن يفعل جميع ذلك، وأنه يسبب ما شاء من المسببات على ما شاء من الأسباب وإن لم تكن هناك مناسبة عقلية بين السبب والمسبب كما قدمناه مستوفى في سورة مريم١، فلا مانع من ذلك والله جل وعلا يقول: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ ٢. وأما بالنسبة إلى ثبوت وقوع مثل ذلك بالفعل فلم يقم عليه دليل مقنع؛ لأن غالب ما يستدل عليه به قائله حكايات لم تثبت عن عدول، ويجوز أن يكون ما وقع منها من جنس الشعوذة والأخذ بالعيون، لا قلب الحقيقة مثلا إلى حقيقة أخرى. وهذا هو الأظهر عندي، والله تعالى أعلم" ٣.

وأوضح كلام الشيخ –رحمه الله– ببعض النقاط:

أولا: ما قاله الشيخ الأمين –رحمه الله– من أن الله قادر على أن يفعل، وأنه سبحانه يجعل بعض الأسباب لها تأثير في بعض الأشياء. هذا هو معتقد أهل السنة في أفعال الله سبحانه وتعالى. والشيخ –رحمه الله– بهذا الكلام يرد على من جعل بمقدور الساحر أن يفعل ما مر معنا من الأمثلة، على كون الله هو الفاعل، وأن الساحر لا سبب له في ذلك ولا قدرة، وإنما خلقه الله عندما يريد الساحر ذلك، لا كونه جعله سببا لحصول هذه الأمور. وهذا هو قول من ينكر حكمة الله والأسباب التي جعلها سببا لحصول بعض

---

١ ذكر الشيخ ذلك في أضواء البيان ٤/٢٥٠.

٢ سورة البقرة، الآية [١٠٢] .

٣ أضواء البيان ٤/٤٦٧– ٤٦٨.." (١)

"الأشياء، ولا فعل للعبد عندهم، والله هو الفاعل. وهذا هو قول الأشاعرة كما مر معنا، وهو مخالف للنقل والعقل وهو حقيقة قول الجبرية١. وقد بين شيخ الإسلام –رحمه الله– مقدورات الله، وأنها على قسمين، فقال: "منها ما يفعله بواسطة قدرة العبد؛ كأفعال العباد وما يصنعونه. ومنها ما يفعله بدون ذلك؛ كإنزال المطر" ٢.

وبهذا يتضح مراد الشيخ الأمين –رحمه الله–؛ وهو أن الله يعطي الساحر من الأسباب ما به يستطيع أن

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٢٢٤/١

تحصل له هذه الأمور، والله هو خالق الأسباب ومسبباتها.

ثانيا: ما ذكر الشيخ -رحمه الله- من الأمثلة المختلف فيها عن مقدورات الساحر: فهي بمقدور الخلق من الجن والإنس فعله، وليست بصعبة عليهم. أما المثال الذي ذكره ضمن الأمثلة؛ وهو أن الساحر بمقدوره أن يقلب الإنسان حمارا، والحمار إنسانا: فهذا ليس باستطاعة الخلق فعله؛ لأنه ليس من مقدورهم، إلا على سبيل **التخييل** والشعوذة؛ لأن السحرة تساعدهم الشياطين، وهذا الأمر ليس باستطاعة الشياطين فعله؛ لأنها لا تستطيع قلب عين إلى آخر، ولا التصرف في الطبائع والحقائق، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وجميع ما يختص بالسحرة والكهان وغيرهم ممن ليس بنبي: لا يخرج عن مقدور الإنس والجن. وأعني بالمقدور: ما يمكنهم التوصل إليه بطريق من الطرق....فما يقدر عليه الساحر من سحر بعض الناس حتى يمرض أو يموت هو من مقدور الجن،

---

١ فالله هو الخالق –والعبد هو الفاعل فهو المصلي والصائم، والسارق والشارب، فهذه أفعال العبد التي يثاب ويعاقب عليها والله الخالق: والله خلقكم وما تعملون، فالله خالق أفعال العباد، والعباد يفعلون أفعالهم حقيقة. هذا معتقد أهل السنة، وانظر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حول هذا الموضوع ١٢/٣-٢٠.

٢ النبوات ص٤١٧.." [(١)]

"وهو من جنس مقدور الإنس" ١.

وقال أيضا: "فإن الساحر قد يصعد في الهواء والناس ينظرونه، وقد يركب شيئا من الجمادات؛ إما قصبة، وإما خابية، وإما مكنسة، وإما غير ذلك فيصعد به الهواء، وذلك أن الشياطين تحمله. وتفعل الشياطين هذا ونحوه بكثير من العباد والضلال من عباد الشركس ... وكذلك المشي على الماء: قد يجعل له الجن ما يمشي عليه وهو يظن أنه يمشي على الماء، وقد يخيلون إليه أنه التقى طرفا النهر ليعبر، والنهر لم يتغير في نفسه، ولكن خيلوا إليه ذلك" ٢.

إذا: ما يفعله الساحر من هذه الأمور يكون بمساعدة الشيطان له، فتتضافر قدرة الشيطان مع فعل الساحر فيحصل المطلوب.

فالشياطين يتلبسون بالسحرة، ويحققون مآربهم إذا أطاعوهم، لكن لا يستطيعون قلب عين إلى أخرى؛ لأنه

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٢٢٥/١

ليس بمقدور الخلق فعل ذلك، وإنما هو الله وحده.

والشيخ الأمين –رحمه الله– يميل إلى أن هذه الأمور التي يظهر منها أن عين الشيء انقلبت إلى أخرى هي من التخييل والشعوذة، وسحر عين الرائي، وليس من قلب الحقيقة إلى أخرى.

ولا شك أن عمل الساحر إما أن يكون بالتأثير على أعين الناس؛ فيرون الشيء على غير حقيقته. وإما أن يكون التأثير في المشاهد بفعل السحر الذي يتم بتعاون الشياطين مع السحرة؛ قال ابن القيم رحمه الله: "إن الساحر يفعل هذا وهذا؛ فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به. وتارة يتصرف في المرئي باستعانته بالأرواح الشيطانية

---

١ النبوات ص٣٩١.

٢ المصدر نفسه ص٣٩٤– ٣٩٥.." (١)

"لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعا لها مانع لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافا متباينا" (١).

ومن أشهر هذه التعريفات: تعريف ابن قدامة (٢)

حين قال: السحر: عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجته، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه" (٣).

السحر حقيقة أم تخييل:

السحر منه ما يكون له حقيقة وأثر لذا جاء الأمر بالاستعاذة منه كما في قوله تعالى ﴿ومن شر النفاثات في العقد (٤)﴾ الفلق: ٤، يعني السواحر (٤). ومنه ما يكون تخييل (٥) كما في قوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦)﴾ طه: ٦٦.

وفي معجم المناوي (٦) قال: " السحر: يقال على معان:

الأول: تخيلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعوذة (٧).

الثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه.

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٤٤).

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٢٢٦/١

(٢) هو: الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، فقيه من أكابر الحنابلة، وهو عالم مجاهد، قاتل مع صلاح الدين، ولد سنة (٥٤١ هـ) وتوفي سنة (٦٢٠ هـ) له تصانيف منها المغني شرح مختصر الخرقي، والكافي، وروضة الناظر في أصول الفقه، والمقنع.

ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥)، وشذرات الذهب (٧/ ١٥٥)، والأعلام (٤/ ٦٧).

(٣) الكافي في مذهب الإمام أحمد (٤/ ١٦٤)، وينظر: السحر بين الحقيقة والخيال، د. أحمد بن ناصر الحمد (ص ١٣ - ١٦).

(٤) جامع البيان (٣٠/ ٢٢٧)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧٤).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٤٧)، أضواء البيان (٤/ ٤٣٧).

(٦) هو: العلامة محمد عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، من كبار العلماء ومن سليل أسرة علمية عريقة، انزوى للبحث والتصنيف، وقد مرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده محمد يستملي منه تأليفه، ولد سنة (٩٥٢)، وتوفي سنة (١٠٣١ هـ)، له مصنفات عديدة منها: فيض القدير، وشرح الشمائل للترمذي، التوقيف على مهمات التعاريف.

ينظر: البدر الطالع (١/ ٣٥٧)، والأعلام (٦/ ٢٠٤)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢/ ١٤٣)، والمسائل العقدية في فيض القدير للمناوى عرض ونقد للدكتور عبد الرحمن بن عبد الله التركي (ص ٦٦) وما بعدها.

(٧) الشعوذة أو الشعبذة: لعب بخفة يرى الإنسان منه الشيء بخلاف ما عليه أصله في رأي العين، أي يرى ما ليس له حقيقة.

ينظر: لسان العرب مادة شعذ (٥/ ٢٩)، والمصباح المنير للفيومي (١/ ٣٣٧).." [1]

""٣ - ويطلق السحر أيضا على **التخييل** وإيهام الناظر إلى الشيء أنه يتحرك مثلا مع أنه لا يتحرك، وهذا من الإيهام والتدجيل، وهذا النوع من السحر حرام؛ لما فيه من التمويه والتلبيس واللعب بالعقول، وهذا النوع من أنواع الكفر الأكبر، وهو سحر سحرة فرعون" (١).

أثبتت النصوص القرآنية والحديثية هذا النوع من أنواع السحر، يقول الحق جل وعلا في محكم كتابه: ﴿قالوا

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي ص/٢٠٢

ياموسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين (١١٥) قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (١١٦)﴾ الأعراف: ١١٥ - ١١٦، قال الطبري: " وذكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم، فخيل حينئذ إلى موسى أنها تسعى" (٢).

وقد ثبت من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: (سحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله) (٣).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: " قال المازري (٤):

- عن إنكار بعض المبتدعة لهذا الحديث - وهذا كله مردود، لأن الدليل قد قام على صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، قال: وقد قال بعض

---

(١) فتاوى اللجنة (١/ ٥٤٤ - ٥٤٧، ٥٦٣).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (ص ٨/ ٤٣٣).

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب السحر برقم (٥٧٦٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب السحر برقم (٢١٨٩).

(٤) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي، كان بصيرا بعلم الحديث، له معرفة بالطب، ألف في الفقه والأصول والحديث وغيرها، توفي - رحمه الله - سنة (٥٣٦ هـ)، وله تصانيف من أشهرها: المعلم بفوائد مسلم.

ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٠٩)، والسير (٢٠/ ١٠٤)، وشذرات الذهب (٤/ ١١٤).." [١]

"الناس أن المراد بالحديث أنه كان - صلى الله عليه وسلم - يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا كثير ما يقع تخيله للإنسان في المنام فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة " (١).

يقول ابن خلدون: "سحر التخيل هو أن يعمد الساحر إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف،

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي ص/٢٠٧

ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه، فينظر الراؤون كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك" (٢).

قال الشنقيطي – رحمه الله –: " من أنواع السحر هو التخيلات والأخذ بالعيون ومبنى هذا النوع منه على أن القوة الباصرة قد ترى الشيء على خلاف ما هو عليه في الحقيقة لبعض الأسباب العارضة. ولأجل هذا كانت أغلاط البصر كثيرة .. ولا يخفى أن يكون سحرة فرعون من هذا النوع. فهو **تخييل** وأخذ بالعيون كما دل عليه قوله تعالى: ﴿قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦)﴾ طه: ٦٦، فإطلاق **التخييل** في الآية على سحرهم نص صريح في ذلك. وقد دل على ذلك أيضا قوله في الأعراف: ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (١١٦)﴾ الأعراف: ١١٦، لأن إيقاع السحر على أعين الناس في الآية يدل على أن أعينهم تخيلت غير الحقيقة الواقعة، والعلم عند الله تعالى" (٣).

"٤ – ويطلق السحر أيضا على التعوذ بالجن والاستعانة بهم على نفع إنسان أو إصابته بضر من مرض أو تفريق أو بغض أو حب أو فك سحر ونحو ذلك، وحكمه أنه كفر أكبر؛ لما فيه من اللجوء والاستعانة بغير الله والتقرب إلى الجن" (٤).

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٢٧).

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص ٤٩٨) ،، ينظر: بدائع التفسير لابن القيم (٥/ ٤١٢)، إعجاز القرآن في علاج السحر والحسد ومس الشيطان لمحمد محمود عبد الله (ص ٨٥).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٣٥، ٤٣ – ٤٤).

(٤) فتاوى اللجنة (١/ ٥٤٤ – ٥٤٧، ٥٦٣).." [1]

"وعموما فإن الذين انحرفوا عن الصراط المستقيم تشعبت بهم الطرق، فهناك أهل الوهم (١) **والتخييل** (٢) (الفلاسفة)، وهناك أهل التحريف والتأويل كالمعتزلة وغيرهم من علماء الكلام، وهناك أهل التجهيل (٣)

والتضليل (٤) الذين ادعوا أن النصوص الشرعية من قرآن وسنة يراد بها خلاف مدلولها الظاهر وأن المراد

---

[1] منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي ص/٢٠٨

الخفي لا يعلمه غيرهم وإلى هذا الصنف تنتمي الباطنية، وما كل ذلك إلا أنهم أقحموا العقل فيما ليس له.
ولقد اعتبر الإسلام العقل ولم يلغه، فمن مظاهر اعتباره للعقل وعدم إلغائه له أن أطلق له العنان في التفكير فيما يدركه ويشاهده، ومنعه من التفكير والتخبط فيما لا يدركه ولا يقع تحت حسه من المغيبات التي لا يمكن أن يصل في تفكيره فيها إلى نتيجة (٥).

وقد جاء عن السلف رحمهم الله قولهم:

" العقل نوعان: عقل أعين بالتوفيق، وعقل كيد بالخذلان.

فالعقل الذي أعين بالتوفيق: يدعو صاحبه إلى موافقة أمر الأمر المفترض الطاعة، والانقياد لحكمه، والتسليم لما جاء عنه ... والعقل الذي كيد: يطلب بتعمقه الوصول إلى علم ما

---

(١) الوهم: من خطرات القلب، والجمع: أوهام، كما في المحكم، أو هو: (مرجوح طرفي المتردد فيه)، وقال الحكماء: هو قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ، من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات، كشجاعة زيد، وهذه القوة هي التي تحكم في الشاة بأن الذئب مهروب منه، وأن الولد معطوف عليه، وهذه القوة حاكمة على القوى الجسمانية كلها، مستخدمة، وهو أضعف من الظن.

ينظر: التعريفات للجرجاني (ص ٣٢٩)، تاج العروس (٣٤/ ٦٢)، المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي (٢/ ٣٧٤)، كتاب الكليات لأيوب الكفومي (ص ٩٤٣).

(٢) **التخييل**: تصوير خيال الشيء في النفس، ومنه قوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦)﴾ طه: ٦٦.

ينظر: لسان العرب (١١/ ٢٣١)، مختار الصحاح (ص ٨٢)، تاج العروس (٢٨/ ٤٥٠).

(٣) التجهيل: هو النسبة إلى الجهل والمجهلة بوزن المرحلة الأمر الذي يحمل على الجهل ومنه قولهم الولد مجهلة، والجهل ضد العلم.

ينظر: لسان العرب (١١/ ١٢٩)، مختار الصحاح (ص ٤٩).

(٤) التضليل: تصيير الإنسان إلى الضلال، والتضلال كالتضليل، ورجل ضليل: كثير الضلال ومضلل لا يوفق لخير.

ينظر: المخصص لأبي حسن علي بن إسماعيل النحوي (٤/ ٥٠)، لسان العرب (١١/ ٣٤٩)، كتاب

الكليات (ص ٤٤).

(٥) ينظر: لمكانة العقل في الإسلام في كتاب موقف المتكلمين للغصن (١/ ٢٦٢ – ٢٧٣)..".[1]

"لقد اختلف الناس اختلافا كثيرا حول الشيخ " محمد عبده" ومذهبه الديني والسياسي. فبينما يعده البعض إمام المصلحين المجددين ١ يعتبره البعض الآخر سبب كل شر أتى من بعده ٢.

ومن خلال بحثي هذا ظهر لي أن الشيخ محمد عبده كان متأثرا بالفلاسفة القدماء والمحدثين على السواء، لقد قرأ الإشارات لابن سينا بشرح الطوسي مع الأفغاني ٣. وكان يدافع عن مذاهب الفلاسفة في حاشيته على شرح الدواني على العقائد العضدية ٤. كما أنه أعلن في الأزهر على الملأ رفضه لدليل الأشعرية والمتكلمين على وجود الله. واتهم يومئذ بالكفر لإنكاره وجود الله ٥. ولما ذهب إلى فرنسا لقي هناك عددا من الفلاسفة وعاشرهم وناقشهم وأفشى بعضهم عنه أنه كان يقول بقدم العالم ٦.

وفي كلامه ما يدل على ذهابه مذهبهم، فإنه يقول كثيرا في آيات القرآن الكريم إنها وردت مورد التمثيل والتخييل ٧، ويتأول الرجوع إلى الله تعالى ٨، كما هو مذهب الفلاسفة. ولا ريب أن مذهب الفلاسفة جاءه من طريق الأفغاني ٩.

---

١ انظر: أحمد أمين: زعماء الإصلاح (ص ٢٨٠).

٢ انظر: مصطفى صبري: موقف العقل (١/٣٤٥)، ومحمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية (ص ٨٥) وما بعدها.

٣ انظر: مجلة المنار (١/٧١٦. ٧٢١)، ولمحمد عبده شرح البصائر النصيرية في المنطق وشرحه في الأزهر، انظر: تاريخ الأستاذ الإمام (١/ ٧٧٨)

٤ انظر: سليمان دنيا: مقدمة حاشية محمد عبده على الدوانية: ط الحلبي، مصر (ص:٦) وما بعدها، وانظر: مجلة المنار (٥/ ٣٦١. ٣٨٠)

٥ انظر: مجلة المنار (٥/ ٣٩٥)

٦ انظر: مجلة المنار (٣٢/ ٥٨٨)، وانظر: محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية (ص: ٧٩ و٩٦).

٧ انظر مثلا في التأويل: تفسير المنار (٢/ ٤٥٦، و٢/ ٤٧٠و٢١٣) ومجلة المنار (٧/ ١٨١) والتفسير أيضا (١/ ٤٣٨. ٤٣٩) و (١/ ٢٥٤. ٢٥٥)

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي ص/٦٠٩

٨ انظر تفسير المنار (٤/ ١٩٨و ٣/ ١٠٤)

٩ انظر: محمد حسين المرجع السابق (ص: ٧٠) وما بعدها." [(١)]

"والتخييل وتشبيه الغائب بالشاهد، ليفهم الجمهور ذلك ١. وصفات الله عندهم سلبية محضة أو إضافية محضة أو مؤلفة منهما، لأن السلوب والإضافات لا توجب كثرة في الذات ٢.

ثانيا المعتزلة:

ورغم أن واصل بن عطاء ٣ قد جرى في نفيه للصفات على أمر بسيط هو استحالة وجود إلهين قديمين أزليين ٤، إلا أن من جاء بعده قد تأثروا بالفلاسفة وركبوا هذه الفكرة واعتمدوا على نفس شبهة الفلاسفة ووصلوا إلى نفس النتيجة، فقالوا: إن الله عالم بذاته قادر بذاته لا بعلم ولا قدرة هي صفات قديمة ومعان قائمة به ٥. فالمعتزلة ينكرون كالفلاسفة صفات أزلية قديمة قائمة بذاته تعالى، وإن كانوا يثبتون أحكام هذه الصفات لذاته تعالى ٦، قال عبد الجبار وهو يحكي ما أجمع عليه أصحابه: "أجمعوا على أن الله تعالى واحد ... فمرادهم أنه واحد في صفاته التي يبين بها عن سائر الموجودات ... وقالوا: قادر بذاته ... وقالوا: عليم بذاته.. ليبين من القادر بقدرة" ٧. والفرق بين صفة القدرة والعلم لله تعالى وللمخلوق أن الله تعالى "قادر بذاته عالم بذاته ... بخلاف الإنسان فإنه عالم بعلم وقادر

---

١ انظر: الغزالي: المصدر نفسه (ص: ٢٥٠) ، وابن تيمية: درء التعارض (١/٨ - ٩)

٢ انظر: الشهرستاني: نهاية الإقدام (ص: ١٨٢) ت: ألفريد جيوم.

٣ هو: واصل بن عطاء البصري الغزال، مؤسس مذهب الاعتزال، كان يجالس الحسن البصري ثم اعتزله بسبب قوله في المنزلة بين المنزلتين، وجلس إليه عمرو بن عبيد وعدد، فقيل لهم معتزلة. انظر: أبو القاسم البلخي: مقالات الإسلاميين (ص: ٩٠) [ضمن مجموعة في فضل الاعتزال] ، وعبد الجبار: فضل الاعتزال (ص:٢٣٤) [ضمن المجموع السابق] ، وابن حجر: لسان الميزان (٦/ ٢١٤) ط. مؤسسة الأعلمي، بيروت، الثانية، ١٣٩٠هـ.

٤ الشهرستاني: الملل والنحل (١/ ٤٠) ،

٥ وانظر: عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة (ص: ١٩٥ - ١٩٦) ، وفضل الاعتزال (ص: ٣٤٧) .

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة تامر محمد محمود متولي ص/٧٢

٦ انظر: الشهرستاني: نهاية الإقدام (ص: ١٩٩)

٧ فضل الاعتزال (ص: ١٤٦) ط. الدار التونسية.." [(١)]

"تعلم موادها في المدارس، ويستعان على الإقناع بها **بالتخييلات** الشعرية والإلهامات الكلامية، والمؤثرات الغنائية والموسيقية، والمعلومات المكتسبة فأين هذا من نبوة محمد الأمي الذي لم يتعلم شيئا ولم يقل شعرا، وقد جاء مفردا بأعظم مما جاءوا به كلهم أجمعون مجتمعا، ... " ١.

وكان هذا المفهوم للنبوة سببا في إنكار الماديين للوحي والأنبياء جميعا، طالما أن النبوة تعلم في مدارس مع الشعر والموسيقى، فكونها صناعة تنال بالكسب يتنافى مع كونها وحيا من الله تعالى.

---

١ المصدر نفسه والصفحة.." [(٢)]

"فقول محمد عبده عن المثبتين للسحر المتمسكين بالحديث أنهم "لا يعقلون ما هي النبوة ولا ما يجب لها" وإنكاره عليهم قولهم: "إن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح فيلزم الاعتقاد به ... " هو صحيح، إذ أن النبوة عند الفلاسفة الذين أعجب بهم محمد عبده بعد درسه للإشارات، هي من قوى النفس فالطعن في "قوى النفس" طعن في النبوة. وغني عن البيان أن هؤلاء الفلاسفة هم الذين "لا يعقلون ما هي النبوة ولا ما يجب لها" ولا أحد يطعن في الأنبياء طعنهم، إذا أنهم يقولون إن الأنبياء لا يخبرون بالحقائق على ما هي عليه، بل يتابعون "الجمهور" في ما يعتقدون ويخبرونهم بما "يفهمونه ويتخيلونه" بضروب من التمثيل **والتخييل** ١. كما أنني أريد أن أشير إلى قول رشيد رضا أيضا أنه "لم ير من علماء الملة متقدميهم ومتأخريهم، من بين لنا فضل تلك النفس الزكية العلوية.... ما بينه لنا هذا الإمام الجليل" وأقول إن هذا "بهت وافتراء" على علماء الملة "متقدميهم ومتأخريهم" إذ أنهم رحمهم الله تعالى قد قاموا ببيان حقيقة النبوة ووضعوها في موضعها، ونقلوا لنا حقيقة هذه "النفس العلوية" بما لم تقم به أمة من الأمم، حتى صار عملهم ذلك من علامات نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم. وبعد ذلك كله ذكر رشيد رضا أقوالا أخرى لمنكري السحر ثم ختم ذلك بقوله: "وإن لنا في هذا الحديث كلمتين:

إحداهما في سنده: وهي: أن الذين أعلوا الحديث بهشام بن عروة ٢، ورد عليهم العلامة ابن القيم باتفاق الجماعة على تعديله لهم وجه

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة تامر محمد محمود متولي ص/٣٩٠

(٢) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة تامر محمد محمود متولي ص/٦٩٣

١ انظر: ابن تيمية: درء التعارض (١/ ٨ ـ ١٠ وص: ١٧٩ ـ ١٨٠)

٢ هو: هشام بن عروة بن الزبير، الإمام الثقة، شيخ الإسلام، راى ابن عمر ودعا له ومسح برأسه، كان مثل الحسن وابن سيرين، ثقة ثبت حجة. السير (٦/ ٣٤ ـ ٤٦) .

ولم يقتصر طعن رشيد رضا هنا في هشام بن عروة بل طعن في ابن حجر أيضا بأنه "من الرجال الذين انحصرت قوة تحقيقهم في الروايات وحفظ ما قاله أهل الجرح والتعديل في أسانيدها وسائر العلماء في متونها، والترجيح بينها بمقتضى قواعدهم التي هي آراء لهم. فبضاعته ضعيفة في تحقيق مسائل المتون وبنائها على قواعد المعقول والمنقول ... " مجلة المنار (٣٣/ ٤٨) . بل إنه طعن بهذه المناسبة، في جميع المحدثين، فقال: "أما علماء الروايات فليسوا ممن يطلب منهم معرفة هذه الحقائق في نقد المتون". مجلة المنار (٣٣/ ٤٤) . فإذا كنا لا نأخذ الحديث من المحدثين، ولا من "علماء المناقشات اللفظية" يعني الفقهاء، فلا بد أن نأخذها من الفلاسفة ومنهم "الأستاذ الإمام" حكيم الإسلام".." [١]

"الصادق، فالأشقياء يستعينون بهذه الخوارق على الفواحش والظلم والشرك والقول الباطل، وهذا كله مناقض للنبوة، ومن هذا الجنس ما يفعله أهل الطريقة الرفاعية، فهي من جنس خوارق السحرة والكهان والفجار ١، فالفرق حاصل بين الأنبياء وغيرهم، في نفس صفات هذا وصفات هذا، وأفعال هذا وأفعال هذا، وأمر هذا وأمر هذا، وخبر هذا وخبر هذا، وآيات هذا وآيات هذا ٢.

وذكر الشيخ رشيد فرقا ثانيا وهو: أن السحر صناعة تتعلم، كما أنها أيضا خداع باطل وتخييل يري ما لا حقيقة له في صورة الحقائق. فقال: "ومما سبق بيانه في هذا الباب تخطئة من قال من المتكلمين إن السحر من خوارق العادات الذي هو الجنس الجامع لمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وفاتهم أنه السحر صناعة تتلقى بالتعليم كما ثبت بنص القرآن وبالاختبار ... " ٣.

وهذا فرق صحيح فإن السحر وجنسه متيسر لمن تعلمه وتمرن عليه بخلاف آيات الأنبياء، فإنها خارجة عن مقدور الإنس والجن.

١ انظر: ابن تيمية: النبوات (ص: ٩)

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة تامر محمد محمود متولي ص/٧٢٢

٢ المصدر نفسه (ص: ١٣)

٣ تفسير المنار (٩/ ٤٦) ، وانظر أيضا (٧/ ٣١١)." (١)

"وقال الراغب: والسحر على معان:

الأول: الخداع **وتخييلات** لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعوذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يده، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾ ١. وقال: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ ٢.

الثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه، كقوله تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم﴾ ٣.

وعلى ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ ٤.

والثالث: ما يذهب إليه الآغتام -الجهلة- وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير الصور والطبائع، فيجعل الإنسان حمارا، ولا حقيقة لذلك عند المحصلين "٥.

---

١ سورة الأعراف آية: ١١٦.

٢ سورة طه آية: ٦٦.

٣ سورة الشعراء الآيتان: ٢٢١-٢٢٢.

٤ سورة البقرة آية: ١٠٣.

٥ المفردات في غريب القرآن ص: ٢٢٦.

وانظر: فتح الباري لابن حجر ١٠/٢٢٢.." (٢)

"وعمله، ولا عن اليمين وعن الشمال قعيد، كل هذا لا حقيقة له عندهم البتة.

وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام، فقال: الملائكة هي القوى الخيرة الفاضلة التي في العبد، والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة، هذا إذا تقربوا إلى الإسلام وإلى الرسل.

وأما الكتب فليس لله عندهم كلام أنزله إلى الأرض بواسطة الملك، فإنه ما قال شيئا، ولا يقول، ولا يجوز عليه الكلام. ومن تقرب إليهم ممن ينتسب للمسلمين يقول: الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة تامر محمد محمود متولي ص/٧٤٧

(٢) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام حمود الرحيلي ١/١٤٤

على النفس المستعدة الفاضلة الزكية، فتصورت تلك المعاني، وتشكلت في نفسه بحيث توهم أصواتا تخاطبه، وربما قوي في الوهم حتى يراها أشكالا نورانية تخاطبه وربما قوي ذلك حتى يخيلها لبعض الحاضرين، فيرونها ويسمعون خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج.

وأما الرسل والأنبياء فللنبوة عندهم ثلاث خصائص، من استكملها فهو نبي:

أحدها: قوة الحدس، بحيث يدرك الحد الأوسط بسرعة.

الثانية: قوة التخيل **والتخييل**، بحيث يتخيل في نفسه أشكالا نورانية تخاطبه، ويسمع الخطاب منها، ويخيلها إلى غيره.

الثالثة: قوة التأثير بالتصرف في هيولى العالم. وهذا يكون عنده بتجرد النفس عن العلائق، واتصالها بالمفارقات، من العقول والنفوس المجردة.

وهذه الخصائص تحصل بالاكتساب. ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء كابن سبعين، وابن هود، وأضرابهم. والنبوة عند هؤلاء صنعة من الصنائع، بل من أشرف الصنائع، كالسياسة، بل هي سياسة العامة وكثير منهم لا يرضى بها، ويقول: الفلسفة نبوة الخاصة. والنبوة: فلسفة العامة.." (١)

"المبحث الثاني: أهل الكلام وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات

المطلب الأول: التعريف بهم

...

المطلب الأول: التعريف بهم

وأما أهل الكلام فقد شاركوا الفلاسفة في بعض أصولهم، وأخذوا عنهم القواعد المنطقية والمناهج الكلامية، وتأثروا بها إلى درجة كبيرة. وسلكوا في تقرير مسائل الاعتقاد المسلك العقلاني على حد زعمهم، وهم وإن كانوا يخالفون الفلاسفة في قولهم: إن هذه الحقائق مجرد وهم وخيال، إلا أنهم شاركوهم في تشويه كثير من الحقائق الغيبية، فلا تجد في كتب أهل الكلام على اختلاف طوائفهم تقريرا لمسائل الاعتقاد كما جاءت بها النصوص الصحيحة، فبدل أن تسمع أو تقرأ قال الله أو قال رسوله صلى الله عليه وسلم أو قال الصحابة، فإنك لا تجد في كتبهم إلا قال الفضلاء، قال العقلاء، قال الحكماء، ويعنون بهم فلاسفة اليونان من الوثنيين، فكيف جاز لهم ترك كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والأخذ بكلام من لا يعرف الله ولا يؤمن برسوله. والمطلع على كتب أهل الكلام يدرك عظم الضرر الذي جنته على الأمة المسلمة، إذ

---

(١) مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات محمد بن خليفة التميمي ص/٧٢

تسببت تلك الكتب في حجب الناس عن المعرفة الصحيحة لله ورسوله ولدينه، وجعل بدل ذلك مقالات التعطيل والتجهيل **والتخييل**. وأهل الكلام ليسوا صنفا واحدا بل هم عدة أصناف، وأشهرهم:

١- الجهمية، ٢- المعتزلة، ٣- الكلابية، ٤- الأشاعرة، ٥- الماتريدية. وهذه الأصناف الخمسة كل له قوله ورأيه بحسب الشبه العقلية التي استند إليها.

أولا: الجهمية، وهم أتباع جهم بن صفوان الذي أخذ عن الجعد بن درهم." (١)

"تبين العلم والحقائق التي يقوم عليها البرهان في الأمور العلمية، ثم منهم من قال: إن الرسل علمت ذلك وما بينته، ومنهم من يقول: إنها لم تعلمه وإنما كانوا بارعين في الحكمة العملية دون الحكمة العلمية، ولكن خاطبوا الجمهور بخطاب **تخييلي**، خيلت لهم في أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما ينفعهم اعتقاده في سياستهم، وإن كان ذلك اعتقادا باطلا لا يطابق الحقائق.

وهم يقرون بالعبادات، ولكن يقولون مقصودها إصلاح أخلاق النفس، وقد يقولون إنها تسقط عن الخاصة العارفين بالحقائق فكانت بدعة أولئك المتكلمين مما أعانت إلحاد هؤلاء الملحدين)

(وهؤلاء القرامطة والباطنية والملاحدة هم جنود إبليس حقا المعارضون لما جاءت به الرسل بعقولهم وآرائهم، ودعوتهم تقوم على الدعوة إلى العقل المجرد، وقالوا نحن أنصار العقل الداعين إليه المخاصمين به المحاكمين إليه.

وقد جرى على الإسلام وأهله منهم ما جرى، وكسروا ع سكر الخليفة مرارا عديدة، وقتلوا الحاج قتلا ذريعا، وانتهوا إلى مكة فقتلوا بها من وصل من الحاج إليها، وقلعوا الحجر الأسود من مكانه، وقويت شوكتهم، واستفحل أمرهم وعظمت بهم الرزية. واشتدت بهم البلية، وفي زمانهم استولى الكفار على كثير من بلاد الإسلام في الشرق والغرب، وكاد الإسلام أن ينهد ركنه لولا دفاع الذي ضمن حفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

ثم خمدت دعوة هؤلاء في المشرق، وظهرت من المغرب قليلا قليلا على أيدي العبيديين، حتى استفحلت وتمكنت واستولى أهلها على كثير من بلاد

١- منهاج السنة ٣٢٢/١، ٣٢١. «بتصرف»." (٢)

---

(١) مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات محمد بن خليفة التميمي ص/٨٥

(٢) مقالة التعطيل والجعد بن درهم محمد بن خليفة التميمي ص/١١٦

"٢- إنكاره أن الله يتكلم حقيقة، وهذا إنكار لحقيقة الرسالة١
فالصابئة المتفلسفة شيوخ الجعد لا يثبتون وجود الله على الحقيقة فضلا أن يثبتوا له صفة الكلام، ولذلك هم يقولون: (إن الله ليس له كلام في الحقيقة، وإن كلام الله اسم لما يفيض على قلب النبي من "العقل الفعال" أو غيره. و"ملائكة الله" اسم لما يتشكل في نفسه من الصور النورانية ولهذا يقول هؤلاء إن خاصية النبي **التخييل٢**، وإن ما جاء به النبي ليس كلاما لله على الحقيقة، وإنما هو **تخييل** للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق ولا أوضح به الحقائق٣.
فأراد الجعد بذلك هدم الأصل الثاني من أصلي الدين الذي هو الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ورسالته. وذلك من خلال إنكاره لكلام الله المستلزم لإنكار حقيقة الرسالة، وقد تجلت بدعته هذه في قوله بخلق القرآن فهو أول من تكلم به.
قال الهروي: (وأما الذين قالوا بإنكار الكلام لله عز وجل، فأرادوا إبطال الكل، فإن الله على زعمهم الكاذب إذا لم يكن متكلما، بطل الوحي، وارتفع الأمر والنهي وذهبت الملة، فلا يكون جبريل عليه السلام سمع ما بلغ، ولا الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ ما أنفذ. فبطل التسليم والسمع والتقليد، ويبقى المعقول الذي به قاموا.)

١- مجموع الفتاوى ١٢/٣٥٠
٢- مجموع الفتاوى ١٢/٣٥١، ٣٥٢.
٣- ذم الكلام ص٣٠٦.
٤- ذم الكلام ص٣٠٦.." (١)

"إن خاصة النبوة جودة **تخييل** الأمور المعقولة في الصور المحسوسة (١) ، أو نحو هذه العبارة.
وابن سينا يذكر هذا المعنى في مواضع (٢) ، ويقول: ما كان يمكن موسى ابن عمران مع أولئك العبرانيين، ولا يمكن محمدا مع أولئك العرب الجفاة أن يبينا لهم الحقائق على ما هي عليه، فإنهم كانوا يعجزون عن فهم ذلك، وإن فهموه على ما هو عليه انحلت عزماتهم عن أتباعه، لأنه لا يرون فيه من العلم ما يقتضي العمل (٣) ... " (٤) ، قال ابن تيمية معلقا: " وهذا المعنى يوجد في كلام أبي حامد الغزالي وأمثاله ومن بعده، طائفة منه في الإحياء وغير الإحياء، وكذلك في كلام الرازي " (٥) ، وفي مناسبة أخرى يدخل

---

(١) مقالة التعطيل والجعد بن درهم محمد بن خليفة التميمي ص/١٧٤

الشهرستاني مع الرازي في التأثر بالمعتزلة والفلاسفة (٦) ، وأحيانا يجمع بين الرازي والآمدي في تأثرهم بالفلاسفة وكتب ابن سينا خاصة (٧) ، وذكر أنهما تأثرا بالفلاسفة في الاستدلال على حدوث العالم، وفي أن سعادة النفس إنما يكون بتخلصها من الهيولي والمادة (٨) .

---

(١) للفارابي – واسمه محمد بن أوزلغ بن طرخان– ولد سنة ٢٥٧هـ، وتوفي سنة ٣٣٩هـ، رأى في النبوة، فهو لم ينكرها كما أنكرها معاصره أبو بكر الرازي، ولكنه فسرها بما في النفس من قوى تجعلها تتصل بالعقل الفعال، فتقوم المخيلة بحفظ الصور الذهنية وتحويلها إلى واقع محسوس، وللاتصال بالعقل الفعال عنده طريقان: طريق النظر العقلي، وهو للفلاسفة، وطريق المخيلة وكمال النفس وهو للأنبياء: انظر تحصيل السعادة (ص: ٩٠–٩٤) ، والسياسة المدنية (ص: ٧٩–٨٠) كلاهما للفارابي، وانظر أيضا: الفارابي: جوزيف الهاشم (ص: ٣٧–١٤٢) ، ومع الفارابي المدن الفاضلة، فاروق سعد (ص: ٥٣–٥٦) ، وفيلسوفان رائدان: جعفر آل ياسين (ص: ١٣٣–١٤١) ، والفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة، فوزي عطوى (ص: ١١٩) .

(٢) سار ابن سينا – الحسين بن عبد الله – ولد سنة ٣٧٠هـ. وتوفي سنة ٤٢٨هـ، على طريقة الفارابي في النبوات، انظر: الشفاء (٦) في النفس (ص:١٧٧–١٧٨–٢١٢–٢٢٠) ، والتعليقات (ص:٨٢) ، وانظر: نظرية المعرفة عند ابن سينة (ص: ٢١٠) ، وما بعدها، والفلسفة الإسلامية في المشرق، فيصل عون (ص: ٢٧٣) ،وفي الفلسفة الإسلامية (١/١٠٥) .

(٣) قارن هذا الكلام لابن سينا بما في الأضحوية له (ص: ١٠١–١٠٢) ،ت حسن عامر.

(٤) مجموع الفتاوي (٤/٩٩) .

(٥) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٦) انظر: شرح حديث النزول، مجموع الفتاوي (٥/٥٦٠) .

(٧) انظر: شرح الأصفهانية – ت العودة (ص:٢٧٢) – ط على الآلة الكاتبة، وهذا النص ضمن الزيادات الكثيرة التي حفلت بها هذه النسخة المحققة.

(٨) انظر: المصدر السابق (ص: ٢٤٠–٢٤٥) ، – ط على الآلة الكاتبة.." [(١)]

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ٨١٧/٢

"الأول: أن نبين فساد ما ادعوه معارضا للرسول – صلى الله عليه وسلم – من عقلياتهم.

الثاني: أن نبين أن ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – معلوم بالضرورة من دينه، أو معلوم بالأدلة اليقينية، وحينئذ فلا يمكن مع تصديق الرسول أن نخالف ذلك، وهذا ينتفع به كل من آمن بالرسول.

الثالث: أن نبين أن المعقول الصريح يوافق ما جاءت به الرسل لا يناقضه، إما بأن ذلك معلوم بالضرورة العقل، وإما بأنه معلوم بنظرة، وهذا أقطع لحجة المنازع مطلقا، سواء كان في ريب من الإيمان بالرسول، وبأنه أخبر بذلك، أو لم يكن كذلك، فإن هؤلاء المعارضين منهم خلق كثير في قلوبهم ريب في نفس الإيمان بالرسالة، وفيهم من في قلبه ريب في كون الرسول أخبر بهذا. وهؤلاء الذين تكلمنا على قانونهم، الذي قدموا فيه عقلياتهم على كلام الله ورسوله، عادتهم يذكرون ذلك في مسائل العلو لله ونحوها" (١) .

ويلاحظ أنه هنا زاد وجها وهو بيانه أن المعقول الصريح يوافق ما جاءت به الرسل، وهذا مثل إثبات العلو لله حيث دل عليه أيضا العقل والفطرة.

ولما تحدث شيخ الإسلام – عن هذه المسألة – مسألة ما يدعي من تعارض العقل والنقل، في غير كتابه درء تعارض العقل والنقل، أشار إلى المنهج الصحيح في ذلك (٢) ، ومن ذلك قوله تعليقا على انحراف المنحرفين: أهل التخييل والتجهيل، والتأويل، قال: " إن الذي دعاهم إلى ذلك ظنهم أن المعقول يناقض ما أخبر به الرسول – صلى الله عليه وسلم –، أو ظاهر ما أخبر به الرسول، وقد بسط الكلام على رد هذا في مواضع، وبين أن العقل لا يناقض السمع، وأن ما ناقضه فهو فاسد، وبين بعد هذا أن العقل موافق لما جاء به الرسول، شاهد له، ومصدق له، لا يقال: إنه غير معارض فقط، بل هو موافق مصدق، فأولئك كانوا يقولون: هو مكذب مناقض:

---

(١) انظر: درء التعارض (٦/٤-٥) .

(٢) انظر مثلا: نقض التأسيس – المطبوع – (١/٢٤٧-٢٤٨) ، والمخطوط (٢/٣٣٠-٣٣١) ، ومجموع الفتاوي (٦/٢٤٥-٢٤٦) ، وأيضا (١٦/٦٤٣) وغيرها.." [١]

"أحدهما: أن الألفاظ الواردة في التشبيه تحتمل التأويل على عادة العرب في الاستعارة، وما ورد في وصف الجنة والنار، وتفصيل تلك الأحوال بلغ مبلغا لا يحتمل التأويل، فلا يبقى إلا حمل الكلام على التلبيس بتخييل نقيض الحق لمصلحة الخلق، وذلك ما يتقدس عنه منصب النبوة، الثاني: أن أدلة العقول

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ٢/٨٢٤

دلت على استحالة المكان والجهة والصورة ويد الجارحة وعين الجارحة، وإمكان الانتقال والاستقرار على الله سبحانه وتعالى. فوجب التأويل بأدلة العقول، وما وعد به من أمور الأخرة ليس محالا في قدرة الله تعالى فيجب إجراؤه على ظاهر الكلام، بل على فحواه الذي هو صريح فيه " (١) . وقال في فضائح الباطنية – ويلاحظ أنه في هذين الكتابين يتبنى مذهب الأشاعرة – " فإن قيل فهلا سلكتم هذا المسلك في التمثيلات الواردة في صفات الله تعالى من آية الاستواء وحديث النزول ولفظ القدم.. إلى غير ذلك من أخبار لعلها تزيد عرى ألف، وأنتم تعلمون أن السلف الصالحين ما كانوا يؤولون هذه الظواهر، بل كانوا يجرونها على الظاهر، ثم إنكم لم تكفروا منكر هذه الظواهر، بل اعتقدتم التأويل وصرحتم به – قلنا: كيف تستتب هذه الموازنة والقرآن مصرح بأنه ﴿ليسي كمثله شيء﴾ (الشورى: ١١) ، والأخبار الدالة عليه أكثر من أن تحصى، ونحن نعلم أنه لو صرح مصرح فيما بين الصحابة بأن الله تعالى لا يحويه مكان ولا يحده زمان ولا يماس جسما ولا ينفصل عنه بمسافة مقدرة وغير مقدرة ولا يعرض له انتقال وجيئة وذهاب وحضور وأفول، وأنه يستحيل أن يكون من الآفلين والمنتقليين والمتمكنين إلى غير ذلك من نفي صفات التشبيه لرأوا ذلك عين التوحيد [والتنزيه (٢)]

ولو أنكر الحور والقصور والأنهار والأشجار والزبانية والنار لعد ذلك من أنواع الكذب والإنكار، ولا مساواة بين الدرجتين " (٣) . ثم أحال مع زيادة وشرح على ماسبق أن ذكره في نفس الكتاب (4) – وهو مقارب جدا لما أورده

---

(١) تهافت الفلاسفة (ص: ٢٩١-٢٩٣) ، – ت سليمان دنيا.

(٢) في المطبوعة – ت بدوي [والتنزيل] وهو تحريف أو خطأ مطبعي..

(٣) فضائح الباطنية (ص: ١٥٤-١٥٥) .

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ٥٣-١٥٥) .." [١]

"بحسب ما قبلته منه، ولهذه النفوس عندهم ثلاث قوى، قوة التصور، وقوة التخيل، وقوة التعبير، فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول صورا نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله ولا حقيقة له في الخارج وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية"١.

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ٢/٩٠٢

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فيقولون هذا القرآن كلام الله وهذا الذي جاءت به الرسل كلام الله، ولكن المعنى أنه فاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال، وربما قالوا: إن العقل هو جبريل الذي ليس على الغيب بضنين أي: بخيل لأنه فياض. ويقولون إن الله كلم موسى من سماء عقله، وأن أهل الرياضة والصفا يصلون إلى أن يسمعوا ما سمعه موسى كما سمعه موسى٢.

وهذا المذهب: من أبعد المذاهب عن الحق والصواب إذ مضمونه أن كلام الله ـ تعالى ـ من الوهم والخيال ليس له وجود في الخارج إذ أنهم يزعمون: أن موسى سمع كلام الله من سماء عقله أي: بكلام لم يسمعه من خارج. وهذا مناقض للكتاب والسنة وإنكار لربوبية الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ، والكتاب والسنة دلا بوضوح على أن الله ـ تعالى ـ أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وإلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، والوحي كان إما بتكليم الله لهم بلا واسطة، أو يوحي إليهم بواسطة الملك الذي يأمره الله بتبليغ الوحي إلى النبي الذي اصطفاه الله لتبليغ رسالته إلى عباده من الجن والإنس.

قال تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ ٣.

فهذه الآية دلت على أن الوحي إلى الرسل كان حقيقة ولم يكن **تخييلا** يتخيله الرسول كما زعم ذلك الفلاسفة المارقون ومن جرى في ركابهم من المتكلمين فدعواهم ذلك من أبطل الباطل.

١- رسائل إخوان الصفا ٢٠٩/٤، نقض المنطق ص٣٢، مجموعة الرسائل والمسائل ٤٢٨/٣، منهاج السنة النبوية ٢٢١/١، مختصر الصواعق ٢٨٨/٢، إغاثة اللهفان ٢٦٢/٢، شرح الطحاوية ص١٧٩.

٢- مجموع الفتاوى ٢٣/١٢.

٣- سورة الشورى، آية: ٥١.." (١)

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٥٥